أساطير شعبية

من قلب جزيرة العرب

الجزء الرابع

بقلم

عبد الكريم الجهيمان

دار أشبال العرب

الرياض - المملكة العربية السعودية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهيمان، عبدالكريم بن عبدالعزيز

أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب.- ط٦.- الرياض.

٤٠٠ ص ؛ ١٧×٢٤

ردمك : × - ٤٦٤ - ٣٦ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٢ - ٤٦٨ - ٣٦ - ٩٩٦٠ (ج٤)

١- الأدب الشعبي السعودي ٢- الحكايات الشعبية السعودية

٣- الأساطير السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١٣,٠٩٦٥٣١ ٢٠/٣٠٢٩

رقم الإيداع : ٢٠/٣٠٢٩

ردمك: ×-٤٦٤-٣٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٤٦٨-٣٦-٩٩٦٠ (ج٤)

الطبعة السادسة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار أشبال العرب

الرياض - المملكة العربية السعودية

ذيـل على الذيليـن !!

هذا - أيها القارىء الكريم - هوالجزء الرابع والأخير من مجموعة كتاب الأساطير الشعبية التي شرعت في جمع الجزء الأول منها وأنا لاآدري هل أجد المادة الكافية لاصداره.. أم لاأجدها.!!

ولكن القصص والأساطير انهالت علي عند الشروع في الكتابة.. حتى أكملت الجزء الأول... وعندما طبع وعرض في المكتبات رأيت اقبال القراء على هذا النوع من التأليف عاما.!!

فدفعني هذا الاقبال ألى أن أشرع في تأليف الجزء الثاني وأنا لأدري - ايضا - هل أجد المادة الكافية لاصداره.. أم لا.!!

ولكن المادة اجتمعت من هنا وعناك عندما شرعت في الكتاب.. حتى تكامل الجزء الثاني...

وهكذا كان الشأن عند تأليف الجزء الثالث والرابع... وقد يتساءل أحد القراء فيقول :-

ولماذا تقف بمجهودك في هذا المجال عند هذا الحد.؟! هل انتهى فيض الأساطير.؟! أم أدركك الكلل والاعياء... أم ماذا.؟!

وأقول جوابا على هذا التساؤل:- إن الذي أدركني هو ماذا.!! لأن فيض الأساطير لم ينته.. والكلل والاعياء لم يتسلل إلى كياني بعد.. فلا يزال لدي بقايا من القوة والنشاط اللذين أستطيع بهما أن أواصل الجهد وأتابعْ إصدار الأجزاء...

ولكنني رأيت أن أربعة مجلدات من الأساطير كافية كل الكفاية.. كما أني أتحاشى الاستمرار في هذا الاتجاه خوفا من الاسفاف.!! فإن ماكثر من شيء سمج.!! وما زاد عن حده انتهى ألى ضده..

وأخشى أن أفقد أخيرا ماكسبته أولا.!!

ولهذا فقد قررت أن أتوقف عند هذا الحد.. وأن أتصرف إلى جانب آحر من حوانب أدبنا الشعبي ألا وهو الأمثال الشعبية.!!

والأمثال الشعبية شقيقة للأساطير الشعبية..فهي تتصل بها اتصالا وثيقا.. وتعبر عن جوانب من حياة آبائنا الأقدمين تعبيرا صادقا.. فيه حكم.. وفيه عبر.. وفيه تجارب.. وفيه بعض الأحيان فكاهة وتسلية.!! وإذاً فأنا لم أنسحب من الميدان.. وأنما انتقلت من جبهة إلى جبهة.. وتحولت من جانب لالقي بجهدي وثقلي إلى جانب آخر.. يرتبط بالجانب الأول ارتباطا وثيقا.. وعريقا.!!

ومع ذلك فإنني أعد القارى الكريم بأنه إذا تجمع لدي شيء ذوبال من الأساطير يكفي لإصدار مجلد خامس فلن أتقاعس عن العمل.. بل إنني سوف أجمعها وأطبعها وألحقها بالأجزاء الأربعة السابقة...

هذا ماأردت أن أقوله في هذه المقدمة التي سبقها ثلاث

مقدمات. كلها في معنى واحد.. وقد أفضيت فيها إلى القارىء الكريم بكل ماأردت أن أقوله حتى لم يبق لهذه المقدمة الأخيرة إلا النزر اليسير مما ينبغي أن يقال..عند الانتقال من ميدان من ميادين الكفاح إلى ميدان آخر.!!

ولا أحب أن يفوتني في هذه المقدمة تسجيل نقاش دار بيني وبين أحد الأصدقاء حول كتاب الأساطير فإليكه :-أهديت إلى بعض الأصدقاء جزءاً من أجزاء هذا الكتاب.. ثم زرته بعد حين.. وسألته عن رأيه فيه - إذا كان قد قرأه - فقال لقد قرأت الكتاب فوجدت أن معظم ما فيه خيالات.. لاتمت إلى الحقيقة بصلة.. ولست أرى فيها كبير فائدة.!!

قال صديقي هذا الكلام ثم ترك لي مجال القول لأوافقه أو أخالفه.!! وقد قلت لهذا الصديق من جملة ماقلت.. إن الخيال في بعض الاحيان يكون أجمل من الحقيقة.. ألم تر أنك قد تسمع بي ثم ترسم لي في نفسك صورة مشرقة ذات طول.. وذات عرض.. فإذا رأيتني وجها لوجه صدمت بالحقيقة ورأيت خلاف ماكنت تتخيل.!!

ومن ناحية ثانية فإن الإنسان متقلب ملول.!! يرتاح إلى التنقل من الحقيقة إلى الخيال.. ومن الخيال إلى الحقيقة.. من حياة القصور.. إلى حياة الخدور.!! وبالعكس.!!

والقرآن الكريم يقص علينا نبأ من أنباء بني إسرائيل.. فقد أنعم الله عليهم بالمن والسلوى.. وهما من أطيب ما يتناول الإنسان من طعام أو شراب.. فسئموا منهما.. وطلبوا من نبيهم أن يدعوالله أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من ثومها

وعدسها وبصلها.. وقد أنكر الله عليهم هذا الاختيار فقال :- أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هوخير .؟!

نعم لقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هوخير.. وما ذلك الا لأن الإنسان متقلب ملول.!! ان جاءه الشتاء تمنى الصيف.!! وإن جاءه الصيف تمنى الشتاء.!!

وقد استمع إلي الصديق ثم قال :-

إن كلامك مقنع وليس لدي مااعترض به عليه.. إلا أنني مع ذلك لايزال في نفسي مما قلت شيئا.!!

فقلت له وما هو هذا الشيء .؟! صرح به.. أفصح عنه.. فقال إنني لا أستطيع التعبير عنه.. وقد يكون ما أحس به من رواسب الماضي البعيد.. التي استقرت في نفسي لا لأنها صواب.. ولكن لأنها ترسبت في نفسي في طور من أطوار حياتي الماضية وقد تقدمت الحياة.. وتطورت.ولكن هذه الرواسب بقيت كما كانت..

وعند هذا الحد انتهت محادثتي مع هذا الصديق.!!

وعند هذا الحد - ايضا -أودعك - أيها القارىء الكريم - وإلى اللقاء قريباً إن شاء الله في الميدان الآخر.. دنيا الامثال الشعبية.. بعد أن جلنا جولات موفقة في دنيا الأساطير الشعبية.!!

١٣٩٠\٦\٦ عبد الكريم الجهيمان

سالفـــــة:

١- أصحـــاب الهيـــب.!!

«رويت هذه السالفة عن التاجر الوجيه صالح العيسى وكتبتها بأسلوبي الخاص»

كان في الأطفال هذه الليلة طفل كبير قص عليه والده سالفة فأحب أن يسمعها مرة ثانية فقال لجدته قصي علينا سالفة أصحاب الهيب فقالت الجدة حبا وكرامة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه وإلى هنا هاك الرجال الذي عنده ثروة كبيرة وليس له إلا ولد واحد.. ولكن ولده هذا غرير.. نشأ في ظل والده محفولاً مكفولاً لايفكر في شيء من أمور الدنيا لأن كل ما يريده متوفر له فهومثل حوار الربيع إن طمن رأسه لقى عشب وإن رفع رأسه لقي حليب.!!

وكبر الوالد وأحسن بأن أيامه في هذه الدنيا معدودة فصفى جل ثروته واشترى بها ذهباً وجعل هذا الذهب في كيس.. ثم حفر لهذا الكيس في سقف إحدى الغرف المظلمة وجعل تحت

هذا الكيس الذهب خشبة ليست قوية وربط في هذه الخشبة سلسلة من الحديد جعلها تتدلى إلى الأرض.!!

وجاء بولده ليلقي إليه نصائحه ووصاياه لتكون عوناً له على تخطي ما يصادفه من مشكلات الحياة.. وتقلبها...وجاء الولد فجلس أمام والده.. وقال الوالد ياولدي لقد جمعت لك ثروة كبيرة إن أحسنت القيام عليها عشت غنيا كريما محترما.. وإن أهملت أوأسرفت فإنها سوف تنفد لا محالة.!!

وأنا أرجو أن تكون عند حسن ظني وأن تعمل في هذا المال كما أعمل فتتاجر فيه وتأكل من أرباحه وتعطي أرباب الحقوق من حواشيه ولا تحتاج إلى أحد فان الحاجة إلى الناس مذلة.. والتطلع إلى مافي أيدي الناس يورث الحسرة والاحتقار.!!

وسمع الولد هذه النصائح.. ووعد والده بأن ينفذها بحذافيرها.. وجلس الولد عند والده فترة طويلة من الزمن.. وظن أن نصائح والده قد انتهت فهم بالقيام.!!

لكن الوالد تذكر أخيرا ذلك الذهب الذى أخفاه في السقف وجعل تحته خشبة ضعيفة وربط في هذه الخشبة سلسلة دلاها إلى الأرض.!!

وقال الوالد لولده اقعد يابني فقدكدت أنسى وصيتي الأخيرة لك.. وجلس الابن فقال له والده يابني إنني لا آمن عليك من شدائد الدهر وتقلباته.!!

لهذا فقد أعددت لك طريقة لطيفة للخلاص من الحياة.. إذا



ويئس الشاب من الحياة ولجأ أخيراً إلى وصية أبيه.. وعلق نفسه في السلسلة لينتحر ولكن الخشبة انكسرت وخر عليه السقف ذهباً.

ضقت بالحياة.!! أوضاقت بك الحياة.!! وقبض الوالد على يد ولده وسار به حتى أوقفه تحت هذه السلسلة.. وقال له يا ولدي إن الإنسان في هذه الحياة يعيش بكرامته وأمانته.. وقدرته المادية.!!فإذا فقد دعامته المادية فتبقى له كرامته وقيمته المعنوية فإذا فقد هذه كما فقد تلك فإن الممات خير له من الحياة.!!

واستمر الوالد يكرر ويعيد على ولده أمثال هذه الكلمات لترسخ في ذهنه.. وحتى لاينساها أمد الآمدين ودهر الداهرين.!! وشكر الولد والده على هذه النصائح.. وقال له إنها سوف تبقى نبراسي في الحياة..وملجأي بعد الله لاجتياز كل عقبة تعترض طريقي.!!وأخيرا قال الوالد لولده إذا انسدت الطرق في وجهك وغدر بك الأصحاب.. فعلق نفسك في هذه السلسلة وتخلص من الحياة .

وتتابعت الأيام وتوفي الوالد عليه رحمة الله..وحل الولد محل والده وباع واشتري وحاول أن يسير على النهج الذي كان يسير عليه والده ولكنه.. رأىٰ أن ذلك النهج يحتاج إلى جهد.ويحتاج إلى صبر ويحتاج إلى مثابرة !

والشاب ليس لديه مؤهلات.. لهذه المسئوليات. !!

لهذا فقد أغلق الحانوت الذي يبيع فيه والده ويشتري بعد أن صفى البضاعة التي فيه.. وباعها بالرزق المقسوم أي بنصف قيمتها.!!

وكان للشاب أصحاب.. تكاثروا مع تكاثر النقود.. وصاروا يزينون للشاب بعض المسالك التي فيها علاوة على الخسارة المادية خسارة معنوية.. ولكن الشاب لا يفكر في نتائج الحساب..

وإنما يفكر في اللذة التي يجنيها.. والسويعات السعيدة - في نظره - التي يقضيها.!.!

واستمرأ الشاب هذه الحياة واندفع فيها وصار يصرف بلا حساب ونسي والده ونصائح والده فلم تعد تخطر له على بال.!!

وكلما مر يوم اتسعت المناهج وتعددت جهات الانفاق والتبذير.. ونفد ما في يد الشاب فجأة ولم يصح من سكرته ألا ويده فارغة.. وسمعته ملوثة.. ورفاقه يتسللون منه واحدا إثر واحد.. حتى لم يبق بجانبه أحد منهم.!!

ونظر الشاب حوله.. ونظر إلى نفسه فإذا هووحيد في عالم مصطخب.!! وأراد أن يخوض الحياة.. ولكنه

لاسلاح معه.. فلا تجارب تفتح له الأبواب.!! ولا جلد على العمل يذلل به الصعاب.!! ولا أصحاب.!! فقد تفرق الأصحاب.!!

وضاقت بالشاب الحياة.. وفكر في والده في تلك الأيام السود. وتذكر نصائحه التي ضرب بها عرض الحائط فصار يتخبط في عواقب تلك المخالفات.!!

ولم يبق أمام الشاب مما خلفه والده الا ذلك البيت الذي يسكن فيه.. وتلك السلسلة التي علقها والده في السقف.. وجعلها هي الخطوة الأخيرة للتخلص من الحياة.!!

وفكر الشاب تفكيرا جديداً بأن ينفذ في نفسه حكم الإعدام وأن يعلق نفسه في هذه السلسلة وينهي حياته التي ذهبت مسراتها..ولم يبق إلا أحزانها وتبعاتها .!!

ولكن الحياة الغالية.. والموت مخيف وهوتجربة قاسية لاتتاح

للمرء في حياته الا مرة واحدة.. وهي مجهولة العواقب.!!

ولهذا فقد توقف الشاب عن تنفيذ هذا البند الأخير من وصية والده.. وقال لنفسه إنني لازلت شابا في مقتبل العمر.فلما ذا لا أحاول أن أبني نفسي من جديد .؟!

واقتنع الشاب بهذه الفكرة وعزم على أن يبدأ الكفاح من جديد. وذهب يبحث عن عمل وسأل بعض رفاقه الذين كانوا معه أيام الغنى فلم يجد من أحد منهم فائدة ولا عونا وذهب هنا وذهب هناك.. ولكن الأبواب كلها قد انسدت في وجهه.!!

وعاد إلى بيته حزينا مكسور الخاطر لايدري أين يذهب.!! لقد ضاقت به الدنيا واسودت في وجهه وبدت في نظره لاتستحق أن يكافح المرء من أجلها.. وتذكر وصية والده.. والحل الأخير عندما تضيق به الحياة.!!

وقال في نفسه رحم الله والدي لقد كان حكيما وكان بعيد النظر.. وكأنما كشف له ستار الغيب فرأى ماسوف أقع فيه.. وما سأعانيه فهيأ لي وسيلة الخلاص من هذه الحياة.كما هيأ لي ظروف العيش فيها..؟!

وهم الشاب بأن يقوم ويذهب إلى تلك السلسلة ويخنق نفسه.. بل إنه قام فعلا وتوجه إلى جهة السلسلة وعندما صار تحتها.. وهم بأن يربط نفسه خاف من تلك النهاية القاسية.!!

وقال لماذا لاأعمل المحاولة الأخيرة لكسب قوتي .؟! وتذكر إخوانا له.. كان يعرفهم في حياة المال والعز ثم انقطعوا عنه وانقطع عنهم.!! وتراجع الشاب عن تلك السلسلة وعزم على أن يذهب إلى هؤلاء الإخوان كآخر محاولة لكسب القوت.. والعيش

من عرق الجبين ولوعيشة الكفاف .

وذهب الشاب إلى هؤلاء الإخوان.. وسلم عليهم وأخبرهم بقصده فاعتذروا منه بأنه لا يمكن أن يعمل معهم لأنه شاب مترف لن يساعدهم على عملهم كما تنبغي المساعدة ولن يصبر طويلا على ما يصبرون عليه.!!

وألح الشاب عليهم وقال لهم جربوني فإن وجدتم لدي عونا وإنتاجا بقيت معكم وإن كان غير ذلك فسرحوني ولا تقبلوني شريكا لكم في عملكم هذا .؟؟

ونظر الرفاق بعضهم إلى بعض ورأوا أنه لامجال للتهرب منه ولابد من إشراكه في العمل وتجربته فيه مادام هذا كلامه..!!

وقالوا للشاب تعال غداً في الوقت الفلاني بعد أن تتناول إفطارك.. وأت معك بقرص عيش لتتغدى به معنا.!!

وفرح الشاب.!! وشكرهم على فتح هذا المجال له.. وجاء الغد وأصبح الصباح وتناول الشاب فطوره ثم أخذ قرص العيش وذهب إلى رفاقه قبل الموعد.. وجلس ينتظرهم في مكان العمل حتى جاءوا.. وشرعوا في العمل وشرع معهم بعد أن أخبروه بدوره..والعمل الذي يجب أن يقوم به.!!

وعمل الشاب بكل جد وإخلاص.!! ورأوا أنه لايقل عنهم قوة ونشاطا وإنتاجا.!افتركوه يعمل معهم.. واطمأن الشاب بعض الشيء إلى مستقبله.. وهدأت نفسه وثابر على عمله يؤديه بعزم وثبات وقوة..

ولكنه بين هؤلاء الرفقة كالغريب.. إنهم لم يقبلوه معهم إلا مجاملة ونتيجة لإلحاحه.!! كما أنهم كانوا يعتقدون أنه لن يقوى

على العمل الذي سوف يكلفونه به.. وإن قام به فلن يستطيع الاستمرار فيه.!!

ولكنه قام بالعمل واستمر فيه.. ولم يجد الزملاء أي مبرر يحتجون به على فصله من العمل.. وهكذا فقد تركوه يستمر في عمله على مضض منهم.!!

وجاء الشاب ذات يوم بقرض العيش وقدمه وقت الغداء مع أقراص رفاقه.. وعندما كشف اللفافة عن القرص وجده قد أكل من جانب من جوانبه.. فقدمه مع أقراص رفاقه وهولا يدرى كيف يعتذر..!!

وسأله الرفاق كيف يقدم قرصا قد أكل منه .؟! فقال إنني لم آكل منه أنا.. وإنما هو الفأر أكل منه ليلا بدون أن أدري عن ذلك.!!

وقال له رفاقه عندما سمعوا هذا الكلام.. وهل يعقل أن الفأر يأكل الخبز .؟! وإذا كان الفأر أكل منه فهل يأكل كل هذا المقدار .؟

ثم قال له رفاقه خذ قرصك واذهب به بعيدا وكل وحدك. فإنه لايمكن إن تشاركنا وأقراصنا كاملة وقرصك ناقص.!!

وأخذ الشاب قرصه.. وتنحى به بعيدا عنهم فأكله وشرب عليه ماء باردا.. وأتم عمله اليومي.!! ثم عاد إلى بيته.. وقد صمم على ترك العمل مع هؤلاء الرفاق ولكن أين يتجه في هذه الحياة .؟!

وتذكر وصية والده.والطريق الأخير للخلاص من الحياة... وقال الشاب في نفسه لقد آن لي أن أتخلص من حياتي... فقد

بددت ثروتي.. وخاب أملي في رفاقي ولم يبق أمامي إلا أن أتخلص من هذه الحياة.!!

إن آخر محاولة لي هي العمل مع أولئك الرفاق الذين صدقتهم فكذبوني.!! وحاولت القرب فأبعدوني حتى صرت أعيش بينهم كالأجرب الذي يخشاه الناس ويتباعدون عنه.!!

وعزم الشاب في هذه المرة أن ينتهي من هذه الحياة بالطريقة التي هيأها له والده.!!

وبقى الشاب في بيته يهيىء الأمور ويودع الحياة.. التي لا تستحق في نظره وداعا.!! وتمت جميع الوسائل وصعد الشاب على تلك الصناديق التي وضع بعضها فوق بعض.!! ثم ربط السلسلة في رقبته وأوثقها جيدا.!!

وجمع الشاب قوته.. وأغمض عينيه وأوقف حركة تفكيره.. وضرب بقدميه تلك الصناديق.. حتى أزالها بعيدا عنه.!! وتعلق الشاب في السلسلة.. وأحس بقسوتها وضيقها.!! ولكنها لم تلبث أن انكسرت الخشبة التي ربطت فيها السلسلة وسقط الشاب على الأرض.!! وبسقوطه صار السقف يتساقط منه ذهب أحمر.!!

وكانت الغرفة ظلاما فلم يعرف الشاب أن ما يتساقط ذهبا.. ولكنه قام سريعا وأخذ قطعة من تلك القطع التي تتساقط من السقف.وذهب بها ليفحصها في النور.!! وعند ما خرج إلى النور ورأى تلك القطعة التي في يده عرفها بلا تردد ولاتفكير.!! وانقلب راجعا مسرعا ليرى هل كل ذلك الذى تساقط من السقف على هذا النمط.. ورأى ماسره وأفرحه وأثلج فؤاده.!! إنه كله

ذهب أحمر.. وجمع ذلك الذهب كله في كيس.!!

وإذا هومقدار عظيم لايستهان به وسوف يكون فيه غناء إلى آخر حياته.. إذا احسن التصرف فيه ونماه وترك طريقة التهور فيه النفقات.!!

وتذكر الشاب والده في هذه اللحظات السعيدة وقال رحمك الله يا والدي فلقد كنت حكيم التصرفات !! صائب النظرات عميق التفكير سليم التدبير.!! ولقد وعظتني وأرشدتني حيا.!! ووعظتني وأرشدتني ميتا.. فرحم الله تلك العظام النخرات والأعصاب المبعثرات.!! ذات الذكريات العطرات.!!

وأخذ الشاب يمطر على والده بأمثال هذه الدعوات التي تفيض بالحب والشكر والثناء.!!

ثم أخذ كيس الذهب وأخفاه في مكان حصين بعد أن وضع في جيبه عدة جنيهات.!! وذهب فصرفها واشترى منها كل ما يحتاج إليه في بيته كما اشترى لنفسه كسوة فاخرة ورمى عنه تلك الأسمال البالية.. وشرع في إعداد نفسه لحياة جديدة.. بعيدة عن الزيف والبهرج والخداع.!!

وانقطع الشاب عن الرفاق الذين كان يعمل معهم... وتساءلوا أين ذهب .؟! ودفعهم الفضول إلى أن يسألوا عنه.. لاحبا له ولا شفقة عليه ولكنه الفضول كما قلنا.. وعلموا أن الشاب قد اغتنى وأنه ينفق نفقات من لا يخشى الفقر.!! وذهب الرفاق الثلاثة إلى الشاب .! ليسألوا عنه.!! وليهنئوه. وليعرفوا مصدر ثرائه الأخير.!! وليربطوا حبالهم بحباله.!!

فرحب بهم الشاب وأدخلهم بيته وأكرمهم غاية الإكرام وأضافهم أحسن ضيافة.. وفتح صدره لهم.. فسألوه عن هذه الثروة .؟ وهنأوه بها وقالوا لعلها أمانة كان الوالد وضعها عند أحد أصدقائه لينقذك بها في وقت الشدة.؟!

فقال الشاب نعم ان الأمر كما تصور تم.. وكان الوالد رحمه الله عرف بما سأصير إليه فأودع هذه النقود عند أحد أصدقائه وأخبره متى يعطيني إياها ولقد جاءت إلى في الوقت المناسب.!!

وأنا الآن لست في حاجة إلى العمل!! فإن المال الذي ادخره لي والدي كثير لن أحتاج منه إلى عمل وأنتم اخواني الأوفياء الذين لم أجد في الشدة من يواسيني غيركم.. وإن الوفاء يحتم علي أن أعرف لكم هذه المزية فبيتي مفتوح لكم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار..!!

وشكره الرفاق على شعوره الطيب نحوهم وأثنوا على شهامته ووفائه.. وصاروا يترددون عليه وهويكرمهم غاية الاكرام.!! وإذا تأخروا عنه في يوم من الأيام دعاهم إلى داره وأقام لهم حفلة غنية بما لذ وطاب من أطايب الطعام.!!

وسافر الشاب في شأن من شئون تجارته التي صار ينميها ويبيع ويشتري فيها.!! ثم عاد إلى مقره الرئيسي وذهب إلى أولئك الرفاق فدعاهم إلى حفلة خاصة.. ذكر أنه أقامها لهم بمناسبة عودته من سفره.!!

ولبى الرفاق هذه الدعوة.. وجاؤوا إلى صديقهم فرحب بهم

وأجلسهم في أحسن مجلس.وصار يتحدث إليهم في مختلف المجالات وهم يجاذبونه أطراف الحديث.!!

وكان عند الشاب هيب صغير أو عتلة كبيرة قد روثها عن المرحوم والده وقد ذهب بها إلى الحداد وقال له اشذب من هذا الهيب قطعة واتركه ناقصاً.. فشذب الحداد منه قطعة كبيرة ثم أعاده إليه..

وقال هذا الشاب لرفاقه :- يا إخواني إن عندي عجيبة سوف أطلعكم عليها.!! وأقص عليكم خبرها !! وتطلع الرفاق إلى هذه العجيبة واشتاقوا إلى رؤيتها.!!

وقام الشاب من عندهم ليأتي بالعجيبة التي لم يخبرهم بحقيقتها !! وتأخر الشاب في احضار تلك العجيبة ليزدادوا شوقا إلى رؤيتها.. ثم جاء الشاب بذلك الهيب أو العتلة وألقاها بين رفاقه.!!

وقال لهم انظروا يا إخواني إلي هذا الهيب إنه من مخلفات الوالد رحمه الله.!! وكنت أعرف أنه كان سليما لا نقص فيه ولا عيب ولكنني عندما رأيته منذ وقت قصير وجدت فيه هذا النقص.!!

وراقبت هذا الهيب فإذا الفئران تأتي إليه وتقرض منه أجزاء دقيقة وتأكلها !! حتى أكلت منه هذا الجزء الكبير الذي ترونه.!! فهل تصدقون أيها الرفاق بهذا الخبر.. ؟

وتسابق الرفاق إلى الكلام وتسابقوا إلى تصديق هذا الخبر.!! وقال أحدهم إن قوة الفأر كلها مجتمعة في أسنانه كما شاهدنا الآن وهوينحت الحجر. كما صنع بسد مأرب في قديم الزمان

ويخرق الحيطان بما فيها من تماسك وقوة.!!

وعلى العموم فإن الفأر لا يمكن أن تقاس قوته بحجم جسمه وإنما قوته أمر معنوي تظهر آثاره.. ولا تنكشف أسراره.!!

وأمن الرفقة كلهم على هذا الكلام وشرع كل واحد منهم يأتي بالأدلة والشواهد تصديقا لما قاله زميلهم الشاب.!!

وعندما سمع كلام الرفقة.. وانتهوا من هرائهم وتعليلاتهم المعلولة.!! قال لهم وما رأيكم أيها الرفاق.؟ هل يستطيع الفأر أن يأكل من قرص العيش .؟!

وتذكر الرفاق موقفهم من هذا الشاب عندما جاء بقرص العيش الناقص.. وقال لهم إن الفأر أكله فكذبوه وقالوا إن الفأر لا يأكل الخبز.!! وأقاموه من بينهم ليأكل قرصه الناقص وحده فلا يشاركهم في أكلهم ولا يشاركونه في أكله.!!

وسكت الرفاق ولم يحيروا جواباً.. فإنه لا مجال للتوفيق بين ما أنكروه سابقا.. وما أقروه لاحقا.!! ونظر الرفاق بعضهم إلى بعض لعل واحداً منهم ينقذ الموقف بكلمة لطيفة أوتعليل مقبول.!!

ولكن أحداً من الرفقة لم يتكلم.!! وكان الشاب في هذه الليلة لم يقدم إلى الرفقة أي شيء من أنواع الأطعمة التي اعتاد أن يقدمها.!!

ونظر الشاب إلى هؤلاء المتلونين.!! المتملقين .! الذين يتقلبون مع الدهر.!! ويكونون عوناً مع الشدائد.!! وأصحاباً

لأرباب الموائد.!! وقال لهم اخرجوا من بيتي يا أصحاب الهيب.! ورواة الأكاذيب.!! ورفاق المال.!! وأتباع الدجال.!!

ولبس كل واحد من الرفقة حذاءه وخرج من البيت يجر نفسه جرا.!!

ورجع الشاب إلى نفسه وفكر في وضعه تفكيراً جدياً.!! ورأى أن المال الذي ينفق منه ولا يزاد فيه ينفذ مهما كان كثيرا.!!

ولهذا فقد قرر أن يفتح حانوتا للبيع والشراء لينمي ثروته..ويملأ وقته.. ويشغل نفسه بالعمل النافع لئلا تشغله بالعمل الضار.!!

وسار الشاب في هذا الطريق.!! ولم تمض فترة طويلة من الزمن حتى كون الشاب نفسه من جديد.. وجعل لنفسه مركزاً مالياً واجتماعياً يضاهي مركز والده المرحوم.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سالفـــــة :

٢- بنت السُلطان اللى شُوفتها بمائة ربية

«رويت أصل هذه السالفة عن الأخ العزيز الشيخ سليمان الملاحي... »

قال أحد الأطفال في هذه الليلة إنني سوف أقص عليكم سالفة بنت السلطان التي رؤيتها بمائة ربية.. وهذه السالفة قديمة جداً.. وقد انحدرت إلينا عن العصور المظلمة... ورواها الخلف عن السلف حتى وصلت إلينا بهذه الصورة التي تخالف عاداتنا وتقاليدنا المشروعة.

فوافقت الجدة ووافق الاطفال على ذلك.. وشرع الطفل في سرد سالفته قائلا:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي عنده بستان يحرثه ويزرعه ويعيش من غلته هووزوجته وأولاده الثلاثة الكبير والصغير والأوسط.!!

وكبر الأولاد إلا أنهم كانوا لا يساعدون والدهم بأي

عمل.. فهم إذا جاعوا جاءوا إلى البيت فأكلوا وإذا ظمئوا جاءوا إلى البيت فشربوا.. أما أوقاتهم فهي مصروفة إلى اللعب والعبث.!!

وصبر والدهم عليهم لعلهم يكبرون قليلاً فيعرفون قيمة الحياة وأن الذي لا يساهم بمجهود في سبيل العيش لا يستحق أن يحيا.!! وكان الوالد يوجه النصائح إلى أولاده ما بين وقت وآخر إلا أن الأولاد كبروا دون أن يلتفتوا إلي نصائح أبيهم أومساعدته حتى أن الكبير منهم طلعت لحيته وشاربه والأوسط طلع شاربه والصغير قريبا ما يطر شاربه...

واحتار والدهم في أمرهم وفكر في تدبير أوتصرف يجعل كل واحد من أولاده يعتمد على نفسه... وأخيرا وجد الرأي واهتدى إلى طريقة لعلها تعيد إليهم صوابهم وتجعل كل واحد منهم يشعر بالحياة على حقيقتها ويؤدي واجبه فيها كما يجب أن يؤدى..

وجمع الأب أولاده ذات يوم وقال لهم يا أولادي لقد كبرت وقل جهدي وأنا إن بقيت لكم هذه السنة فلن أبقى في السنة الثانية وإن بقيت الثانية لم أبق الثالثة.. وأنا أريد أن كل واحد منكم يسعى لتكوين نفسه بنفسه ويمارس الحياة بفكره وجهده... ويهيء أسباب العيش له ولأسرته...

وقد جمعت لكم يا أولادي مائتين وخمسين ربية.. وسوف أقسمها عليكم فأعطي إثنين كل واحد منهما مئة وأعطي الثالث خمسين مصحوبة بنصيحة قد يستفيد منها سامعها أكثر مما يستفيد من المال...



هكذا علق الشاب تيسه ليذبحه من فخذه.. لا من رقبته

فقال الكبير: أنا أريد مائة ولا أريد نصيحة.. وقال الأوسط وأنا كذلك أريد مائة ولا أريد النصيحة.. وبقي الصغير فقال له والده إنني سوف أعطيك الخمسين وأعطيك النصيحة وأنا أرجوأن ينفعك الله بها أكثر من المال..

فتقبل الصغير كلام والده برضا واطمئنان وعلق آمالاً كبيرة علي نصيحة والده التي سوف يخصه بها وقسم الوالد تلك الربيات على أولاده حسب ما قال لهم واستعد الأولاد للرحيل إلى بلاد أخرى يبحثون فيها عن الرزق والمعيشة..

وعندما خرج الإخوان الثلاثة من البلد تبعهم والدهم فودعهم واحداً واحداً.!! ثم جاء إلى الصغير فخلا به وقال له يا ولدي إذا اعترضتك في حياتك مشكلة واحترت في حلها فاستشر من هوأكبر منك سناً فإذا أشار عليك برأي فاقبل مشورته ونفذ رأيه فإنك بذلك تصل إلى ما تريد.!!

وواصل الأخوة الثلاثة مسير هم وصاروا يتنقلون من بلد إلى بلد إلى أن أتوا مدينة كبيرة فقرروا أن يقيموا فيها وأن يتفرقوا في أنحائها بحثا عن العمل والمال وكان في هذه المدينة ابنة لأحد السلاطين وكانت بارعة الجمال موفورة الدلال.. حتى أشتهر أمرها في العالم بأنها أجمل فتاة في الدنيا.. وكانت تسكن في قصر عظيم يطل على ميدان واسع وتحيط به حديقة غناء فيها من كل أنواع الأشجار المثمرة من تفاح ورمان وخوخ وتين وعنب واترج ونخيل وما إلى ذلك مما لا يحيط به الوصف..

وكانت هذه الفتاة لا تسمح لأحد برؤيتها حتى يدفع لها

مئة ربية وكانت مائة الربية في الأزمان الماضية لها شنآن عظيم وليس من السهل أن يحصل عليها الإنسان إلا في دهر طويل وبعد جهد كبير .!

وكان الشباب والمراهقون يتهافتون على قصر هذه الأميرة لرؤيتها بعد دفع الضريبة المقررة فإذا اجتمع خمسون شاباً أوأكثر سمحت الأميرة لهم بدخول الحديقة ثم جمعوا في مكان قريب من إحدى النوافذ فتطل عليهم ابنة السلطان من تلك النافذة فيرونها وتسلم عليهم ويسلمون عليها كل ذلك من بعيد لبعيد فإذا بقوا ينظرون إليها بضع دقائق انصرفت عنهم ودخلت في قصرها ثم أخرجوا من الحديقة.. وبهذا تنتهي هذه الزيارة..

وسمع الأخوة الثلاثة بجمال هذه الأميرة.. وما يحاك حولها من أخبار مدهشة وأوصاف ساحرة.. فقرروا أن يذهبوا لرؤيتها وأن ينفقوا ما في أيديهم في هذا الشأن والرزق على الله..

وذهب الأخوة الثلاثة إلى قصر ابنة السلطان وقابلوا الجابي الذي يستقبل الهواة ويأخذ منهم الأموال ويعطيهم بذلك الإيصال.. ودفع الكبير له مائة فأخذها وأعطاه بها وصلاً ودفع الأوسط كذلك وأخذ وصلاً وجاء دور الصغير فقال يا سعادة الجابي الكبير إنني فتى صغير وليس معي إلا خمسون ربية فأرجو أن تقبلها وأن تسمح لي بمشاركة إخوتي في رؤية الأميرة.!!

فقال الجابي إنني لا أستطيع أن أقبل أقل من مائة ربية فأنا أحاسب على هذه الضريبة وليس معقولا أن أخسر من جيبي خمسين ربية من أجلك ولوفتحت هذا الباب وأخذت مبالغ أقل

من النصاب لكان في ذلك خسراني وفقداني هذا المركز الذي يغبطني عليه الكثير من الناس .!

وحاول الشاب وألح ولكنه لا فائدة من المحاولات ولا جدوى من الإلحاح.. وخرج الشاب الصغير من حديقة الأميرة كسير الفؤاد وبقي إخوته داخل الحديقة في انتظار إطلال الأميرة عليهم واجتمع الأخوة الثلاثة ليلاً وتحدث الأخوان الكبيران عما رأيا فازداد شوق الفتى الصغير وعظم بلباله.!!

وجاء الصباح فخرج الأخوان الكبيران وحدهما.. وخرج الأخ الصغير وحده.. وصار يمشي في الشوارع والحسرة تأكل قلبه... وتذكر في هذا الوقت العصيب نصيحة والده بأن يستشير من هوأكبر منه فيما يستعصي عليه من الأمور وما بشتبه عليه من الدروب.. واستمر يهيم في الشوارع ويتفحص الوجوه !!

وبينما كان يمر في أحد الشوارع المنزوية وإذا به يرى شيخا وقوراً قد جلس في ظل جداره ينظر إلي الغادي والرائح.. وجاء الفتي حتى قرب من الشيخ فسلم عليه وجلس محاذياً له وقال الفتى للشيخ إن لي قصة.. ولدي هموم فإذا سمح لي الشيخ قصصت عليه قصتي...وأفضيت إليه بهمومي!!

وكان هذا الشيخ يرغب في أن يسمع جديداً وَأن يجالس غريباً وأن يبذل معروفاً بقدر جهده ولهذا فقد استقبل طلب الشاب بسرور ظاهر. وقال له قص علي قصتك وافض إلي بمكنون فؤادك وسوف تجد عندي كل ما يسرك ويرضيك. !!

وسمع الشاب هذا الكلام فقوي أمله في الوصول إلى هدفه

وأخبر الشيخ بنصيحة والده كما أخبره بما حدث لأخويه.. وأنه يريد أن يرى هذه الأميرة .. ولكن قدرته المادية تحول دون ذلك.. فقال له الشيخ هون عليك فإنك إن اتبعت مشورتي رأيتها بأبسط ثمن وأقل كلفة فقال الشاب بشوق ولهفة إنني سامع لك ومنفذ لرأيك مهما كلفني من جهد !!

فقال الشيخ إن الخطة التي أريد أن تتبعها هي أن تشتري تيساً.. ثم تذهب إلي الصحراء فتصيد جربوعاً.. وبعد ذلك تأتي بالتيس والجربوع حتى تكون تحت قصر إبنة السلطان وبعد ذلك علق التيس من رجليه وحاول أن تذبحه من جهة ذنبه وعند ذلك سوف يحدث التيس جلبة وأصواتاً مزعجة.!! هي التي سوف تفتح لك الأبواب.. وتسهل لك المآرب ثم رسم الشيخ للفتى الطريقة التي يجب أن يسير عليها من البداية إلي النهاية..

وذهب الفتى إلى الصحراء فاصطاد جربوعاً.. وذهب إلى السوق فاشترى تيساً ثم ذهب بالتيس إلى أن صار بجوار قصر ابنة السلطان وعلق خيطاً في غصن إحدى شجرات الحديقة وعلق التيس من رجليه.. وجعل يحز حزه بالسكين من ذنبه فصار التيس يثغو بصوت مرتفع ولافت للنظر !

وأطلت إحدى وصيفات الأميرة فرأت هذا المنظر الغريب العجيب.. وذهبت إلى سيدتها الأميرة مسرعة.. وقالت لها تعالي انظري إلى هذا المشهد العجيب الذي بجوار قصرك.. فقالت الأميرة أي مشهد؟ فقالت الوصيقة إنني لا أستطيع أن أصفه لك ولكن تعالي لترى بنفسك فتعجبي وتضحكي !!

وذهبت الأميرة مع وصيفتها وأطلت على الميدان فرأت ذلك الشاب يحاول أن يذبح التيس من جهة ذنبه والتيس يتألم ويثغو بشكل يلفت الأنظار.!! رأت الأميرة هذا المشهد فضحكت منه حتى كادت أن تستلقي على ظهرها ثم قالت لوصيفتها اذهبي إلى هذا الشاب وأدخليه في القصر واذبحي له تيسه واسلخيه وقطعيه ثم أعطيه إياه ليعمل به ما يريد وأخرجيه ليذهب إلى حيث يشاء...

وذهبت الوصيفة إلى الشاب وقالت له أنزل التيس وتعال به معي لأذبحه لك.. وفرح الشاب وأخذ تيسه وتبع المرأة حتى أدخلته في القصر وذبحت تيسه وسلخته وسلمته إليه فقال لها إنني غريب وليس هناك من يطبخه لي فأحسنوا إلي واطبخوا لحم تيسى لآ كله ثم أذهب في حال سبيلي.. وذهبت الوصيفة إلى سيدتها وأخبرتها بمقالته فقالت الأميرة دعوه في غرفة عند الباب واطبخوا له لحم تيسه وأعطوه إياه !!

ونزلت الأميرة إلى حديقة القصر لتتجول فيها على عادتها فرآها الشاب مقبلة ورآها مدبرة وسمعها وهي تلقي أوامرها على وصيفاتها ورآها وهي غاضبة على أحد الخدم توجه إليه بعض اللوم والتقريع.. والمهم أنه رأى مالم يره أخواه وسمع مالم يسمعه أخواه وكل ذلك بأبسط الأثمان وأقل التكاليف.. ومضى النهار ولم ينضج لحم التيس !

وأخيراً جاءت إليه الخادمة بلحم تيسه فأكل منه حتى شبع ثم قال ارفعوا هذه البقية لأتعشى بها فقالت له الخادمة إن عليك أن تأخذها معك وأن تغادر المكان فقد أقبل الليل.. وليس من

لأرفع صوتي بالآذان الأول لصلاة الفجر وحاولت الأميرة أن تقنعه بأن لا يفعل ولكن الشاب أصر على أنه لا بد من الآذان.!!

وحاولت الأميرة أن تغريه بالمال ليسكت ودفعت له خمسة آلاف جنيه ليسكت ولكنه رفض هذا المبلغ وزادته إلى أن بلغ ما دفعته إليه عشرة آلاف جنيه فسكت ولكن الأميرة ندمت على دفع هذا المبلغ الكبير لهذا الشاب الصعلوك وأرادت أن تحتال عليه لاسترداد المبلغ وقالت له :-

إن لدي هرة أضع الكوب على رأسها وهوملآن بالماء فتدور به في هذا المكان سبع دورات دون أن يسقط الكأس أويتناثر الماء فقال الشاب إنني لا أصدق أن شيئاً من هذا يكون فقالت الأميرة.. فلنعمل رهاناً ولنر هل يكون أم لا يكون .!!

واتفقا على أن القطة إذا دارت بالكأس سبع مرات دون أن يسقط الكأس أويراق الماء الذى فيه فإن الأميرة تكسب الرهان وتأخذ خمسين جنيهاً وإذا سقط الكأس أوأريق الماء خسرت الأميرة الرهان ودفعت للشاب خمسين جنيهاً.

وجاءت الأميرة بالهرة ووضعت على رأسها كوب الماء ودارت سبع دورات دون أن يسقط الكأس أويراق الماء وربحت الأميرة الرهان ودفع لها الشاب خمسين جنيهاً.. ثم أعادت اللعبة برهان جديد وكسبت الأميرة أيضاً!!

وقال الشاب للأميرة فلنجعل الرهان مائة جنيه وفرحت الأميرة وأيقنت بأنها سوف تسترد المبلغ الذى دفعته إلى الشاب في بضع لعبات. ووضع الكأس على رأس القطة ودارت دورتين ثم أخرج الشاب إلى القطة رأس الجربوع بدون أن تشعر الأميرة

فاختل توازن القطة عندما رأت الجربوع وجاءت مسرعة وبلانظام إلى جهة الجربوع فسقط الكأس وأريق ما فيه.. وكسب الشاب الرهان.!!

واستمرت الأميرة في هذه اللعبة واستمر الشاب يكسب الرهان مرة بعد أخرى إلى أن لم يبق عند الأميرة أي شيء تراهن عليه.. لأن الشاب ربح كل ما عندها..

وقالت الأميرة إنني سوف أراهنك على نفسي فبأي ثمن تقدرني.. فقال إنني أقدر قيمتك بكل ما معي.. وطمعت ابنة السلطان وقوي عندها الأمل في أن تستعيد كل ما خسرت في صفقة واحدة.!!

وملأت الكأس ووضعته على رأس الهرة ودارت دورتين وثلاثاً وأربعاً وقوي الأمل عند الأميرة بأنها سوف تنتصر هذه المرة وفي الدورة السادسة أخرج الشاب إلى الهرة رأس الجربوع فاختل توازنها وسقط الكأس وأريق الماء.. وكسب الشاب الرهان وصارت الأميرة والأموال ملكاً له.!!

وقالت الأميرة للشاب إنني الآن مع جميع هذه الأموال ملك لك فتصرف فينا كما تشاء.. فأمر الشاب بالاستعداد للسفر بالأميرة وجميع أموالها.. وتمت الاستعدادات وذهب الشاب إلى أخويه فأخذهما معه وسار الركب في الصحراء متوجهاً إلى موطن الشاب..

ورأى الأخوة ما لأخيهم الصغير من نعمة وما حصل عليه من ثروة فحسدوه وشعروا في أنفسهم بالذلة والصغار.. كيف يحصل الصغير على هذا كله بينما الكبار لا يملكون شيئاً.. وأبطن الأخوان الشر لأخيهم وبيتوا له الغدر.. وبقوا ينتظرون وصول دحل في الصحراء وهي بئر طبيعية أعلاها ضيق وأسفلها

واسع فيه وديان وشعاب ومرتفعات ومنخفضات ومتاهات..

وعندما وصلوا إليه تطلع الأخوة بعضهم إلى بعض من ينزل في هذا البئر أوالدحل ليملأ قربهم ولكن كل واحد من الأخوة تخوف من النزول في هذا الدحل.. فلم يكن من الأخ الصغير إلا أن بادر وقال أنا أنزل في الدحل وأملأ القرب.. ونزل الشاب أسفل الدحل وفي يده حبلان أحدهما لجذب الماء والثاني للاهتداء إلى فم الدحل عند الخروج..!!

ورأى الأخوة أن هذه فرصتهم الوحيدة لصب سموم حقدهم.. وحسدهم لأخيهم.. فجذبوا الحبلين وتركوا الشاب يهيم في شعاب ذلك الدحل وفي ظلماته بلا أنيس ولا أمل في الخلاص.!!

وذهب إخوته بالمال وبالأميرة وتركوا أخاهم للضياع والهلاك.. ولكن الشاب سار في تلك الشعاب والوديان.. وصار يأكل من أعشاب تلك الشعاب ومن طيورها وخشاشها.. واستمر في السير وهولم يقطع الأمل في الخلاص من محنته التي رماه إخوته فيها.!!

وبعد مسير حثيث.. بضعة أيام داخل الأرض رأى الشاب نوراً قليلاً يضيء أمامه فقصده فإذا هو باب يخرجه إلى ظاهر الأرض ونظر يميناً وشمالاً حتى عرف أين يقع وأية جهة تكون بلده.. وسار في اتجاه بلده.. ووصل إخوته إلى والدهم ووالدتهم وأنزلوا الأموال والأميرة في دار كبيرة استأجروها.!!

وسأل الوالدان ولديهم عن أخيهم الصغير فقالوا إننا افترقنا نحن وإياه في عرض الطريق فاتجه إلى مدينة بينما اتجهنا إلى مدينة أخرى ولهذا فنحن لا نعرف عنه أي خبر!!

وأنزل الإخوة أحمالهم.. وكان في الأحمال صندوقان كبيران لم يستطع الأخوة فتحهما فمفاتيحهما غير موجودة لديهم وقد كان الأخ الصغير يحتفظ بهذين المفتاحين ويعلقهما في رقبته ويحافظ عليهما في ليله ونهاره.

ووصل الابن الصغير إلى أهله وسلم على والديه وأخبرهم بالقصة وجاء إخوانه للوالد والوالدة وقال الوالدان كيف صنعتم بأخيكم ذلك الصنيع وأردتم هلاكه وأخذتم ماله وكسبه فقال الأخوة لقد كذب فالكسب كسبنا والمال مالنا وليس له فيه أي نصيب.!!

وقال الولد الصغير لوالديه إن لدي دليلاً على أن المال مالي ثم أشار إلى المفتاحين.. وقال هذه مفاتيح الصناديق معي وهي الدليل على أن هذا المال مالي.. فقال الإخوة لقد كذب فالمفاتيح مفاتيحنا وقد سرقها منا وهرب فقال الصغير لإخوته وأمام والديه إذا كانت الصناديق لهم فهم لا بدَّ أن يعرفوا ما بداخلها.. فإذا عرفوه فهي لهم.. أما إذا لم يعرفوا، فمعنى هذا أن المال ليس لهم إنهم أخذوه مني هكذا وبقي مجهولا لديهم.. أما أنا فإنني أعرف ما بداخل هذه الصناديق.!!

اتفق الأخوة على هذا الأمر وأن هذا هو الدليل القاطع لمعرفة صاحب المال والأحمال.. وقال الأخوان إن في هذا الصندوق ذهباً فقال الأخ الصغير إن الذي فيه فضة وفتح الصندوق فرأى الجميع أن الذي في الصندوق فضة لا ذهباً.. ثم جعل الإخوة يكشفون الصناديق واحداً تلو آخر.. ويخبرون بما في داخلها قبل فتحها فيصدق الصغير ويكذب الكبيران !! ورأى الوالدان ذلك وتحققا أن

الأموال والأميرة للصغير فحكما بها له فاستولى عليها ولكنه كان شهماً كريماً فعطف على إخوانه وواساهم وأعطاهم حتى أغناهم وقدٍ تجاهل ما صنعوا به وتناساه حتى كأنه لم يكن وعاش الجميع في رغد من العيش رغيد والكل منهم راض وسعيد..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت..

لتركي بن حميد في التجارب والأحداث

من لا يدوس الراي من قبل ماديس
عليه داسوه العيال القرومى
ومن لا يقدم شذرة السيف والكيس
تبدي عليه من الليالي ثلومى
ومن يأخذ الدينا بميز وتقييس
مثل الذي يسبح بليل يعومى
اعمل وتلقا وافهم العلم بالقيس
دنياك لوزانت تراها نقومى
تضحك وتخفى لك خفي الهناديس
وتفطر بها يوم والآخر تصومى



سالفـــــة :

٣-في المقارنة بين كريمين!!

كان أحد الأطفال قد سمع من والده سالفة في الكرم والكرماء.. والمفاضلة بين كريمين.. فأحب أن يسمعها من جدته مرة ثانية.. فقال للجدة قصي علينا سالفة ابن سويط وضيفه..

فقالت الجدة حباً وكرامة..

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال كثير الأسفار.. وكان من الرجال المعروفين بالعقل والحكمة والرزانة.. كما أنه مشهور لا يكاد يجهله أحد.. وكان موضع الحفاوة والإكرام أينما حل.!!

وساقته الأسفار ذات مرة إلى أن يكون ضيفاً لمنديل.. ومنديل هذا رجل فلاح في بلاد طي فاستقبله الرجل استقبالاً كريماً وقدم له الضيافة التي تليق بمثله.. كما أكرم راحلته إكراماً له.. فخلطها بمواشيه.. ومكث الرجل المسافر عند مضيفه ثلاثة أيام إلى أن ارتاح وارتاحت راحلته.. وكانت هذه الإقامة أيضاً مجاملة للمضيف الذي ألح على ضيفه بأن يبقى عنده

هذه المدة أوأطول منها..

ورحل المسافر.. متجهاً إلى كبد الشمال.. حتى وصل إلى ابن سويط شيخ قبيلة الظفير.. فاستقبله هذا الشيخ استقبالاً كريماً... واحتفى به حفاوة زائدة وأبقاه عنده أطول مدة ممكنة.. وهو يزيد في إكرامه يوماً بعد يوم.!!

وانتهت مدة الضيافة.. وأراد الضيف أن يسافر.. فسأله مضيفه ابن سويط قائلاً :- هل حللت عند أحد فأكرمك زيادة عما أكرمناك.؟! فتوقف الرجل عن الكلام.. لأنه فوجئ بهذا السؤال وهو سؤال محرج فيه مفاضلة.. وفيه تفضيل قوم على قوم آخرين.. والكرم والشجاعة عند العرب هما أبرز الخصال التي يسمو بها الرجال ويمتاز بها على أقرانه..

وطال توقف الضيف عن الجواب على هذا السؤال فاستحثه مضيفه على أن يجيب... ولكن الرجل لم يجب على هذا السؤال.. وإنما قال لمضيفه.هل أجيب وعلى الأمان.. وقد كان ابن سويط هذا شيخاً كبيراً مرموق الجانب عظيم المقام واسع الشهرة..

فقال ابن سويط أجب بالحقيقة وعليك الأمان.. فقال الضيف نعم لقد حللت ضيفاً على منديل في قرى جبل طي في السنة الفلانية وكانت سنة جدب وقحط فأكرمني إكراماً يفوق إكرامك أيها الشيخ.. وأنا أرجوك العفو.. فلم يكن بودي أن أصرح بهذه الحقيقة لأنها قد تغضبك.. ولكنك طلبت مني أن أكون صريحاً وصادقاً.. فقلت لك ما قلت..

فقال الشيخ ابن سويط لضيفه.. وهل قدم لك منديل من الضيافة أكثر مما قدمنا لك..

فقال الضيف إنني لا أعتبر الكرم بكثرة ما يقدم ولكنني

أعتبره بالانفاق في وقت الحاجة.. وبلوغ الدرجة العالية في أوقات الشدة..

والفرق بينك أيها الشيخ وبين منديل أن منديل يخرج الماء لزراعته من عمق سحيق.. لا يخرُج منه الماء إلا بعد جهد ومشقة لا حد لها..

أما أنت أيها الشيخ فتعيش على ضفاف الأنهار.. بين تلك الجداول الجارية.. والأرض المخصبة.. ولديك ثروة طائلة تنفق من أطرافها.. ولا تمس صميمها.. وهذا هوالفرق بينك وبين منديل..!!

فغضب ابن سويط من هذا الكلام.. والتهب دم الغيرة في رأسه.. وكاد أن يفتك بضيفه لولا أنه ذكر أنه أعطاه الأمان.!!

وفكر الشيخ.!! فقد سمع كلاماً يمس كيانه.. لأن الكرم في نظره من أبرز الخصال التي يفاخر بها.. ويعتز بها ويريد أن يكون فيها مبرزاً لا يدانية أحد..

ولكنه فوجىء من ضيفه بما لم يكن يتوقعه.. فقد سمع أنه يفضل عليه شخصاً مغموراً لم يسمع باسمه طيلة أيام حياته الماضية..

وقال الشيخ ابن سويط لضيفه لقد أغضبتني بكلامك هذا ولولا أنك كنت أخذت مني الأمان سابقاً لكنت قتلتك.. وسوف أبحث عن الأمر فإن كان كلامك صحيحاً أخليت سبيلك.. وإن كان كلامك غير صحيح.. فلن يشفي غلتي إلا سفك دمك.!!

فقال الضيف.. إن رقبتي هذه ملك لك تتصرف فيها كما تشاء إذا كنت كاذباً فيما قلت..

وبقي الضيف سجينا عند الشيخ حتى يطلع على الحقيقة فإما أن يقتله.. وإما أن يخلي سبيله..

وأرسل الشيخ ابن سويط.. وفداً إلى منديل ليأتوه مفاجأة... وليختبروا كرمه.. وليروا هل هوكما قيل عنه أم أن ما قيل لا يمت إلى الحقيقة بصلة.. وأن القصد منه إهانة ابن سويط.. والحط من قيمته.. وطعنه في جانب عزيز عليه..وغال عنده وهوجانب الكرم.!!

بقي الضيف سجيناً في انتظار النتائج.. وكان واثقاً من كرم منديل.. ومن أصالة طباعه.. ولكنه مع هذا كان يداخله شيء من الخوف من نتائج رحلة وفد الاختبار..

إن حياته معلقة بكلمة واحدة يقولها هذا الوفد فإن كانت ثناء على منديل نجا من الموت.. وإن كانت سباً له هلك.. وبقيت الشكوك والوساوس تشغل بال الضيف السجين.. وتديم همومه ومخاوفه.. طيلة المدة التي قضاها الوفد في الطريق روحة وإياباً!!

أما الوفد فقد واصل مسيره إلى منديل الذي يبعد عنهم مئات الأميال.. ويفصل بينهم وبينه سلاسل من الجبال وكثبان من الرمال.. وسهول وشعاب واسعة..

أغذ الوفد في السير حتى قاربوا مزارع منديل واستشار بعضهم بعضاً عن الوقت المناسب لمفاجأة منديل بهذه الضيافة.. واتفقوا على أن يكون الوقت المناسب بعد غروب الشمس مباشرة..

ورتبوا أمورهم.. وقدروا سيرهم ليكون وصولهم إلى منديل في هذا الوقت بالذات.. وقارب الوفد مزارع منديل.. قبيل غروب الشمس.. ورأوا بعض الأشجار التي في مزارعه.. وكان

على رواحلهم بعض بقايا الماء الذي أصبح لا حاجة إليه.. وإنما فيه إرهاق لمطاياهم.. ومشقة عليها..

ولهذا فقد أوقفوا المطايا عندما أقبلت الشمس على الغروب وأراقوا ما في القرب من الماء.. الذي لا حاجة إليه بعد الآن... وواصل الوفد سيره الحثيث فلم يصل إلى مزارع منديل إلا قبيل العشاء.. وأناخوا رواحلهم..

وكان منديل في استقبالهم فرحب بهم أكرم ترحيب.. وخلط دوابهم بدوابه.. وأمر بأن يقدم إليها أطيب العلف وأنفعه... أما الضيوف الكرام فقد قادهم منديل إلى منزله...وجهز لهم القهوة والشاي وهم عن يمينه وشماله.. وصبها لهم.. ثم قام إلى أهله فوجدهم قد هيأوا مائدة الطعام.. وعليها عدة ذبائح..

وجاء منديل إلى ضيوفه.. ودعاهم إلى القيام معه لتناول الطعام فقاموا معه ليروا ما هو هذا الطعام.. فقد ظنوا أنه فاكهة.. أو بعض الأكل الخفيف الذي يقدم للضيوف أولاً كتمهيد لطعام الضيافة..

وعندما دخل الضيوف غرفة الطعام.. وجدوا مائدة ممدودة وخرافاً مطبوخة.. وطعاماً كثيراً لم يشكوا أنه كان مهيأ لغيرهم..ولكنه لأسباب لا يعرفونها قدم إليهم ولهذا فقد توقف الضيوف عن تناول هذا الطعام.. وقالوا لمضيفهم إننا لم نصل إليكم إلا منذ وقت قصير بحيث لا يمكنكم بعد وصولنا أن تهيئوا لنا هذا الطعام..

ولهذا فنحن نرى أن هذا الطعام جهز لغيرنا.. فنحن لا نعتبره ضيافة لنا.. ولا يمكن أن نتناوله.. بل لا بد من تقديمه لمن صنع له ممن لا نعرفه..!!

واعتذر منديل من ضيوفه.. وقال إنني كنت في المدينة ولم آت إلى مزرعتي إلا عند وصولكم.. فأنا لا أعرف شيئاً عن هذه الوليمة ولا لمن عملت.!! فاسمحوا لي أن أذهب إلى زوجتي لأسألها عن هذه الوليمة ولمن عملت.؟!

وذهب منديل ليسأل زوجته عن هذه الوليمة.. وبقي الضيوف أمام الطعام ينتظرون الجواب.. وغاب منديل فترة قصيرة من الزمن سأل فيها زوجته وأخبرها بما قاله الضيوف..

فقالت له زوجته إذا كان ركبهم هو الذي كان في الساعة الفلانية في المكان الفلاني.. وكانوا هم الذين أراقوا ماء قربهم في ذلك المكان.. فهذه الوليمة أوهذه الضيافة لهم.. أما إذا كان الأمر على غير ذلك فإن الوليمة ليست لهم بل صنعت لقوم آخرين وهم على حق.. ولهم مطلق الحرية في أن يأكلوها.. أوأن نصنع لهم ضيافة جديدة.!!

وعاد منديل إلى ضيوفه بهذا الجواب الواضح.. وقال لهم ما قالته زوجته..

فاعترف الضيوف بأنهم هم الذين كانوا في ذلك المكان ولكنهم قالوا كيف رأتنا زوجتك ونحن في ذلك المكان البعيد.؟!

وعاد الزوج إلى زوجته ليسألها.. فقالت لقد رأيت مع أشعة

الشمس بريق الماء الذي أراقوه من قربهم فعلمت أنهم قوم مسافرون.. وقد أراقوا الماء عندما رأوا خضرة مزارعنا.. كما أنني أعلم عن طريق التجربة.. أنهم سوف يكونون لنا أضيافاً ولهذا فقد أعددت العدة.. وهيأت لهم طعاماً.. لأن من كرامة الضيف أن تبادره بالطعام.. ليرتاح وينام.. ويستعد لمواصلة سفره.!!

وأخبر الزوج أضيافه بما قالته زوجته.. وعندئذ لم يبق عندهم أي شك في أن هذا الطعام صنع من أجلهم اصطفوا حوله.. وأكلوا منه حتى شبعوا.وناموا تلك الليلة عند مضيفهم..

ثم أرادوا أن يودعوه صباحاً.. ولكنه ألح عليهم في البقاء... ليعمل لهم وليمة تليق بمقامهم.. فليست تلك الضيافة التي تناولوها إلا ضيافة عابرة عملت على عجل.. وعلى شكل لا يتناسب مع مكانة الضيوف الكرام..

إلا أن القوم اعتذروا من مضيفهم بأنهم لا يستطيعون الإقامة أكثر مما أقاموا لأن وراءهم عمل يفسده التأخير فقبل منديل عذرهم.. وكرر لهم اعتذاره عن تقصيره في حقهم.. وودعهم.. وودعوه.. ثم.. عادوا أدراجهم إلى شيخهم ابن سويط.. وقد توصلوا إلى نتيجة هي في صالح ذلك الضيف الأسير الذى ينتظر عودتهم وينتظر الفرج على أيديهم.!!

عاد الركب إلى الشيخ.. وأخبروه بما رأوا وما سمعوا وما أكلوا وما شربوا.. فتعجب الشيخ مما جرى وقال لقد صدق ضيفنا فيما قاله عن منديل من كرم حاتمي. !!

ودعا الشيخ ضيفه فأخبره بخبر الوفد.. وقال لقد أخطأنا عليك وسجناك هذه الفترة.. فترة الانتظار فاطلب منا تعويضاً

لك عما لحقك من أذى..

فطلب الضيف فرساً كانت عند الشيخ مشهورة بالسبق والأصالة فأعطاه الشيخ إياها.. كما أعطاه كسوة ونقوداً.. وسرحه مكرماً معززاً.. مغبوطاً بما حصل عليه من فرس سابق.. ومال وفير !!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت!!

لعبد الله بن سبيل في الغزل

المهتوى طرد الهوى ما يعنيه
كنه على زل العجم بعد يانه
وسيل النحا ما ينعدل عن مجاريه
لوضرب السندا يكود علوانه
والله لولا العلم وادرى قوافيه
من مبغض يركب علينا حصانه
إنى لأجيه بساعة غاب واليه
وابهج ضميري لين يقطع بطانه
كان المراضى سيد الأحكام راضيه
فأنا عرفت رضاه سر وعلانه
الكل منا واردات ضوامية
ما به من الغيضة وزن ذرة آنه

سبحونـــــة:

٤- الحطاب الأحدب ورفيقه مع الجن

«رويت هذه السبحونة عن التاجر الوجيه الشيخ صالح العيسى وكتبتها بأسلوبي الخاص»

كان الجو في هذه الليلة حاراً وكانت الجدة في السطوح.. وبحث عنها الأطفال حتى وجدوها وقالت لهم إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة سبحونة الحطاب الأحدب ورفيقه مع الجن.!!

فوافق الأطفال إلا واحداً كان قد سمع هذه السبحونة فهولا يريدها بل يريد أن يسمع شيئاً جديداً ولكم جمهرة الأطفال أرادوا هذه السبحونة فتغلبت الأكثرية عليه وأرغموه على القبول فسكت مضطراً.. واستسلم للواقع على كره منه..

وشرعت الجدة في سبحونتها قائلة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي.. وإلى هنا هاك الرجالين اللذين أحدهما أحدب والآخر سليماً.. وكانا صديقين متلازمين تجمع بينهما مهنتهما، ويجمع بينهما

فقرهما... ويجمع بينهما حاجة كل واحد منهما للآخر.!!

وكان عملهما جلب الحطب صيفاً وجلب الأعشاب شتاء.. وكان كل واحد منهما يعيش ويعيّش عائلته بما يحصل عليه من هذا الطريق.. وكانا قد اتفقا على أن لا يعملا يوم الجمعة.. فتكون يوم الجمعة راحة يستجم كل واحد منهما فيه.. ويترك لبدنه فرصة يستعيد بها نشاطه وحيويته.!!

إلا أن صاحبنا الأحدب سئم من الفراغ في يوم جمعة من هذه الجمع.. وقال لنفسه لماذا لا تذهبين تبحثين عن رزق .. وتشغلين هذا الفراغ الذي ليس فيه إلا الهموم والوساوس والأحلام الكاذبة ؟!

عندما صلى هذا الأحدب صلاة الجمعة.. ركب حماره وذهب إلى الصحراء.. يلتمس الرزق.. من حطباً أوصيد.. أو لقطة ضائعة.. ووجد في شعبة من الشعاب حطب جزلاً.. فأوقر حماره منه.. ثم مشى في طريقة إلى القرية..

إلا أن الوقت كان متأخراً.. والليل قد أظلم.. والطريق موحشة.. وطويلة وسار إلى قريته بطريق الحدس.. لا على طريق مأثور.. وبينما كان سائراً هكذا وإذا به يرى بصيصاً من النور.. إنها نار تشب.. ولابد أنها لقوم مسافرين..

وزينت نفس الأحدب له أن يجعل طريقه عليهم فلعله يجد عندهم طعاماً أوشراباً يسدان بعض جوعه وظمئه واتجه بحماره صوب النار.. وعندما أقبل سمع غناء وسمع أنغاماً لطيفة..

وقرب أكثر فأكثر فرأى وجوهاً صباحاً.. وأشكالاً ملاحاً.. وفرح بذلك فرحاً شديداً وقال في نفسه هذا فريق من فرق البادية



الرجال الأحدب.. يجلس مع الجن ويستمع إلى أناشيدهم
ويندهش لرقصهم.!!

لديه زواج في هذه الليلة وسوف أصيب من طعامهم وشرابهم ما يسكت جوعي.!!

وعندما وصل الأحدب إلى الضوء وأهل الضوء رأى وجوهاً غريبة عليه.. فوضع الحطب عن ظهر حماره.. ثم قيده وجاء يسعى إلى القوم فلما قرب منهم سلم عليهم فردوا عليه السلام ثم استمروا في رقصهم وغنائهم.!!

وكان الراقصون يرقصون على أنغام الغناء الذي يسمعونه من مطربيهم.. ودخل الأحدب بينهم وصار يردد ما يرددونه من أغان وأغاريد.. وقد جاء إليهم وهم يرددون شطراً من الشعر هو:-

الأحد والسبت مع يوم الخميس

وطال ترديدهم لهذا الشطر لم يخرجوا منه إلى غيره وضاق المنشدون والراقصون بطول التكرار وظهر السأم عليهم.. وشاعرهم يرى هذا الضيق وهذا السأم ولكنه قد ارتج عليه.. وسدت أمامه منافذ القول.. وبقي ينتظر أن يفتح الله عليه فيخرج بالمنشدين والراقصين من ترديد هذا الشطر من الشعر الذي طال ترديده.. ولكن الشاعر لم يستطع..

وانبرى صاحبنا الأحدب لإكمال الشطر الأول بشطر ثان فقال:-

وليلة الجمعة هي الوقت الأنيس

فردد المنشدون هذا الشطر وطربوا له.. ورقص الراقصون على أنغام الأغاريد.. ودبت الحياة من جديد في الراقصين والمنشدين.. بعد أن خرجوا من ذلك المأزق الحرج الذي كانوا فيه.. وسأل رئيس القوم عن هذا الشخص الذي قال الشطر

الجديد من الشعر ليكافئه.. وبحثوا عنه حتى وجدوه.. فرحبوا به وقادوه إلى الرئيس فشكره وأثنى عليه وقال له إن لك معروفاً عندنا فقد آنستنا.. وجعلت ليلتنا سعيدة وأحييت بشعرك مشاعرنا.. وأنقذتنا من ورطة كنا نعيشها من أول الليل.. والآن نريد مكافأتك على عملك الطيب معنا فاطلب ما تريد.!!

وقال الرجل الأحدب إن الذي أريده هوأن تزيلوا من ظهري هذه الحدبة التي تعوقني عن الحركة وتعيبني عند أهلي وعشيرتي.. وتشوه خلقي.. وتمنعني من النوم اللذيذ الذي يتقلب فيه النائمون من جنب إلى جنب ومن ظهر إلى بطن.!!

وقال الرئيس للأحدب اطلب غير هذا فقال أنا لا أريد إلا هذا الأمر فهوأهم شيء يشغل بالي ويقض مضجعي وينغص علي حياتي!

وقال الرئيس للأحدب اكشف لي عن حدبتك.. فكشف الأحدب ثوبه عن حدبته.. فأدار الرئيس على هذه الحدبة بيده. ثم قبض عليها وانتزعها من مكانها ومسح على ذلك المكان بيده اليمنى.. فعاد ظهر الأحدب صحيحاً سوياً.. كأن لم يكن به حدبه.!!.

وفرح الأحدب بهذه النتيجة الباهرة العاجلة.. وقال الرئيس لهذا الأحدب اطلب غير هذا فقد أزلنا الحدبة.. وعاد ظهرك صحيحاً لا أثر فيه لحدبة..

وقال الأحدب إنني أريد أن تملأوا ثوبي هذا ذهباً.. ودعا الرئيس بأكياس الذهب فما زالوا يصبون الذهب في ثوبه حتى امتلأ!.

وشكر الأحدب هؤلاء القوم الكرماء على كرمهم وودعهم أكرم وداع.. وحمل كيس الذهب على حماره وترك الحطب فلم يعد في حاجة إليه بعد الآن.!!

ووصل الأحدب السليم إلى قريته.. وأخفى الذهب في مكان حصين.. لا يعتقد أن يداً تستطيع أن تصل إليه..

وجاءه صديقه الحطاب ليذهب معه على عادته. ولكن الرجل أطل عليه من أعلى داره وقال إنني لست على ما يرام هذا اليوم ولهذا فإنني سوف أتخلف عن الخروج معك.. وذهب الحطاب الثاني إلى الصحراء وحيداً..

وخرج الأحدب السليم إلى الناس وليس فيه حدبه وتعجب الناس.. وبدأت التساؤلات.. كيف شفي هذا الأحدب.. وبرىء من حدبته فجأة؟! وأشاع الأحدب السليم في الناس بأنه قام آخر الليل وصلى وتضرع إلى الله فمن عليه بالشفاء.. ولم يذكر لهم الجن وأمور الجن لأن ذكر هذه الأمور قد يثير كثيراً من الأسئلة التي لا يريد إثارتها..

وجاء صديق الأحدب السليم إليه وسلم عليه وهنأه بالسلامة.. وسأله عن أسباب الشفاء فأخبره بالخبر كما كان ولم يخف عليه حرفاً واحداً إلا أنه قال له اكتم الخبر هذا فقد أشعت في الناس أن الشفاء بسبب دعوات آخر الليل دعوتها فاستجيبت وحصل الشفاء العاجل..

ولم يعد الأحدب السليم إلى الاحتطاب.. بل صار ينفق من ذلك الذهب نفقة من لا يخشى الفقر.. وسأله زميله عن سبب هذه الثروة فلم يخبره بادىء ذي بدء وإنما أعطاه مبلغاً من الذهب سدد به بعض الديون التي عليه واشترى منه بعض الضروريات التي يحتاج إليها..

وعاد إلى صديقه الأحدب السليم.. وألح عليه ليخبره عن

سبب هذه الثروة إنه يريد مثلها.. وفضل الله واسع.. وهو يعطي من يشاء بغير حساب.!! ونتيجة للإلحاح المتواصل أخبر الأحدب السليم زميله بما جرى من أوله إلى آخره.

وقال الزميل إنني سوف أذهب هذه الليلة إلى الصحراء لعلي أجدهم.. ولعلي أوفق إلى إرضائهم فأفوز كما فزت.. وأكسب كما كسبت.. فتمنى له صديقه الأحدب السليم كل خير.. ودعا له بالتوفيق في مهمته..

وذهب الصديق السليم إلى الصحراء.. وفي نفس الطريق الذي كان سائراً فيه صديقه.. وعندما أظلم الليل وأرخى سدوله على الأرض رأى هذا الحطاب بصيصاً من نور يبدومن بعيد فاتجه نحوه.. وصار يمشي بينما كان ذلك النور يزداد عنه بعداً..

وعندما تعب جداً قرب من ذلك النور.. وسمع أصوات الغناء.. وسمع حركات الراقصين وعلم من وصف صديقه الأحدب السليم أن هؤلاء هم القوم الذين خدموا زميله وأغنوه وشفوه..

وقيد الحطاب حماره بعيداً عنهم .. وجاء يسعى حتى جلس بينهم والغناء مستمر.. والرقص قائم على قدم وساق.. والمطربون يرددون هذا الشطر من الشعر..

الأحد والسبت مع يوم الخميس

وطال ترديدهم لهذا الشطر حتى سئموا من تكراره وظهرت آثار السأم والملل على جميع الوجوه.. وهم يريدون أن يخرجوامن هذا الشطر إلى شطر آخر ولكن شاعر هم قد ارتج عليه.. وانسدت في وجهه منافذ القول..

وأراد صاحبنا الإنسي أن يتبرع بإتمام البيت ليحظى ببرهم

وعطفهم ومكافأتهم.. فقال:-

والاثنين والثلاثاء والربوع

وأراد المنشدون أن يرددوا هذا الشطر من الشعر فلم يجر مجرى سابقه وارتبك المغنون وارتبك الراقصون واختل كل شيء في احتفالهم وطربهم.. وسأل رئيس القوم عن الشخص الذي أنشأ الشطر الأخير.. وبحث القوم عنه حتى وجدوه .. وساقوه إلى رئيسهم كما يساق المجرم لنيل ما يستحق من عقاب.

وقال له رئيسهم يا هذا لقد عكرت علينا صفونا.. وأفسدت طربنا وقوضت سعادتنا.. إنني قاتلك فاختر أي قتلة تريدها.!!

فصارت فرائض الإنسي ترتعد.. وقلبه يخفق وريقه يجف وقال الرجل لرئيس الجن متوسلاً متضرعاً إنني أرجو أن تعفوعني فأنا صاحب عائلة ولي أولاد صغار فاتركوني من أجلهم.. أواتركوني من أجل صديق لي أحدب كان جاء إليكم في ليلة من الليالي فأعطيتموه ما يريد.!!

وقال رئيس الجن لا بأس إننا سوف نبقيك حياً.. إلا أننا سوف نغرس في ظهرك تلك الحدبة.. التي نزعناها من زميلك الأحدب.. وسكت هذا المنكوب.. ورضي بالحدبة بديلاً من الموت.. وبعض الشر أهون من بعض... وجيء بالحدبة وأمر الرئيس بأن يكشف عن ظهر الرجل.. وكشفوا عن ظهره ثم ألصقوا فيه تلك الحدبة..

وأحس الرجل بأن تلك الحدبة قد خلط لحمها لحمه ودمها دمه.. وعروقها عروقه.. وترك الرجل يذهب إلى حيث شاء..

وذهب يبحث عن حماره وهويحس أنه يحمل فوق ظهره وقراً.. ووصل إلى بلده.. واختفى في بيته حزيناً ذليلاً كاسف البال.. وبقي أسير البيت لأنه يخجل من الظهور أمام الناس بتلك الحدبة..

وفقده صاحبه الأحدب السليم.. وجاء إلى بيت صديقه ليسأل عن صحته وليعرف أخباره ونتائج رحلته.. ودق عليه الباب فلم يكلمه أحد.. إنه لا يريد أن يراه أحد.. ولا يريد أن يرى أحداً ولكن زميله ألح في دق الباب ونادى صديقه باسمه حتى عرفه من صوته.. ففتح له الباب.. ودخل وأغلق الباب بعد دخول الضيف الجديد والصديق القديم.. وتعجب الأحدب السليم من حال صديقه السليم الأحدب.!! وسأله عما جرى.. فأخبره وهويبكي بكاءاً مراً.. لقد ذهب يبحث عن المال والثروة.. فلم يحصل على ثروة.. وإنما رجع بحدبة أنقضت ظهره.. وحطمت نفسه وجعلته ييأس من الحياة.. ويعتزل أهلها ويعيش وحيداً حبيس البيت وقرين الوحدة.!

وخفف عنه صديقه السليم بعض مصابه.. وقال إنني سوف أتكفل بمعيشتك.. وأقوم بدفع كل ما ينوبك من حاجات.. وعليك أن ترضى بواقعك.. وأن تختلق أي سبب وهمي لحدوث هذه الحدبة فيك وأن تخرج من هذه القوقعة التي قيدت نفسك فيها..

وقال الصديق السليم الأحدب لصديقه الأحدب السليم إنني أشكرك أجزل الشكر على كرمك وعلى وفائك وأتقبل ما يصدر منك بصدر رحب.. ما عدا الخروج إلى الناس لأنها

سوف تكون مفاجأة مضحكة.. قد تسبب لي مواقف محرجة.. وقد تعقد نفسي أكثر.. وأكثر.!! فلونشأت هذه الحدبة معي منذ نشأتي لكنت ألفتها في نفسي وألفها الناس كجزء مني ولكنه أمر مفاجئ.. لم آلفه أنا ولم يألفه الناس..

لهذا فإن هذه الحدبة التي أحملها فوق ظهرى سوف تكون حديث أهل البلد كلهم.. وهذا هوالشيء الذي يقلقني ويقض مضجعي.. من أجل هذا فقد رضيت لنفسي أن أكون أسير المنزل ولن أخرج منه إلا إلى قبري!!

وحاول الأحدب السليم أن يقنع صديقه السليم الأحدب بالعدول عن هذه الفكرة ولكنه فشل.. ولم يستطع أن يزحزحه عما عزم عليه قيد أنملة..

وبقي الأحدب السليم عند صديقه فترة طويلة من الوقت يؤنسه.. ويحاول أن يخفف من مصابه.. ثم ودع صديقه وخرج على أن يعود إليه.. بعد ساعات قليلة حاملاً إليه ما يحتاج من طعام أوشراب .!

وبقي الصديقان هكذا كل واحد منهما يحافظ على هذه الصداقة ويلتزم سنن الوفاء.. إلى أن جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات .!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سبحونـــة:

٥-الغول مع الإخوان الثلاثة

كانت الجدة في هذه الليلة ظاهرة السرور مبتهجة الخاطر لأن أحد أولادها الكبار قدم من سفر.. ولهذا فقد استقبلت الأطفال بسرور.. وقالت لهم إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة سبحونة الغول مع الإخوان الثلاثة وهي سبحونة لم تسمعوها من قبل..

فقال الأطفال بصوت واحد نعم قصيها علينا

فقالت الجدة حباً وكرامة وشرعت قائلة:-

هنا هاك الواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الفقير الذى تزوج إحدى بنات قريته.. وكان يعتمد في معيشته ومصاريف بيته على ما يكسبه من الحطب والأعشاب التي يأتي بها من الصحراء فيبيعها على من يريدها في مدينة مجاورة..

ورزق الرجل من زوجته بالمولود الأول فسماه محمداً وفرح

به.. وفرحت به زوجته على الرغم من أنه سوف يكون عبثاً ثقيلاً عليهم في معيشته والإنفاق عليه..

ثم بعد فترة غير طويلة رزق الرجل بمولود ثان فاستقبله الرجل بفتور.. لأنه سوف يقاسمهم لقمة العيش القليلة التي لا ينالونها إلا بشق الأنفس ولكن الرجل صبر على مضض!!

وبعد وقت أيضاً غير طويل حملت زوجته فأنجبت المولود الثالث فسماه سعيداً تفاؤلاً بأن يأتي إليهم بالرزق والسعادة لأن زوجته قالت له إن الله سوف يرزق هؤلاء الاطفال وسوف يرزقنا برزقهم.. واقتنع الرجل بهذا الكلام واستمر في الكفاح والجهاد من أجل إعاشة هذه الأسرة التي بدأ يكبر أفرادها.. وبدأت تكبر متطلبات حياتهم.!

ولكن الرزق كان شحيحاً.. والمعيشة كانت ضنكاً وكان الرجل يبذل كل ما يستطيع من جهد ولكنها يد واحدة واليد الواحدة لا تصفق.. فالمرأة لا تساعد زوجها ببذل أي مجهود.. والأطفال صغار لا نفع فيهم.. فهم يأخذون ولا يعطون.. ويأكلون فلا يشبعون.. ويلعبون فيتعبون ولا يتعبون.!!

وضاق الرجل بهؤلاء الأولاد.. لأن كسبه لا يكفيه هو وإياهم.. ولهذا فقد صمم على الخلاص من هؤلاء الأولاد وقال لزوجته بفكرته. فجزعت الأم وخافت على أولادها من الهلاك أوالضياع.. إلا أنها رأت تصميم زوجها على هذا الأمر وهي ضعيفة أمامه لا تستطيع مقاومته.. ولا الوقوف في وجهه.. ولهذا فقد رأت أن تلجأ إلى الحيلة والتلطف بزوجها.. فقالت له :-

وما ذا تريد أن تصنع بهم .؟!

فقال الوالد إنني أريد أن أذهب بهم إلى بعض الشعاب في قلب الصحراء فأتركهم هناك..ورزقهم على خالقهم فقالت له زوجته انهم الآن صغار .. فاصبر قليلاً حتى يكبروا وتشتد سواعدهم وصبر الوالد فترة من الزمن ثم قال لزوجته إنني سوف أنفذ ما قلته لك سابقاً وسأتخلص من الأولاد بتركهم في أحد الوديان.!!

وحاولت زوجته أن تمدد المدة ولكنها لم تستطع..وكان الولد الصغير يسمع هذا الكلام.. وعلم أن والده مصمم على التخلص منهم.. وأن والدته تريد بقاءهم وتبكي على فراقهم.. ولكن الأمر ليس في يدها بل هي مغلوبة على أمرها.!!

وقال الزوج لزوجته.. إننا غداً سوف نخرج بالأولاد إلى الوادي الفلاني.. ثم نلتمس إحدى غفلاتهم..فننسل من بينهم ونتركهم في ذلك الوادى ونقول :- تحت الله يا زرع الله.!!

وبكت الوالدة بكاءً مراً ولكن بكاءها لم يغير من الأمر شيئاً وجاء الموعد.. وكانت أسماء الأولاد حسب كبر سنهم محمد وسعد وسعيد أما ألقابهم فهي بحسب سنهم أيضاً جربوع وزفير وصفير..

وكان صفير هوالصغير وهو أذكى الإخوة الثلاثة وهو الذي سمع كلام والده وعرف ماذا يدبر لهم في الخفاء.. فذهب قبل الموعد إلى مكان حجارته بيضاء.. فالتقط من تلك الحجارة حتى ملأ جيوبه.!

وحان موعد الرحيل.. ونادى الوالد أولاده بألقابهم قائلاً جربوع زفير صفير.. فلبى الأولاد الثلاثة نداء والدهم.. وجاءوا إليه مسرعين.!!

وقال لأولاده استعدوا فإننا سوف نذهب جميعاً إلى الوادي لجمع الحطب والأعشاب..

واستعد الأولاد ووالدتهم..ومشوا في طريقهم إلى الوادي وتأخر الولد الصغير الذى اسمه صفير عن القافلة الصغيرة.. فصار يمشي في المؤخرة.. وكلما مشى فترة من الوقت ألقى حصاة بيضاء.. وكلما جاء في مفترق طرق ألقى حصاة أيضاً.!!

ووصلت القافلة الصغيرة إلى ذلك الوادي السحيق.. يتقدمها الأب وتتوسطها الأم وفي مؤخرتها صفير.!!

وانتشر الأولاد في الوادي.. وانتهز الوالدان فرصة غفلة الأولاد فانسلوا وعادوا إلى منزلهم وأشبع الأولاد فضولهم وأشبعوا رغبتهم في العبث واللعب.. ثم عادوا يبحثون عن والديهم.. فلم يجدوهما.. وصوتوا وبحثوا يميناً وشمالاً فلم يعثروا لهما على أثر..

وبكى الأخوة الكبار.. وأحسوا بالخطر الذي يهدد حياتهم.. وأيقنوا بالهلاك.. ولكن صفيراً قال لأخويه على رسلكم.. وعلام تبكون.. فقالا نبكي خوفاً من الهلاك. فقال وماذا تريدان.. فقالا نريد العودة إلى بلدنا وإلى والدينا..

قال وكيف تريدون من لا يريدكم.. فقالا إن والدتنا

تريدنا.. وأما والدنا فهوملزم برعايتنا حتى نبلغ مبلغ الرجال فقال صفير إذا كان الأمر كذلك فكفوا عن البكاء وهيا معي اتبعوني وسوف أدلكم على بلدكم وأهلكم..

ومشى الأولاد الثلاثة وفي مقدمتهم صفير.. الذي صار يتتبع تلك الأحجار البيضاء ويمشي في اتجاهها حتى أوصلته إلى البلد.. وسار الأخوة حتى وقفوا عند باب دارهم وجعلوا ينظرون من شقوق الباب إلى من بداخل الدار ويتسمعون ما يدور من حديث بين والدهم ووالدتهم

رأوا أن والديهم يأكلون ويتحدثون.. وسمعوا أمهم تقول لأبيهم.. يا ليت أولادنا معنا.. إذاً لأكلوا وشربوا.. ومرحوا وملأوا البيت بهجة وفرحاً ومرحاً.. وقد كنت قلت لك لا تيأس فإن مع العسر يسراً وبعد الضيق فرجاً.!!

وصاح الأولاد من خلف الباب ها نحن يا أماه قد عدنا إليكم فافتحوا لنا الباب.. وقامت أمهم مسرعة وفتحت لهم الباب... وعانقت كل واحد منهم وهي تبكي أحر البكاء ودموعها تتساقط. من عينيها وقدمت لهم والدتهم طعاماً فأكلوا وشربوا وفرحوا ولعبوا.. ثم ضاقت بالوالدين المعيشة.. وأقلقهم الجوع .. وملوا حتى من أنفسهم..

وقال الوالد إننا سوف نتخلص من الأولاد فليس في إمكاننا أن نقيت أنفسنا ونقيتهم .. فبكت الأم وقالت اتركهم عندنا فرزقهم على الله وأنا مستعدة أن أترك نصيبي من الطعام لهم.. فقال الأب وإذا تركت طعامك لأولادك عرضت نفسك للمرض

والموت.. وإذا مت شقيت أنا بالأولاد وحدى.. ولكن لا بد أن نتخلص منهم.!!

لم تستطع المرأة أمام تصميم زوجها أن تقول شيئاً.. وكان صفير يسمع هذا الكلام فعزم على أن يعد للأمر عدته.. وأن يهيء وسائل الخلاص كما هيئها في المرة السابقة..

لكن والدهم طلب منهم أن يستعدوا حالاً للمسير ولم يجد صفير مجالاً لأي عمل وسارت القافلة الصغيرة متجهة إلى ذلك الوادي.. الوالد في المقدمة والأم في الوسط وصفير الولد الصغير في المؤخرة..

وكانت الوالدة قد أعطت كل واحد من أولادها كسرة خبز ليأكلها..ويتقوى بها في مسيره إلى الوادي فأما الأولاد الكبار فأكلوا نصيبهم من الخبز وأما صفير فانه لم يأكلها بل قطعها قطعاً صغيرة..

وصار يرميها شيئاً فشيئاً في منعطفات الطريق وفي مجاهله.. لتكون دليلاً لهم في العودة .. وعلامات يهتدون بها.!!

وصلت القافلة إلى ذلك الوادي.. وتعمق الوالد في الوادي أكثر من المرة السابقة.. وذلك ليضمن عدم عودتهم وعندما وصلوا إلى مكان في الوادي سحيق توقف سير القافلة.. وتشاغل الوالدان أو تظاهر بأنهما يعملان غداء للجميع..

وعندما انشغل الأولاد باللهو واللعب .. انسل الوالدان من عندهم.. وعادوا إلى البلد.. وجاء الأطفال إلى مكان والديهم فلم يجدوا لهم أثراً.. وبكى الأخوة الكبار.. ولكن صفيراً قال لهم لا تبكوا فالبكاء لا يجديكم ولا يطعمكم.. وإنما عليكم أن تتبعوني. وسوف أوصلكم إلى البلد في هذه المرة كما أوصلتكم

إياها في المرة السابقة. !!

وسكت الأخوة وسار صفير في الطريق الذي رسمه وسار خلفه إخوته الكبار.. ونظر صفير.. وبحث عن فتات الخبز التي ألقاها لتكون معالم للطريق.. ولكنه لم يجدها..

لقد جاءت بعده الطيور والعصافير فأكلت فتات الخبز الذي كان ألقاه.. وبقى الطريق بلا رسوم ولا علامات تدل عليه ودار صفير عدة دورات وحاول أن يسير إلى البلد.. ولكن هيهات لقد انفلت الخيط من يده.. وأمسى بلا دليل.. ولا علم ولا خبرة بتلك المجاهل..

أخبر صفير إخوانه بأنه أضاع الطريق وأنه لا أمل لهم في العودة إلى البلد.. فبكى الأخوة جميعاً ومن جملتهم صفير ثم عادوا أدراجهم إلى الوادي فهوأحسن لهم من الصحراء القاحلة.. لأنهم سيجدون فيه صيداً وسيجدون فيه حطباً.. وسيجدون فيه أعشاباً يأكلونها..

وعاد الأخوة الثلاثة إلى الوادي يهيمون فيه.. ويستظلون بأشجاره نهاراً.. ويتقون بها الرياح ليلاً..

بقوا على هذه الحال أياماً وهم ينتظرون أن يروا أحداً أويراهم أحد فيدلهم على البلد.. ولكن لا أحد يمر بذلك الوادي.. فهو واد مجهول.. وليس حوله مكان مأهول وازداد الكرب بالأخوة.. وملوا حياة الصحراء وشعروا بوحشة شديدة تلازمهم في النهار وتخيم عليهم في الليل..

وفي ذات يوم صعد صفير على مرتفع من الأرض.. ونظر إلى ما حوله.. ورأى منزلاً صغيراً لا يبعد عنهم كثيراً فجاء

مسرعاً إلى أخويه وقال لهما هيا بنا إلى منزل صغير رأيته عن بعد..

وفرح الأخوة بهذا الاكتشاف الجديد وساروا خلف صفير.. وجدوا في السير حتى وصلوا ذلك المنزل.. فوجدوا عند بابه سيدة فسلموا عليها وردت عليهم السلام.. وتقدم صفير إلى المرأة فقال لها:-

أيها السيدة المحترمة.. اننا أطفال ضائعون.. وفي مهامة هذا الوادي هائمون.. وقد رأينا منزلك ففر حنا به.. وجئنا إليه وكأنه بيتنا.. فنرجوا أن تسمحي لنا بالدخول إلى الصباح.. وبعد ذلك سوف نذهب إلى بلدنا.!!

فقالت لهم لسيدة إنني أرحب بكم وأفتح لكم باب البيت على مصراعيه.. ولكن قبل أن تدخلوا لا بد أن تعرفوا أن المنزل منزل غول شرس.. وأنا أخشى عليكم منه وأخاف على شبابكم أن يحطمه هذا الغول. !!

فقال لها صفير افتحي لنا الباب.. وسوف نختبىء عنه فلا يرانا فأدخلتهم المرأة في المنزل وأطعمتهم وسقتهم.. وأخبرتهم بموعد مجيء الغول ليأخذوا حذرهم.!!

وجاء موعد حضور الغول فدخل الأخوة الثلاثة تحت السرير لأنه آمن مكان يختبئون فيه..

وحضر الغول الذي هو زوج المرأة.. وشوى خروفاً كان أحضره معه فأكله.. ثم نام على سريره.. ولم يحس بوجود هؤلاء الأخوة.. مع أنه مرهف الحس.. شديد الشم.. كما أنه يتمتع بكثير من الحواس التي لا يتمتع بها سواه فان له سبعة رؤوس في كل رأس عينان وأذنان.. وأنف وشفتان.. ومع ذلك فإن هذا

الغول لم يستطع أن يحس بوجودهم تحت سريره.!!

وجلس الأخ الصغير صفير في أثناء الليل من غير شعور.. فارتطم رأسه بالسرير قال أح .! قالها من شدة الألم مكرها.. فسمع الغول هذه الكلمة.. وقال لزوجته.. من الذي عندك في هذا البيت ؟!

فقالت له زوجته وهي ترتجف من الخوف ليس عندي أحد فقال لها زوجها إنني أسمع صوتا في الدار.. فقالت له زوجته أما أنا فلم أسمع شيئا.!!

وقام الغول من فوق السرير.. وذهب ليغلق الأبواب والنوافذ حتى لا يخرج من البيت أحد وفي هذه الأثناء.. قال صفير لأخويه اذهبا من هذه النافذة واختبئا خارج القصر.. وكان بجوار السرير سكين حاد فأخذها صفير..واستعد لمنازلة الغول لعله يقضي عليه فيسلم من شروره.. وينقذ المسلمين أيضا من أضراره.. فإنه طالما اختطف أولاد الناس ومواشيهم.. وطالما فجعهم في محبيهم.!!

وقالت زوجة الغول لصفير أضربه مع رأسه الصغير ضربة واحدة ولا تزده على ذلك مهما حاول الزيادة.. ومهما أغراك بالمال.. واختفى صفير خلف الباب الذي سوف يعود منه الغول والسكين في يده وقد استعد لمنازلة الغول.. والقضاء عليه..

وعاد الغول بعد أن أغلق جميع الأبواب والنوافذ.. وكان صفير جاهزا فتقدم إليه وضرب رأسه الصغير فقطعه.. وبقي الغول بعد قطع رأسه الصغير لا يستطيع حراكا.. ولا يملك من أمره شيئا فقد انتهى.. وإنما بقي فيه رمق من الحياة.. يستطيع

معه أن يتكلم فقط..وأن يعد وأن يغري.. وأن يتوعد ويهدد.. ولكنه لا يستطيع أن يفعل مما يقول شيئاً.!!

وقال الغول لصفير زدني زادك الله فلم يزده صفير.. وأعاد الغول القول بطلب الزيادة.. وأغرى صفيرا بأنه سوف يعطيه الكنز الذي في المكان الفلاني.. ولكن صفيرا لم يزده على الضربة الأولى وجعل الغول يغري صفيرا بشتى الإغراءات ويعده بمختلف الوعود.. ولكن صغيرا لا يستجيب لتلك الإغراءات.. ولا ينخدع بتلك الوعود !!

وأخيراً خر الغول صريعا لليدين وللفم.!!

وخرج صفير مسرعا يبحث عن إخوانه فوجدهم غير بعيد ودعاهم وأخبرهم بما جرى.. وعاد الأخوة الثلاثة إلى زوجة الغول التي احتضنت كل واحد منهم وقبلته قبلا حارة وهنأتهم تهنئة مخلصة بنجاتهم من ذلك الغول الشرس الذي لا يكاد ينجو منه أحد..

ثم أخبرتهم زوجة الغول بأنه أخذها من أهلها قسراً وتزوج بها قسراً.. وبقيت تعيش معه كزوجة.. ولكن من حسن حظها أنها لم ترزق منه بذرية.!!

فهنأ الأطفال الثلاثة تلك السيدة.. على نجاتها من ذلك الغول.. وقالوا لها إننا سوف نكون أولاداً لك سنكون طوع أمرك في كل ما تريدينه..

وشكرتهم المرأة على مشاعرهم الكريمة.. وقالت لهم هيا نبحث عن تلك الكنوز التي وعدكم بها في آخر حياته وذهبوا إلى تلك الكنوز فاكتشفوها واحداً إثر واحد.. ووجدوا فيها أموالا لا

تحصى... فأخذوا منها ما استطاعوا حمله.. ثم ذهبوا إلى البلد مع المرأة التي هي زوجة الغول وهم لا يسمونها إلا أمهم وهي لا تدعوهم إلا أولادها.

وعندما وصلوا البلد المقصود اشتروا بيتا وأثثوه أحسن أثاث وأجمله.. وافتتحوا حانوتا فصاروا يبيعون فيه ويشترون.. ويتعرفون بالتجار الكبار.. والقادة الأخيار.!!

وكان أمر والديهم يهمهم كثيرا فعلى الرغم مما فعله والوالدان فإن الأولاد يحنون إليهم ويبحثون عنهم.. ويسألون عن أخبارهم.. ولكنهم لا يعثرون على خبر.. ومضى على ذلك عدة سنوات.. وهم يسألون فلا يهتدون إلى ما يريدون وتجارتهم تنمووتزيد يوما بعد يوم.. وزوجة الغول تقوم بشئونهم المنزلية.. وكأنها والدتهم..

وفي يوم من الأيام قال الأخ الصغير الذي هوصفير.. إنني سوف أسافر إلى بلاد بعيدة.. وربما لا أعود اليكم مرة ثانية.. فلم يأذن له إخوانه بهذا السفر.. ولكنه ألح عليهم إلحاحا متواصلا.. وقال إنني رجل قد بلغت رشدي.. وأنا أعرف منكم بمصلحة نفسي.. ولا حق لكم في منعي.. وأصر على رأيه في السفر..

وأمام إصرار صفير وإلحاحه لم يجد الأخوة بدأ من السماح له فاستعد للسفر وأعطاه إخوته كل ما يحتاجه في سفره.. وزودوه بأموال كثيرة لتكون عوناً له فيما قد يعترضه في طريقه من عقبات.!!

وسافر صفير للبحث عن والديه..وصار يسير من قرية إلى قرية ومن بلد إلى بلد وهويسأل عن اسم بلده وأخيرا وصل إلى

البلد التي ظن أنها بلده.. فصار يتجول في شوارعها.. وأزقتها الضيقة... ويحاول أن يتعرف على بعض بيوتها.. ولكن طول الغياب أنساه معالم البلد..

وبينما كان سائرا في أحد الأزقة.. وإذا به يرى بيتا صغيرا مهدما.. فتذكر بيت أهله.. إن هذا البيت المهدم يشبه بيت أهله كل الشبه.. والزقاق كذلك ليس غريبا عليه ووقف عند هذا البيت.. وتأمله طويلا.. فلم يزده تأمله إلا ثقة ويقيناً بأن هذا البيت هوبيت والديه.. ومع ذلك فإن ظلالاً من الشك لا تزال تعاوده بين لحظه وأخرى..

وقال في نفسه لماذا لا أدخل هذه الخربة فأزيل الشك باليقين وأرى ما بداخلها رأي العين.!!

ودق الباب الذي تلعب به الرياح.. ونادي يا أهل البيت وفوجيء صفير بصوت ضعيف يجيبه من أقصى الخربة ويقول اصبر قليلا لأفتح لك الباب.!!

وفتح الباب ورأي الشاب والدته عجوزا متهدمة الصحة معروقة العظام.. ورأت العجوز شابا مفتول العضلات.. حاد النظرات فلم تعرفه.!!

وقال الشاب للعجوز صباح الخير وردت عليه التحية بأحسن منها..وسألها الشاب عن صاحب هذا البيت.. وهل هوفلان ابن فلان.. فقالت العجوز نعم.. وقال لها صفير ومن أنت قالت أنا زوجته.. فقال وأين هوفقالت إنه نائم.!!

عندئذ عرفها صفير بنفسه.. فضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره وبكى الاثنان حتى أشبعا رغبتهما من البكاء ثم ذهبت

العجوز مسرعة فأيقظت والد صفير.. فجاء يسعى مسرعاً.. وهويكاد يتعثر في خطواته..وقبل ولده قبلاً حارة ويخجل يعقد لسانه عن الكلام فهويعرف أنه هوالذي ألقى بأولاده في ذلك الوادي السحيق وعرضهم للمتاعب والهلاك.!!

ولكن صفيرا رحب بوالده وآنسه..وقال له إنني أنا وأخوتي بخير وصحة وسعادة وإن السعادة التي نعيش فيها لا ينقصها إلا عدم وجودكم بيننا..

وسألته والدته قائلة :-

وكيف نجوتم من أخطار ذلك الوادي الموحش.. فأخبرها بقصتهم مع الغول وزوجته..فتعجب الوالدان أشد العجب.. وحمدا الله على سلامة أولادهم من العطب وقال صفير لوالديه هيا استعدوا فإننا لن نبقى في هذه الخربة.. بل سنسافر إلى بلد قريبة نلتقي فيها بإخوتي ونعيش معهم عيشاً رغداً سعيداً..

وفرح الوالدان بالسفر الذي سوف يبعدهم عن هذه الخربة.. وسوف يجمعهم بأولادهم.. وسيجعلهم يبدأون حياتهم من جديد.. حياة كلها أمل وسعادة.ورخاء.. واستعد الوالدان سريعاً.. وأعطوا مفتاح خربتهم لاحد جيرانهم.. وبدأوا رحلتهم الجديدة.. تحدوهم الآمال والأماني بلقاء الأحبة.. واجتماع الشمل.!!

وواصل صفير السير الخفيف الذي لا يزعج شيخيه.. فإذا أحس بأنهم تعبوا أناخ الرواحل وتركهم يستريحون.. فإذا نشطوا قليلاً واصل مسيره.!!

ووصلت القافلة الصغيرة إلى بلد الأحبة.. والتقى الآباء بأبنائهم فلا تسأل عن العبرات المراقة.. والعبارات البراقة.. التي

حفل بها اللقاء.. بين الآباء والأبناء بعد غياب طويل كاد اليأس أن يكون نهايته.. والفراق الأبدي غايته..

وعاشت هذه الأسرة التي شقيت في أول حياتها.. عيشة حافلة بالمسرات.. ملأى بالسعادة والذكريات.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

لإبراهيم بن جعيثن في وصف النساء

بـالـك تـلـين للعـذارى جـانـب
خـلـه تهاب الـداب هـي وسـلـوبها
فـيهـن مـن تـعـطـيـه زيـن مـروه
وهـي تـعـدل شـدهـا لـركـوبها
وإذا خـذت سـده وطـاوع شـورهـا
ركـبـت عـلـيه وركـبـت شـاذوبها
وفـيهـن مـن كـنـه تـشـح بـمـا لـه
وهـي تـبـيـه لـوسـطـهـا وجـنـوبها
وفـيهـن تـرى جـضـعـيـة نـوامـه
مـن عـجـزهـا تـلـقـا الـعـرق بـجـيـوبها
وبـيضـا الـعـيون احـذرك مـنـها تـامـن
فـيهـا الـنـمـامـة بين عـذروبها

★ ★ ★

سالفــــــة :

٦-الملك المجوسي مع الأميرة ابنته

كان الأطفال في هذه الليلة قد جاءوا إلى جدتهم مبكرين فوجدوها لا تزال تعمل بعض الأعمال المنزلية الصغيرة التي لا يكاد يهتم بها الكبار ولكنها هي تهتم بها.. وتقوم بأدائها.. وتتكلم بكلام بينها وبين نفسها تعبر به عن قلقها مما ترى من فوضى وإهمال..

والمهم أن الأطفال انتظروا طويلاً والجدة في غيابها فبعثوا واحداً منهم يبحث عنها حتى وجدها غارقة في العمل فأخذها بيدها.. وقال لها إن إخواني ينتظرونك وقد صبروا طويلاً.. ولم يبق لديهم مجال للصبر بعد الآن.!

فانقادت الجدة في يد ذلك الطفل الرسول.. وعندما وصلت إلى الأطفال.. وجدتهم في غاية الشوق.. والإقبال فقالت لهم إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة قصة.. ليست من بيئتنا.. ولا من محيطنا.. وسوف أقصها عليكم لغرابتها.. وشذوذ أحداثها.!!

فرحب الأطفال بهذه السالفة وأنصتوا إلى جدتهم بكل أسماعهم وحواسهم..

وشرعت الجدة في سالفتها قائلة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي.. وإلى هنا هاك الملك المجوسي العظيم.. وكان لديه زوجة واحدة.. إلا أنه لم يرزق منها بأطفال.. لعدة سنوات.. وقلق الملك وخشي أن يكون العقم منه كما قلقت الملكة.. وخافت أن يكون العقم منها..

وصار كل واحد منهما يعالج نفسه على طريقته الخاصة.. فالملكة تلجأ إلى العجائز وتأخذ بتجاربهن وتستعمل وصفاتهن.. والملك يستشير الأطباء.. ويستعمل ما يشيرون به من دواء.!!

وفي يوم من الأيام جاءت الملكة إلى الملك وهي فرحة مستبشرة وقالت له إنني أزف اليك بشرى سارة.!!

فقال الملك بشوق ولهفة وما هي : فقالت إنها الحمل !! إنني أحس بأعراض الحمل .. ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً.. وكيف لا يفرح وقد انتفت عنه صفة العقم كما أنه سوف يرزق مولوداً ذكراً أو أنثى لا فرق بينهما وسوف يكون هذا المولود سواء كان ذكراً أوانثى مخلداً لاسمه.. ووارثاً لعرشه.. وخليفة له على شئون أسرته..

وأنجبت الملكة أنثى.. وفرح بها الملك كما فرحت بها الملكة.. وصارت هذه المولودة موضع رعاية والديها وعنايتهم.. حتى صارت تمشي على أقدامها وأراد الله على والدتها الملكة فتوفيت..

وبقيت الفتاة في رعاية والدها الملك .. فجاء لها بالمربيات والمرشدات.. فنبتت نباتاً طيباً.. وبدأت بوادر الحسن والجمال والكمال تظهر على محياها.. وعندما تكامل شبابها.. وبلغت

العشرين من عمرها.. كانت قد أخذت شهرة عظيمة بأنها أجمل فتاة في مملكة والدها..

وكان والدها قد جعل لها جناحاً خاصاً من القصر .. تسكن فيه.. وتسكن معها حاضنتها.. وخادمتها الخاصة.. وكان الملك قد خصص وقتاً معيناً يزور فيه ابنته.. ويسألها عن أحوالها.. ويطمئن فيه على صحتها..

وأحب هذا الملك ابنته حباً شديداً تعدى الحدود المعقولة بين والد وابنته إلى الحب الذي لا بد أن ينتهي إلى زواج وكتم الوالد هذا الحب فترة من الزمن.. ولكنه كان حباً طاغياً عنيفاً.. لم يستطع الملك أن يكتمه آخر الأمر عن ابنته.. فصارحها به.. وأخبرها أنه يريد أن يتزوجها وكانت ديانة المجوس تجيز مثل هذا الزواج .. ولا ترى فيه أي عيب أو دنس أو مغمز.!!

لهذا فقد صارح الملك أخيراً ابنته لأنه يحبها .. وأنه يريد الزواج منها..

وخجلت الفتاة ودهشت.. بل صدمت صدمة عنيفة بهذا الحب وهذه الرغبة من والدها .. ولم تستطع أن تجيب على عرض والدها أوطلب والدها بلا ولا نعم.!! وإنما لزمت الصمت.. واحمرت خدودها من الخجل.. وانكمشت في ثيابها..من هول ما سمعت.!!

وشعر الملك بمدى الخجل الذي أصيبت به ابنته فاستأذن وخرج من غرفتها تاركاً لها المجال لتفكر في الأمر.. إلا أنه كان مصمماً على الزواج بها فهي أجمل فتاة في مملكته.. وهوأشرف إنسان في تلك المملكة وأرفعهم منزلة فهو أحق بهذا الجمال النادر

وأولى به من غيره..

كما أنه من جهة أخرى هوالذي رعىٰ هذا الجمال ورباه ونماه إلى أن بلغ إلى منتهاه..فهو منه وله.. وهوكما يقول المثل جحا أولى بلحم ثوره..

هذا هو تفكير الملك أما ابنته فإن لها تفكيراً آخر يغاير هذا التفكير كل المغايرة فهي تريد أباها أباً.. ولكنها لا تريده زوجاً.. إنها تحب والدها.. ولكنه حب يغاير الحب الذي يشعر به والدها.. إلا أن والدها لم يستشرها ولم يبحث معها عن رغبتها.!!

لهذا كله فزعت الفتاة والتمست مخرجاً من هذه الورطة فلم تجد إلا طريقاً واحداً هو الأمل الوحيد الذي تتعلق به.. وهوأمير شاب من أبناء عمها يعرفها وتعرفه ويراسلها وتراسله.. ويبادلها الهدايا وتبادله هي كذلك.. إن هذا الأمير هو أملها الوحيد في الخروج من هذه الورطة..

إلا أن هذا الأمير كان كثير الأسفار والروحات والجيئات.. وكان عندما حلت الكارثة مسافراً فانتظرت حتى جاء من سفره.. وأرسل لها هدية لطيفة فرحت بها الفتاة وعلمت منها أنه لا يزال على حبه لها.. وتذكره إياها. !!

وفكرت الفتاة في الوسيلة التي تنجو بها مما يراد بها وبعد تفكير طويل وجدت حلاً واحداً ولا شيء غيره وهوأن تهرب إلى ابن عمها الشاب وتلجأ إليه ليهرب بها.. ويخلصها مما يراد بها..

ولكن كيف تهرب..؟! إنها لا تريد هرباً مكشوفاً يكون مثار التهم والشكوك فقد كان حبها لابن عمها نزيهاً وشريفاً وليس فيه ما يخدش الشرف.. أويغمز في الأخلاق...

ووجدت الوسيلة.. فأرسلت خادمتها الخاصة إلى نجار ماهر.. وقالت له اصنع لي طاولة جميلة.. واجعل لها سبعة أدراج .. ولتكن تلك الأدراج متدرجة في الكبر.. أي يكون الأول صغيراً والثاني أكبر من الأول والثالث أكبر من الثاني.والرابع أكبر من الثالث... أما الخامس والسادس والسابع فهن يتدرجن في الصغر بشكل متناسق.. وأغرت النجار بأن تدفع له أي ثمن يريده.. ولكن على شرط أن ينجزها في سرعة بالغة وإتقان وجودة..

وشرع النجار في عمل الطاولة فأنجزها كما تريدها الأميرة... وفي أسرع وقت..

وجاء النجار بتلك الطاولة فكانت كما تريد الأميرة.. فدفعت للنجار مبلغاً محترماً من المال أرضاه كل الرضا..

ثم عمدت إلى تلك الطاولة.. فوضعت في الدرج الأول منها رسالة للأمير تعبر فيها عن حبها وأشواقها.. وفي الدرج الثاني خاتما من الماس وفي الدرج الثالث أدواتها وحليها.. أما الدرج الرابع الذي هوأكبر الأدراج فقد تركته فارغاً.. ثم وضعت في الخامس مفاتيح الأدراج كلها.. ووضعت في السادس كتبها ورسائل الأمير الخاصة التي كانت تحتفظ بها.. ووضعت في السابع ملابسها. !!

وبعد هذا دعت خادمتها الخاصة وقالت لها إنني سوف أسرح شعري.. وأستحم.. ثم أقرع لك الجرس.. فإذا فعلت ذلك فادخلي في غرفتي الخاصة واحملي الطاولة.. واذهبي بها إلى الأمير فلان وسلميها إليه.. قولي له إنها هدية من الأميرة إليك.. وإذا سألك عني فقولي له إنها سافرت مع والدها وإذا أعطاك

هدية فلا تقبليها.. ثم عودي إلى البيت مسرعة وابقي على عادتك السابقة.. وإذا سألك والدي عني.. فقولي له إنني لا أعرف شيئاً عن هربها.. وإذا هددك بالقتل فالزمي الصمت.. ولا تنطقي بأي كلمة. !!

فأشارت الخادمة بالسمع والطاعة.. وانتظرت حتى دق الجرس فجاءت إلى تلك الطاولة فحملتها.. وكانت الأميرة قد وضعت نفسها في الدرج الرابع وأقفلت على نفسها من الداخل ودخلت الخادمة بتلك الطاولة في قصر الأمير وقابلته وقالت له إن هذه الطاولة هدية من الأميرة زينب لك.. وهي تطلب منك أن تهتم بهذه الهدية وأن تضعها في غرفتك الخاصة.!!

فرحب الأمير بالهدية.. وشكر المهدي أجزل الشكر وسألها عن زينب فقالت انها سافرت مع والدها.. وأراد الأمير أن يدفع للخادمة أجراً على مجهودها .. ولكنها رفضت وعادت إلى القصر وبقيت فيه.. وكأن شيئاً لم يكن. !!

وكان من عادة الملك أن يأتي إلى ابنته يومياً ليراها وليمتع نظره بجمالها وكمالها ودلالها. !!

ولكنه عندما جاء في ذلك اليوم الذي نقلت فيه الطاولة إلى قصر الأمير.. لم يجد ابنته.. وسأل خادمتها الخاصة عنها.. فقالت انها لا تعرف من أمرها شيئاً.. وهددها الملك بالقتل.. ولكنها أصرت على الإنكار. !!

وجاء الملك بالسيف ووضعه على رقبتها.. ولكنها لزمت الصمت. وقابلت التحدي بالسيف تحدياً بالصمت.. وغضب الملك من تلك الجارية وضرب عنقها فانفصل عن جسدها..

وتركها جثة هامدة ولم يحصل منها على أي خبر أو أية إشارة تدل على ابنته التي خسرها.. وكانت خسارته إياها مزدوجة فهو لم يخسر ابنة فقط وإنما خسر ابنة وحبيبة كان يرشحها للزوجية..

وأمام تلك الصدمة العنيفة التي أصيب بها الملك انهارت أعصابه.. وفقد اتزانه.. وقرر الهرب.. فأخذ أمواله ورحل هو وخدمه وحشمه إلى حيث لا يدرى..

أما ما كان من الأمير والدولاب.. فقد اهتم الأمير به ووضعه في غرفته الخاصة التي فيها أكله وفيها منامه .. وفيها مسرحه وفيها مردحه..

وكان طعام الأمير يوضع له في هذه الغرفة في مواعيد معينة وصارت زينب تخرج من دولابها فتأكل نصفه وتترك نصفه للأمير..

ورأى الأمير أن نصف الأكل يؤكل فسأل الخادم الذي يأتي به فأنكر أن يكون يعرف شيئاً.. وسأل الطباخ هل غير شيئاً من مقادير الطعام فقال إنه لم يغير شيئاً وأن طعام الأمير يقدم في مواعيده.!! وبالمقادير المقررة..

وأحس الأمير بأن إهانة موجهة إليه من أحد الخدم الأنذال الذي داس مهابة سيده.. وتجرأ على دخول غرفته الخاصة .. وتناول شيئاً من طعامه..

وبدأ الأمير يراقب الغرفة.. وقد صمم على أن ينتقم من هذا الشخص الذي يتجرأ فيأكل من طعامه الخاص..

وجاء موعد الغداء .. واختفى الأمير في مكان يرى منه ما يحدث وهو لا يرى .. وجعل يراقب الوضع والدم يغلي في عروقه من شدة الغضب ومن التصميم على الانتقام..

وفي هذه الأثناء لم يشعر الأمير إلا بحركة في داخل الطاولة.. وبعدها خرجت الأميرة زينب فجلست على الطاولة وأكلت نصف الطعام ثم عادت إلى طاولتها وأقفلت على نفسها من الداخل..

وذهل الأمير من هذه المفاجأة وتسمر في مكانه ولم يستطع حراكاً لفترة طويلة من الزمن.. واستحال غضب الأمير إلى رضا.. وحزنه إلى سرور.. وكيف لا يفرح.. وهو يرى حبيبته تشاركه في طعامه.! وتشاركه في غرفة منامه. !!

وجاء موعد العشاء والأمير يترقب وعندما خرجت الأميرة زينب من دولابها.. وجلست تأكل دخل عليها الأمير وسلم ورحب.. فردت على سلامه وترحيبه. !!

ثم سألها عن السبب الذي جعلها تأتي إليه على هذه الصورة فقصت عليه قصتها من أولها إلى آخرها.. وعندئذ اقتنع الأمير بأن زينب على صواب .. وبقي الأمير يتحدث مع زينب في شتى الأحاديث.. حتى جاء موعد النوم فعادت إلى دولابها ونام الأمير على سريره..

وفي الصباح قال الأمير لزينب إنني سوف أسافر غداً لشأن من شئوني المستعجلة.. وسوف أعود قريباً وسيبقى خدمي يقدمون الطعام على طاولتي فتناولي منه كالمعتاد.. وابقي على حالتك حتى أعود.. فوافقت زينب على هذا الترتيب.. وسافر الأمير.. وبقي في سفره مدة أطول مما كان يتوقع..

كان أحد جيران الأمير لديه زواج .. وقد علموا بالطاولة الجديدة الغريبة اللطيفة التي لدى الأمير.. فأرادوا أن يستعيروها

في هذه المناسبة لوضع أباريق الشاي وأواني القهوة عليها..

وطلبوا من والدة الأمير إعارتهم هذه الطاولة لمدة ليلة واحدة.. ولكن والدة الأمير اعتذرت وقالت إن ولدي أوصاني أن أهتم بهذه الطاولة وأن لا أحركها من مكانها. !!

ولكن الجيران ألحوا على الوالدة.. وقالوا إنها كلها ليلة واحدة.. قد تنقضي وولدك في غيابه وتعود الطاولة إلى مكانها وكأن شيئاً لم يكن .. وأمام هذا الإلحاح المتواصل أعارتهم والدة الأمير تلك الطاولة.. وبداخلها الأميرة زينب.!!

ووضعت أباريق الشاي وأواني القهوة فوق تلك الطاولة.. وصارت قطرات القهوة الحارة والشاي الحار تتسرب من الأواني إلى الدولاب الذي فيه زينب فيحرقها ويؤذيها .. ويقض مضجعها.. ورأت أنها إن استمرت على حالتها هذه.. فقد ينصب عليها ما يسلخ جلدها..

وفكرت زينب في طريقة تتخلص بها من هذا الوضع الخطر الذي أوقعتها الصدف السيئة فيه.. فلم تجد طريقة.. وأخيراً لم تر لها مناصاً من دعوة الله بأن يخلق لها جناحين وأن يصورها في صورة طائر.. لتهرب من ذلك الخطر المحدق بها. !!

واستجاب الله دعاء زينب فانقلبت إلى حمامة بيضاء.!! وفتحت باب الدولاب وفرت من بين أيدي الحاضرين ونظر إليها القوم وهي تحلق في السماء فتعجبوا مما رأوا وخافوا من هذه الطاولة.. وظنوا بها مختلف الظنون فمنهم من اعتقد أن فيها جناً.. ومنهم من اعتقد أنها مسحورة.. ومنهم من ظن أنها تحتوي على أخطار وأسرار لا يؤمن خطرها. !!

ولهذا فقد أعيدت الطاولة إلى قصر الأمير حالاً للخلاص من أخطارها.. والخلاص من مسؤليتها.. وطارت زينب في شكل حمامة بيضاء.. وحلقت فوق المدينة.. ورأت ضاحية من ضواحيها جميلة..ْ فهبطت في بستان من تلك البساتين.. ووقعت فوق نخلة ثم هبطت منها إلى الأرض .. ودعت الله أن يعيدها إنسانة كما كانت فاستجاب الله دعوتها.. وأعادها إلى صورتها الأولى..

كان البستان ملكاً لامرأة أرملة.. فذهبت الفتاة زينب إليها.. وأخبرتها بحالها.. وطلبت منها إيواءها فرحبت الأرملة بالفتاة.. وقالت لها ابقي عندي على الرحب والسعة.. وسوف أجعلك ابنة لي.! وبقيت زينب عند هذه الأرملة.. منتظرة الفرج.!!

أما الأمير فإنه عندما عاد من سفره.. وجد الطاولة ليست على وضعها السابق.. ووجد الطعام الذي يوضع من أجل الفتاة زينب باق على حاله.. وانتظر حتى جاء موعد الطعام فلم تخرج زينب.. وانتظر عدة وجبات.. ولكنها لم تخرج ونظر إلى الدولاب فإذا هو مفتوح.. وباطنه خال.!!

وسأل الأمير والدته عما جرى بالنسبة للدولاب فأخبرته بما صار واعتذرت منه.. ولكن عذرها لم يعد إليه حبيبته.. وقبل عذر والدته مضطراً.. وكان باله مشغولاً.. وبلباله كان موصولاً.!!

وفتح تلك الدواليب لعله يجد فيها ما يدله على حبيبته.. ولكنه لم يجد إلا تلك الحاجات الخاصة بزينب فتركها في مكانها.. ما عدا خف لطيف وجده لزينب.. وهوالأثر الوحيد.الذي يمكن أن يستفاد منه ويستعان به للتعرف على زينب في المكان الذي

تعيش فيه..

وكان الأمير يعرف عجوزاً تعرف المدينة وأهلها.. وتعرف زواياها وخباياها..

وكانت هذه العجوز هي الأمل الوحيد الذي يرجو الأمير أن يتوصل بواسطته إلى معرفة مصير حبيبته وطلب العجوز فجاءت إليه بسرعة وأخبرها بخبر زينب وقال لها إنني مستعد بدفع مكافأة كبيرة لك إذا استطعت أن تدليني عليها.. كما أنني مستعد بدفع أي مبلغ يتطلبه البحث عنها..

وأعطاها الأمير ذلك الخف.. وقال إنه سوف يكون دليلك عليها..ومرشدك إلى شخصيتها.!!

وأخذت العجوز ذلك الخف ووعدت الأمير خيراً.. وقالت له إنني سوف أجدها ولوكانت في شق نملة إذا كانت في هذه المدينة.. وانطلقت العجوز إلى مهمتها.. مدفوعة بأنواع الإغراء الذي وعدها به الأمير..

وجعلت العجوز تطوف البيوت بيتاً بيتاً.. ومعها بعض ما يحتاجه النساء تعرضه عليهن.. وتبيع اليهن ما يحتجن إليه.. وهي في هذا كله تتحسس أخبار زينب وتعرض ذلك الخف.. وتقيسه على الفتيات من لدات زينب.. وطال بحث العجوز في المدينة.. ولم تصل إلى نتيجة..

وطلبها الأمير وسألها.. فقالت له لقد طفت في جميع أحياء المدينة فلم أجد لزينب أثراً.. وقد بقيت الضواحي وأنا آمل أن أجدها فيها .!

وبدأت العجوز جولتها في ضواحي المدينة.. واستمرت تنتقل من ضاحية إلى ضاحية.. حتى وصلت إلى حديقة تلك

المرأة الأرملة.. فدخلت عليها وعرضت عليها ما معها من حاجات النساء.. فاشترت منها ما راق لها..

ثم أخرجت العجوز ذلك الخف وقالت لها إن عندي هذا الخف.. وهوخف نادر جداً فليس يوجد له مثيل في الأسواق.. وقد اضطرت صاحبته لبيعه لظروف قاسية تعانيها.. ونظرت المرأة إلى ذلك الخف فأعجبها.. ورأت أن جميع ما قالته العجوز صحيح.. فقالت إن لدي فتاة سوف آتي بها لتقيسه على قدمها.!!

وذهبت الأرملة مسرعة فدعت الفتاة وجاءت بها إلى العجوز ولبست الخف فإذا هو خفها.. ومشت فيه فازداد التصاقاً بقدمها أكثر فأكثر.. وقالت العجوز إن الخف صالح لك تماماً وسوف آتي بأخيه في اليوم التالي.. وآتي بصاحبه ليتفق معكم على الثمن. !!

وعادت العجوز فرحة مستبشرة.. وذهبت إلى الأمير حالاً.. وعندما رآها مقبلة علم أن لديها خبراً ساراً ففرح واستبشر. !!

وقالت العجوز للأمير لقد وجدتها.. في المكان الفلاني.. عند عجوز أرملة.. ووصفت الفتاة للأمير حتى علم يقيناً بأنها زينب.. فذهب معها ومعه الخفان.. وجاءت زينب لتلبس الخفين.. وتتفق مع صاحبهما على الثمن.. فعرفها وعرفته.. وقاست الخف وأخذته وذهب الثمن.. واتفق الحبيبان على الزواج..

وذهب الأمير إلى أهله فأخبرهم .. فجاؤوا بالقاضي وبالفتاة وعقدوا عقد النكاح برضا الطرفين وولاية القاضي على الأميرة.!!

وعاد الرواي من عندهم لم يحصل على درهم ولا دينار..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت. !!

سالفـــــة :

٧-السلطان مع سارق ثور السلطان

قال أحد الأطفال عندما رأى جدته قصي علينا سالفة السلطان وسارق ثور السلطان..

فقالت الجدة حباً وكرامة ثم اعتدلت في جلستها وشرعت قائلة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالى.. وإلى هنا هاك السلطان الكثير الجنود والأعوان.. العزيز الجانب.. الموطد الأركان.. وكان لهذا السلطان ثور مدلل كبقر البانيان.! تركه يهيم في المدينة وفي المزروعات.. ويأكل ما يشاء.. ويعبث بما يشاء..

ولا أحد يجرؤ على صده أو طرده.. أوحتى عن الإخبار عنه.. لأن الناس قد علموا أن السلطان يدري بما يصنع ثوره..كما أنه لا يرضى.. أن يشتكي أحد هذا الثور.. أو يذكر مساوئه وأضراره..

وصبر الناس صبراً طويلاً.. ولكن القلق والتذمر أصبح يزداد يوماً بعد يوم.. والأضرار بدأت تزعج الكثير من الناس.. وازدادت الأضرار وازداد اللغط والشكوى من الناس بعضهم لبعض.!!

وكان هذا الثور قد سمن حتى صار يغري بلحمه وشحمه كل من رآه.. ولكن أحداً لا يجرؤ عليه.. لا خوفاً منه ولكن

خوفاً من السلطان. !!

وكان في المدينة رجل دميم الخلقة قميء القامة.. إلا أنه كان حاد الفؤاد.. بعيد النظر.. خراج ولاج.. يحسن الدخول في المآزق ويحسن الخروج منها..

وفي غفلة من غفلات العيون والأرصاد قبض هذا الرجل على ثور السلطان وذهب به في خربة فذبحه.. وأخذ لحمه إلى زوجته.. ودفن جلده وبقية فضلاته في تلك الخربة..

وسألته زوجته عن هذا اللحم من أين أتى به .. فقال إن لهذا اللحم قصة.. وأخشى أن أبوح بها إليك فتفشينها.. فيكون في ذلك هلاكي.. فقالت الزوجة لزوجها إنني لا يمكن أن أفشي سراً يسيء إليك أويقضي على حياتك فأخبرني وكن واثقاً ومطمئناً بأن السر سوف يبقى محفوظاً إلى الأبد. !!

فأخبرها الرجل بأن اللحم من ثور السلطان.. وأنه ذبحه لغرضين مزدوجين أولهما كف شره عن الناس وثانيهما وهو الأهم الاستفادة من لحمه.!!

وذعرت المرأة عندما سمعت بأن ذلك اللحم من لحم ثور السلطان.. وتوقعت حدوث عواقب وخيمة ولكنها ضبطت أعصابها.. وقالت لزوجها ثق يازوجي العزيز بأنني لن أدلي بأي خبر عما جرى..

وبقي الرجل على عادته في دخوله إلى بيته وخروجه منه هادىء النفس موزون الحركات.. يستمع لما يدور بين الناس حول الثور.. وقد سمع بأن الناس فرحوا فرحاً بهلاكه.. ولوكانوا يعرفون من ذبحه لشكروه وأثنوا عليه.. وكافأوه مكافأة سخية.. على شرط أن لا يعرف السلطان شيئاً عن مشاعرهم وتقديرهم للفاعل..

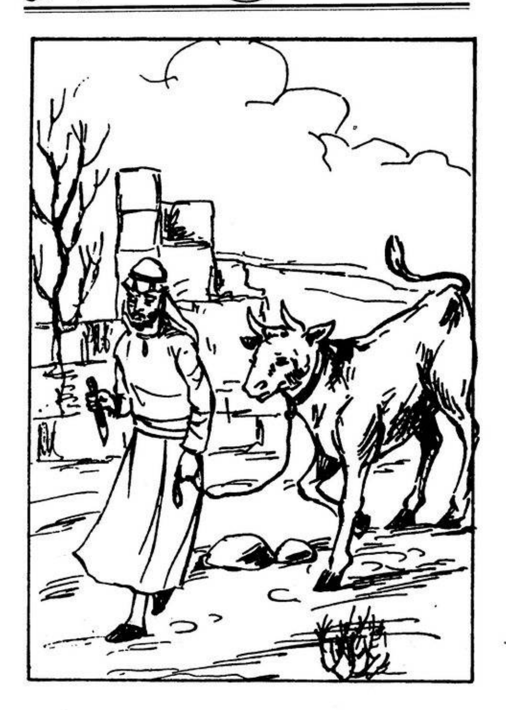
أما السلطان فإنه عندما علم بفقدان ثوره المدلل غضب غضباً شديداً وجمع أعوانه ومساعديه.. وألقى فيهم خطبة تشتعل غضباً وثورة وقال لهم من جملة ما قال إن الذي تجرأ على الثور سوف يتجرأ على غيره إذا ترك بلا جزاء.. وسوف يفتح الباب لقوم آخرين ليعملوا مثل عمله.. وإن عليكم أن تبحثوا عن المجرم فإن كان في السماء فأنزلوه.. وان كان في الأرض فأخرجوه.. ولن يهدأ لي بال حتى ينال المجرم جزاءه.!!

وتأثر الخدم والأعوان بهذا الخطبة وتحمسوا للبحث والتحري وتأكدوا بأنهم سوف يجدون الفاعل مهما بالغ في الاختفاء والتنكر..

وقبل أن يتفرق القوم للبدء في مهمتهم قال لهم السلطان إنني سوف أعطيكم مدة معينة هي أسبوع واحد للحصول على المجرم.. وبعد الأسبوع سوف أرى فيكم رأيي.. ثم وعد السلطان من يجد المجرم بمكافأة كبيرة سال لعاب القوم عندما سمعوها..

وتفرق الخدم والأعوان.. وانبثوا في أنحاء المدينة يبحثون وينقبون .. ووجد أحدهم بقايا الثور.. ولكنه بحث عن شيء يدل على الجاني فلم يجد.. واتجهت التهمة لعدة أشخاص فقبض عليهم ولكنهم لم يصلوا معهم إلى نتيجة.!

وجدَّ الرجال في البحث.. وباءت مساعيهم كلها بالفشل.. وكان السلطان ينتظر ويترقب البشرى بوجود الفاعل.. ولكن الأسبوع انتهى دون الوصول إلى نتيجة.. وغضب السلطان على أعوانه وأقصى عدة أشخاص منهم.. وفكر في أسلوب آخر يبحث به عن المجرم .. وكان يعرف عجوزاً لا تترك بيتاً في المدينة إلا دخلته.. ولا سراً من أسرار أهلها إلا عرفته..



السارق يقود الثور إلى مصرعه في خربة من الخربات

وأرسل إليها فجاءته .. وقال لها إنني سوف أعهد إليك بمهمة تحتاج إلى تلطف.. وتحتاج إلى ذكاء.. وحسن تصرف ! فأبدت العجوز استعدادها.. فأخبرها السلطان بالمهمة وهي العثور على قاتل الثور.. وأغراها السلطان بمكافأة كبيرة أعطاها بعضها حالاً ووعدها بالبقية عند النجاح في المهمة.!!

وأخذت العجوز مكافأة السلطان.. وخرجت وهي تدير في رأسها مختلف الطرق الأساليب التي يجب عليها أن تتبعها.. وذهبت إلى بيتها حالاً وأخذت زبيلها.. وفيه أغراض متعددة من حاجات النساء ولوازمهن..

صارت العجوز تدور في البيوت تبيع وتشتري وتتحسس الأخبار وتتصل بالأشرار والأخيار.. وفي يوم من الأيام دخلت في أحد البيوت .. فشمت رائحة لحم يطبخ فباعت على صاحبة البيبت ما أرادت.. ثم قالت :-

إن عندي فتاة مريضة تشتهي لحم ثور .. وقد بحثت في السوق عن هذا اللحم فلم أجده فأرجو أن تعطيني قطعة لحم إذا كان هذا اللحم الذي تطبخونه لحم ثور.. أما إذا كان لحم بقرة فإنني لا أريده لأن ابنتي لا تحبه.!!

فقالت لها المرأة إن الذي عندنا لحم ثور.. وسوف أعطيك منه قطعة كبيرة تكفيك أنت وابنتك.. وقالت العجوز إنني طيلة الأيام الماضية أبحث في السوق عن لحمة ثور فلم أجد.. فمن أين اشتريتم هذا اللحم حتى أشتري منه في المرة الآتية.!!

فغمغمت المرأة ولم تبح للعجوز بالطريقة التي حصلوا بها

على لحم ذلك الثور .. فألحت العجوز على المرأة .. وقالت لها إنني كوالدتك.. ولست أقصد من السؤال إلا معرفة مصدر اللحم لأشتري منه...فقالت المرأة إن زوجي جاء بهذا اللحم دون أن يدفع فيه ثمناً.. ولا أدري من أين جاء به.!!

وتيقنت العجوز بأنها وصلت إلي نتيجة باهرة.. وأخذت زبيلها وفيه أغراضها.. وفيه قطعة اللحم التي أعطتها إياه المرأة..

وعندما أقبلت على الباب للخروج.. قابلها زوج المرأة ورأى اللحم في أعلى زبيلها.. فسلم عليها وقال لها.. عودي معي يا أماه لأعطيك لحمة أكبر من هذه اللحمة.. وأخبرك بأخبار وافية عنها.!!

وأخذ العجوز من يدها.. ودخل بها إلى أقصى المنزل وكان فيه تنور قذف بالعجوز في وسطه ثم أوقد عليها النار حتى صارت رماداً..

ثم عاد إلى زوجته وقال لها يا زوجتي العزيزة لقد كدت أن تفضحينا.. وأن تجري علينا البلاء.. فاعتذرت زوجته.. وقالت إنني لا أتصور أن هذه العجوز على صلة بالسلطان.. فقال لها زوجها إن عليك أن تشكي في كل أحد وأن تحتاطي تمام الاحتياط.. فمن الحزم سوء الظن بالناس.!!

وفقدت العجوز وبلغ السلطان فقدانها فازداد غضبه وازدادت ثورته.. وقال في نفسه إن هذه أحداث لم يسبق أن حدثت في بلادي وإن علي أن أجتث هذه الشرور حتى تعود الأمور إلى سابق عهدها.!!

وكان للسلطان ابنة ذكية عاقلة ورأت ما يعاني والدها من ثورة وغضب فقالت له ما الذي أغضبك يا والدي العزيز.. فأخبرها السلطان بالقصة.. وقال إنني قلق من جراء هذين الحدثين فقدان الثور وفقدان العجوز التي تبحث عنه .!

فقالت له ابنته إذا وثقت بي يا والدي العزيز.. فإنني سوف آتيك بالخبر اليقين .

فمنحها السلطان ثقته.. وأذن لها بالبحث عن الجاني.. وقال لها إن الذي قتل الثور هونفسه الذي قتل العجوز.. وإذا تركنا الأمور هكذا فقد تمتد يده أكثر فأكثر وعلينا أن نحسم الشر في بدايته قبل أن يستفحل ضرره.. ويتطاير شرره.!!

فقالت ابنة السلطان أنا أتعهد بأن أدلكم عليه وأكشف الستار الصفيق الذي يحيط به.. فرحب والدها بفكرتها وشجعها عليها..ولكنها قالت لأبيها على شرط أن تزيل من نفسك عوامل الغيرة وأن تسمح لي بالاطماع في نفسي.. وثق أنه لن يجرؤ على ابنة السلطان إلا الذي تجرأ على ثور السلطان !!

فسمح لها والدها بأن تفعل ما تريد في سبيل الوصول إلى نتيجة.. وخرجت ابنة السلطان في أبهى زينتها.. تمشى في الأسواق.. وكل يراها ويشتهيها ولكن لا أحد يجرؤ على أن يكلم ابنة السلطان أويحاول أن ينال منها مطمعاً.. وسارت الفتاة في شوارع المدينة دون أن يعترض طريقها إنسان. !!

وبينما كانت سائرة في أحد الشوارع وإذا برجل يكلمها ويغازلها وهي لا تظهر أي تأفف أوسخط على هذه المغازلة..

وتبعها الرجل حتى أتيحت له الفرصة لمحادثتها وعرض الجانب عليها.. فوافقت الفتاة.. فقال لها اتبعيني..وتبعته..

ودخل بها في منزل أحد أصدقائه الذي كان مسافراً وتحدثت معه وتحدث معها.. وكان معها طيب.. وقد مزج بالنورة فمسحت على لحيته وشاربه من هذا الطيب الذكي الرائحة وعندما شمه الرجل فرح به وقال للفتاة زيديني من هذا الطيب فزادته..

ثم خرجت الفتاة من عنده وهي واثقة بأنها قد وسمته بعلامة فارقة.. سوف تجعله أشهر من نار على علم..! وعادت الفتاة إلى والدها.. فأخبرته بأنها قد وضعت على لحية الرجل وشاربه نورة وأن عليهم غداً أن يستعرضوا رجال المدينة فأنهم يجدونه بلا لحية ولا شارب فهو قاتل الثور.!! وقاتل العجوز.. ومنتهك حرمة السلطان.!!

وفرح السلطان بهذه النتيجة السريعة.. التي حصلت عليها ابنته.. ونشر أعوانه في البلدة في المساجد.. وفي مجتمعات الناس.. وقال لهم إذا وجدتم رجلاً بلا لحية ولاشارب فاقبضوا عليه وائتوني به مسرعين .!

ولبى الرجال أمر السلطان.. وتفرقوا في المدينة باحثين عن الرجل الذي بلالحية ولا شارب.. أما ما كان من قاتل الثور فإنه شعر في الليل بتساقط شعر لحيته وشاربه وأدرك أن ذلك من الطيب.. الذي كان ممزوجاً بالنورة التي من طبيعتها إسقاط الشعر..

علم الرجل بالمكيدة التي ينطوي عليها هذا الأمر.. فلم يكن منه إلا أن يستيقظ مبكرا.. وعندما أذن آذان الصبح ذهب مسرعا إلى البئر التي بقرب المسجد والتي يتوضأ من مائها الناس عند كل صلاة.. فملأ الحوض ومزجه بمادة النورة .!

وجاء الناس فتوضأوا فكل من توضأ من تلك البئر تساقط شعر لحيته وشاربه.. وجاء الصباح ورأى أعوان السلطان رجلا قد تساقط شعره فقبضوا عليه ولكنهم بعد فترةوجيزة وجدوا شخصاً ثانياً وثالثاً ورابعاً.. ثم وجدوا أن الناس كلهم على هذه الشاكلة فأطلقوا من قبضوا عليهم..

وذهبوا إلى السلطان فأخبروه.. فغضب غضبا شديداً..وعلم أن تدابيره وإجراءاته للقبض على هذا القاتل قد فشلت وأنه لا سبيل إلى القبض على هذا المجرم فقد أعياهم.. وكلفهم من أمرهم رهقا..

ولهذا فإن السلطان فكر ملياً فوجد طريقة لاكتشاف هذا المحتال العريق.. فإذا لم يستطيعوا أن يقبضوا عليه بهذه الحيلة.. فإنه لا سبيل للقبض عليه..

وأمر السلطان بأن ترمى في الشارع نقود ذهبية عليها علامة السلطان.. وتحمل شعاره.. وقال لأعوانه راقبوا هذه النقود فأي شخص يتجرأ على أخذها فاقبضوا عليه وائتوني به. !!

ورميت النقود الذهبية في الشارع.. وأعوان السلطان يراقبون الغادين والرائحين فلا أحد يجرؤ على الانحناء على تلك النقود وأخذها..

وعلم قاتل الثور بتلك النقود.. فجعل في أسفل نعليه دبسا.. أو مادة لزجة أخرى.. وجاء إلى ذلك الشارع يمشي على تلك النقود.. ولا ينحني لأخذها.. فكان كلما دعس على شيء من تلك النقود لصق بنعليه وسار بتلك النقود في أسفل نعليه دون أن يشعر المراقبون بما صنع..

وجاء المراقبون إلى تلك النقود بعد أن يئسوا من أخذها.. فلم يجدوها وذهبوا إلى السلطان فأخبروه بما جرى.. فازداد السلطان ثورة وغضباً.. ولكن المغضوب عليه ليس بين يديه لينتقم منه.. وينفس من بركان ذلك الغضب..

ورأى السلطان أخيراً أنه لا فائدة من الغضب ما دام المغضوب عليه ليس حاضراً لديه..

وفكر في طريقة أخرى لا كتشاف هذا المجرم العريق ولكنه لم يجد..

وأخيراً أمر السلطان بأن ينادى في البلد بالأمان لقاتل ثور السلطان.. وأن له مكافأة كبيرة إذا سلم نفسه إلى السلطات المسئولة..

أو سلم نفسه إلى السلطان.!!

ومضى بعد إعلان هذا العفو يومان أو ثلاثة.. والسلطان ينتظر.. وقاتل الثور يترقب الفرصة المناسبة لتسليم نفسه للسلطان لأنه يعلم أن السلطان لن يخلف وعده.. ولن يغدر بعهده.!!

وفي ذات صباح ذهب قاتل الثور إلى قصر السلطان وأخبر

الحاجب بأنه يريد مقابلة السلطان شخصياً لأن لديه أخباراً عن قاتل الثور.. وأخبر السلطان بهذا الوافد.. وأعلم بما يحمل من أخبار.. فأمر بادخاله عليه حالاً..

ووقف الرجل أمام السلطان.. وقال له السلطان ما لديك من أخبار.. فقال الرجل لقد جئت لأسلم نفسي إلى السلطان شخصياً.. ولأعتذر منه عما بدر مني فقد قمت بعمل لا يصح أن يصدر من شخص يحب مليكه وبلاده.. ولكني سوف أشرح لمولاي السلطان الأسباب والدوافع ليكون لي بعض العذر..

وأنصت السلطان إلى الرجل فواصل حديثه قائلا:-

لقد رأيت هذا الثور يعيث في الأرض فساداً.. فيأكل ويخرب ولا أحد يجرؤ على صده ولا أحد يجرؤ على إخبار السلطان بما يصنع.. فدفعتي الغيرة أولاً.. وشهوة اللحم ثانيا.. إلى أن أفعل ما فعلت. هذا هو السبب فيما عملت أولاً.. أما ما عملته بعده فهو من باب الدفاع عن النفس..

هذه هي مبررات عملي.. أرجو أن تكون عاملاً قويا لتخفيف آثار تهوري.. وارتكابي ما لا يليق. !!

فقال السلطان.. إنني لا أصدق أنك أنت الذي قتلت الثور وقمت بما قمت به من أعمال فيما بعد..

وكان الرجل قصيراً دميماً تقتحمه العين.. ولا يوحي شخصه الضئيل بتلك الجرأة والإقدام.. وصواب النقض والإبرام..

فقال له السلطان إنني لا أصدق أنك أنت الذي قمت بقتل الثور.. وما تلاه من أحداث.. فقال الرجل إنه أنا.. ولم يشاركي في هذا العمل أي انسان.. فأنا الذي عملت تلك الأعمال. وأنا المسئول عن نتائجها..

وقال السلطان إنني لن أصدق ما قلت إلا بدليل.. وبعد اختبار فإن نجحت في ذلك الاختبار صدقت أنك قاتل الثور والقائم بما تلاه من أحداث.. وإن سقطت في التجربة كنت كاذباً مفترياً.. وسينالك عقاب الكاذبين المفترين.!!

وقال الرجل إنني مستعد لخوض هذه التجربة.. ومحاولة اجتياز هذا الامتحان بنجاح.!!

وقال السلطان للرجل إجلس فجلس.. ثم قال له إن لي منافساً قوياً شرساً هو سلطان البلاد الفلانية.. فإذا استطعت أن تذهب إليه..وتأتي به إلي حياً أو ميتاً.. فإنني سوف أصدقك.. وسوف امنحك رتبة يحسدك عليها أي شخص في بلادي.!!

وقال الرجل للسلطان إنني على أتم الاستعداد.. و أعطاه السلطان ما يريده من أدوات السفر ولوازمه وعندما هيأ الرجل نفسه ورتب أمور عائلته .. توجه إلى بلد ذلك السلطان.. وجدَّ في السير حتى وصل عاصمة تلك البلاد.. فاستأجر بيتاً.. فسكنه ثم فكر في الطريقة التي يستطيع بها أن يصل إلى هذا السلطان.. وبعد السؤال والتحري علم أن السلطان أكول شروب.!!

وقال الرجل في نفسه إنني لن أستطيع أن أصل إلى هذا

السلطان.. وأن أبلغ مرادي منه إلا عن طريق معدته وبحث الرجل عن شريك من أهل البلد لافتتاح مطعم في المدينة ووجد الشريك وفتح المطعم.. وصار الرجل هو الذي يتولى الطبخ.. ويصنع أنواعا من الأطعمة اللذيذة التي لم تعهدها المدينه.!!

فأقبل عليه الناس.. وانتشرت له فيما بينهم سمعة فريدة.. وترامت سمعة هذا المطعم إلى السلطان فطلب إحضار هذا الطباخ.. وذهب الرجل الغريب إلى السلطان وعندما مثل بين يديه.. قال له إنني أريد أن تكون طباخي الخاص فرحب الغريب بهذا الشرف العظيم الذي يضفيه عليه السلطان وباشر عمله في مطبخ القصر.. وباع نصيبه من مطعمه السابق إلى شريكه .

صار الرجل الغريب يطبخ للسلطان أنواعا من الأطعمة اللذيذة التي لا عهد له بها.. فازدادت مكانة هذا الطباخ الجديد عند السلطان.. ووثق به حتى صار لا يقدم طعام السلطان ولا شرابه إلا هذا الرجل الغريب..

ودرس الرجل أوضاع السلطان وأوقات خلواته.. وأوقات اجتماعاته.. وعلم بشؤن القصر كلها.. وشؤون أهلها.. وعندئذ ذهب إلى نجار ماهر في المدينة.. وطلب منه أن يصنع له صندوقاً خشبياً طوله كذا وعرضه كذا وصنع له النجار صندوقاً جميلاً حسب التعليمات والمواصفات المطلوبة .

ثم ذهب إلى رسام ماهر.. فقال له إنني أريد أن تتخيل ملك الموت.. فترسمه لي بأجنحته وشكله الملائكي..

وصنع الرسام رسماً لملك الموت.. فكان رسماً مخيفاً مرعباً.. ثم ذهب الرجل بذلك الرسم إلى مصمم ألعاب للأطفال.. وقال له إنني أريد منك أن تصنع لي ألبسة تنكرية إذا لبستها صرت مثل صورة هذا الرسم .

وعمل له الصانع ما أراد وعمل تجربة لهذه الملابس فكانت طبق ما يريد.. وأخذ الجميع وأخفاه في حجرته الخاصة التي بداخل قصر السلطان..

وحانت الفرصة ذات يوم.. وقال السلطان لطباخه الخاص.. إنني في هذه الليلة سوف أخلو بنفسي.. وأريد أن تهيء لي من الطعام كذا ومن الشراب كذا.. ولبّى الرجل الغريب ما قال له السلطان.. ثم ذهب إلى غرفته الخاصة فلبس ثيابه التنكرية.. ودخل على السلطان وكان على انفراد . وعندما رآه السلطان رفع صوته الغاضب قائلا :- من أنت وكيف تدخل علي بلا إذن مني.!؟ فقال الرجل بصوت أجش رزين.. إنني شخص أدخل على الكبار والصغار بلا مواعيد ولا استئذان .

فقال له السلطان ومن أنت .؟!

فقال الرجل الغريب أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك وكان الرجل قد لبس ذلك اللباس الغريب المخيف.. وعندما سمع السلطان ذلك الكلام ورأى ذلك المرأى انشلت حركته وانعقد لسانه فلم يستطع حراكاً.. ولم يستطع كلاما.. وصار الرجل الغريب مسيطراً عليه تمام السيطرة..!!

وقال الرجل للسلطان لقد رحمتك وأشفقت عليك ولا بد أن لك وصايا ولك حاجات وتدبيرات تريد أن تودع بها الدنيا . فادخل في هذا الصندوق.. وسوف أصعد بك إلى رب العزه.. وأشفع لك في أن تبقى على قيد الحياة فترة من الزمن..

فنشط السلطان قليلاً وتحرك لديه بصيص من الأمل فقال للرجل.. ولماذا لا تصعد.. وتشفع لي وأنا في مكاني هذا.!؟

فقال ملك الموت إن الأوامر التي لدي هي أن أقبض روحك.. وما دام صدر إلي هذا الأمر فلا مجال لي إلا أن أصعد بروحك وبجسمك.. أو أصعد بروحك فقط.. فاختر أي الأمرين شئت.؟!

ورأى السلطان أنه لا مجال للاختيار.. وأن عليه أن يدخل في ذلك الصندوق فلعل طاعته.. وعدم مشاكسته تكون شفيعاً له في أن يبقى في حكمه فترة من الزمن يختم فيها حياته خاتمة طيبة تحفظ له ذكراً جميلاً وتهيء له عاقبة حميدة..

ودخل السلطان في ذلك الصندوق وأقفل الرجل عليه ثم حمله فوق رأسه.. وأخفاه لفترة معينة من الوقت وعندما نامت العيون وانحسر مد الخدم والحشم حمل الرجل ذلك الصندوق.. وخرج به من القصر السلطاني ثم اشترى راحلة قوية سريعة.. فحمل متاعه ومن جملته ذلك الصندوق الذي فيه السلطان.!!

وجدَّ الرجل في السير.. حتى وصل إلى عاصمة بلاده وقصد إلى بيته.. وحط عن راحلته.. ووضع الصندوق الذي فيه السلطان في مكان حصين.. ثم ذهب إلى سلطان بلاده

مسرعاً.. وسلم عليه وأخبره بأنه جاء بالسلطان حياً سوياً قوياً..

فلم يصدق السلطان كلام الرجل بادىء ذي بدء.. وإنما قال له جئني به حالا فذهب الرجل إلى منزله وحمل الصندوق وجاء به إلى السلطان فوجده في مجلسه متحفزاً منتظراً وهو بين المصدق والمكذب.

وجاء الرجل بالصندوق حتى وضعه أمام عظمة السلطان ثم فتحه.. وأطل السلطان بداخل الصندق فإذا به يرى غريمه ومنافسه الخطير في هذا الصندوق ونظر السلطان إلى حاله فإذا هي حال من الرعب والفزع لا نظير لها..

فرق قلب السلطان المنتصر على ذلك السلطان المخطوف.. وأمر بإخراجه من الصندوق وإكرامه غاية الاكرام.. حتى إذا عاد إليه هدوءه واسترد بعض صحته.. جاء به السلطان واعتذر منه وقال له لقد قلتها كلمة عابرة هي إلى الهزل أقرب منها إلى الجد.. فحصل ما حصل..

والآن أنت في أمان وضمان وسوف تعود إلى بلادك معززاً مكرما.. فاطمأن بال السلطان المخطوف.. وأفرخ روعه.. وبدأت تعود اليه صحته شيئاً فشيئاً.. وانتظر من السلطان أن يسرحه سريعا إلى بلاده التي سوف تكون في حالة من الذعر والفوضى لا مثيل لها.!!

ولكن السلطان المنتصر لم يستعجل في إرساله بل أبقاه عنده وهو في غاية الإعظام والإكرام..

وجاء السلطان بقاتل الثور وخاطف السلطان.. فقال له ماذا تريد.. فقال الرجل إنني لا أطلب ولكني أترك الأمر لمولاي عظمة السلطان..

فقال السلطان للرجل لقد اخترتك لتكون وزيراً لي وزوجاً لابنتي.. وفرداً من أفراد أسرتي..

ففرح الرجل بهذا الكلام وشكر السلطان على تلك المنن العظيمة التي أولاه إياها.

أما ما كان بين السلطان المنتصر والسلطان المخطوف فقد أكرم المخطوف غاية الاكرام.. ثم سرح إلى بلده بعد أن أخذت منه العهود والمواثيق أن يكون موالياً للسلطان المنتصر... عدواً لعدوه وصديقاً لصديقه.. وأن لا يضمر مكروهاً ولا غدراً ولا خيانة.. مدى الحياة.!!

على هذا وقع الاتفاق.. وبه صار الوفاق.. وعاد السلطان المخطوف إلى بلده فوجدها في غاية من الرعب والهرج والمرج والارتباك فتسنم عرش سلطانه..

هذا وقد وفى السلطان المخطوف بالعهود والوعود التي بذلها للسلطان الذي اختطفه.. أولاً لأن السلطان أكرمه وثانياً للعهود والوعود التي أبرمت بين السلطانين..

وثالثاً أن الرجل الذي احتال عليه واختطفه هو الذي يتولى شئون ذلك السلطان المنتصر.. ولهذا فهو لا يأمن لو غدر بعهده من حيل ذلك الوزير وأحابيله التي تفوق التصور.. ولا تخطر

على البال..!!

وعاشت المملكتان في سلام ووئام.. وجاء الراوي من عندهم وليس معه إلا هذا الكلام..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت..!!

لابراهيم بن جعيثن في الغنى والفقر

المعسر تضيع أفكاره ... والميسر يا زين اشواره
التاجر يا زين علومه ... الصعلوك اعطيك أخباره
زلات التاجر مر فيه ... لو شافوها كبر القاره
الصعلوك ينمي كذبه ... ولو صارت كبر زراره
تصير أكبر من طميه ... للغياب من الحضاره
يأخذها هذا من هذا ... في البرقية والطياره



سالفـــة :

٨-عائشه وأم عائشه وأبو عائشه.!

«رويت هذه السالفة عن الأخ الصديق الأستاذ عبدالله بن أحمد وكتبتها بأسلوبي الخاص»

كانت الجدة في هذه الليلة متوعكه.. ولم يكن مزاجها معتدلاً ولهذا فقد رأست الجلسة ولكنها تركت الحديث لغيرها على كره منها.. وقالت للأطفال ليقص علينا أحدكم سالفة مما يحفظ.. وقال أحد الأولاد إنني سوف أقص عليكم سالفة سمعتها من أحد زملائي منذ زمن بعيد.. ووافق الأطفال وشرع الطفل في سالفته قائلا:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل الذي متزوج واحدة تدعى عائشة.. وعائشة هذه هي وحيدة أبويها المغفلين.. إلا أن الفتاة كانت عاقلة مؤدبة مهذبة يتعجب من يراها أن تكون خرجت من هذين الأبوين.. ونشأت بينهما ولكن عجائب الكون كثيرة .!!

وقرّر زوج عائشة أن يرحل بها وأن يسكن في بلاد بعيدة عن هذين الأبوين المغفلين..

ورحل الرجل بزوجته..واستقر في بلد بعيدة عن هؤلاء الأصهار.. وبدأ يبيع ويشتري إلى أن رزقه الله ووسع له في الرزق.. وكان بيعه وشراءه في القهوة.. والهيل واستمر على هذه الطريقة فترة من الزمن كان الجو العائلي فيها هادئا مطمئناً.

ولم يشعر الزوجان ذات يوم إلا بأبي عائشة وأم عائشة يحلون عليهما ضيوفاً.. لقد سألا عن ابنتهما وزوجها حتى عرفا المدينة التي يسكنانها.. فجاءا وحطا رحالهما عند بنتهما وزوجها.. وكان مجيئهما أمر غير مرغوب فيه لا من الزوجة ولا من زوجها.. ولكن ماذا يفعلان . إنه ليس أمامهما إلا الصبر.. والتحمل والمجاملة أمام الناس .!!

واستقبل الزوجان أم عائشة ووالدها ورحبابهما وجعلالهما غرفة خاصة.. وقاما بكل ما يحتاجان إليه.. إلا أنهما كانا في خوف شديد من تصرفاتهما الشاذة التي منها ما يضحك ومنها ما يبكي.. ومنها ما يكون بين بين..

وجاء أبو عائشة ذات يوم إلى زوجته أم عائشة وقال لها لقد صليت في المسجد المجاور لبيتنا.. وقد رأيت أن الحصباء التي فيه قليلة.. وهو في حاجة إلى من يفرش أرضه بالحصباء.. والمسلمون كل منهم مشغول بنفسه ومشغول ببيته.. أما بيوت الله فهي متروكة مهملة لا أحد يهتم بها.. ولا أحد يلاحظ ما تحتاج إليه.. وحتى أوقافها وموارد إصلاحها تضيع بين الطير والسلقة.!!

وقالت أم عائشة والله إنك لصادق.. فما هو رأيك أن نكون نحن السابقون إلى فرش ارض المسجد بالبطحاء وقال لها زوجها.. أين البطحاء.؟!

قالت أم عائشة إنها موجودة وقريبة.. إنها في بيت صهرنا العزيز . قد حازها لنفسه.. واحتجز ها في بيته..

واتفق الزوجان أم عائشة وأبو عائشة على أمر.. وترقبا الفرصة.. إنهما يعرفان أن تصرفاتهما لا تعجب كثيراً من الناس ولذلك فإنهما يتصرفان فيما يريدان سراً.. هما مقتنعان بصواب تصرفهما.! والمجنون أو المغفل لا يعرف عن نفسه أنه مجنون أو مغفل.. بل إنه قد يرى أن غيره أولى بهذا الوصف.!!

ولهذا فإن أم عائشة وزوجها انتهزا فرصة خروج الصهر وانشغال زوجته التي هي ابنتهما في المطبخ لإعداد طعام الغداء.. انتهزا هذه الفرصة... وصارا.. ينقلان من مخازن القهوة والهيل ويفرشان بهما أرض المسجد.!!

على اعتبار أن القهوة والهيل نوع من البطحاء التي تقي المصلين شر الغبار والتراب.. واستمرا في النقل حتى لم يبق في مخازن القهوة والهيل حبة واحدة.!!

وجاء الصهر.. ورأى ما فعله صهراه العزيزان.. إنها ثروته كلها قد بعثراها في المسجد وخلطاها بالتراب وجاء الصهر ببعض أصحابه فجمعوا ما استطاعوا جمعه من هذه الثروة المبددة.. وأعادوها إلى مكانها في المنزل وجاء الصهر بباب من حديد وقفل من حديد وأغلق على ثروته خوفا من أن تتكرر المأساة.!!

وانتهت هذه المهزلة بسلام إلا أنها تركت آثاراً سيئة في نفس الفتاة وزوجها.. وكان تأثيرها على نفس الفتاة أكثر.. إنهما والداها.. وأي تصرف شاذ يسيء إليها إساءة معنوية أكثر من أي شخص آخر.!

واحتاطت الفتاة واحتاط زوجها.. ولكن الرقيب يغفل.. والحذر يؤتى من مأمنه . . وكان للفتاة من زوجها ابن رضيع تتركه في حجرتها الخاصة.. وتحاول دائماً أن يكون بمنأى عن أمها وأبيها.. خوفا من أن يريدا الإحسان إليه فيسيئا.. فالجاهل والأحمق يضرك من حيث يريد نفعك.!!

ولهذا قيل في الأمثال «عدو عاقل خير من صديق جاهل» وانشغلت الفتاة عن طفلها ذات يوم.. فبكى ولم تسمعه أمه.. وإنما سمعته جدته أم عائشة.. وصعدت إليه في الغرفة وهزته حتى سكت..

ثم صارت تتحسس في رأسه فوجدت يافوخه لينا.. وظنت أن في يافوخه خراجا هو سبب بكائه.. فلم يكن منها إلا أن أتت بمخيط وفتحت هذا الخراج.. لتخرج منه تلك المادة المتعفنة والتي تقلق الطفل ولا تتركه يرتاح.!!

وسال دماغ الطفل من تلك الفتحة.. وهدأ الطفل.. لكنه هدوء أبدي.. وفرحت أم عائشة بهذا الهدوء ورأت أنها قامت بعمل جبار لم تستطع أن تقوم به ابنتها الجاهلة.. واكتشفت مرضاً لم يكتشفه أبوا الطفل .! ونزلت أم عائشة فرحة مسرورة..



هكذا كانت نهاية هذين المغفلين حيث رميا نفسيهما في البئر.!!
وماتا فيه لأنهما لا يعرفان السباحة

وذهبت حتى وقفت على رأس ابنتها.. وقالت لها:- كيف يكون هذا الخراج الخبيث في رأس ولدك وتتركينه بلا علاج.؟! وتتركين الطفل يصيح ويتألم.. ويزعجك ويزعج كل من حولك.!!

فقالت الفتاة بدهشة.. وأين يقع الخراج.. إنها لا تعرف أن في ولدها خراجاً.. وقالت أم عائشة إن الخراج في رأسه.. في يافوخه.. وقد فتحت هذا الخراج.. فنام الطفل نوما هادئاً.. حتى أنه لا يتحرك فيه عضو واحد.!!

وايقنت الفتاة بأن كارثة جديدة قد حلت بالأسرة المنكوبة.. وقامت مسرعة وهرولت إلى مخدع طفلها فوجدت دماغه قد سال على المخدة والطفل قد فارق الحياة تماماً.. وصعقت الفتاة وسقطت مغمى عليها .!!

فلما جاء زوجها ورأى ما حل بزوجته وما حل بطفله علم أن هذا من تصرفات صهريه العزيزين..ورش الماء على وجه زوجته حتى أفاقت وسألها عن الخبر.. فأخبرته بما جرى.. فوقع الحادث منه موقع الصاعقة.. ولكنه تماسك.. فقد كان أقوى أعصاباً من زوجته.. وأربط جأشاً منها..

وليس هناك مجال للعقاب .. ولا للعتاب.. فتحملا الصدمة صابرين.. ولكنهما أي الزوجين صمما على الإبتعاد عن هذين الصهرين المغفلين.. مها كلفهم هذا البعد من غربة وخسارة ومشقة.!!

أعدا عدة السفر ثم أخذا معهما ما خف من أدوات المنزل.. وسافرا وتركا البيت بما فيه لأم عائشة وزوجها.. ووصل الزوجان إلى بلدة بعيدة عن بلدهما السابقة.. ونزلا فيها

ومارس الرجل التجارة فعوضه الله أكثر مما فقد .. كما أنه رزق طفلاً بدل الطفل الذي راح ضحية الجهل والتغفيل..

بقي الصهران المغفلان فترة من الزمن في هذا البيت وحدهما يأكلان من بقايا ما ترك فيه.. وذات يومٍ اشتاقت العجوز إلى ابنتها فقالت لزوجها لماذا لا نسافر.. ونبحث عن المدينة التي فيها ابنتنا وصهرنا العزيز.. ونقوم بواجب الزيارة ونطمئن على صحتهما وعلى راحتهما.؟!

فقال الزوج إن كلامك صحيح فلماذا لا نسافر.؟!

وعزم الزوجان على السفر واستأجرا راحلة.. وحملا عليها كل ما يلزمهما في سفرهما.. وسارا في أرض معشبة مشرقة الأزهار والنوار.. ثم خرجوا من هذه الأرض إلى أرض شهباء.. لا شجر فيها ولا مرعى.!!

وقال الزوج لزجته.. إن هذه الأرض لم تنبت مع أنها طيبة.. وما ذلك إلا لأنها تشكو الظمأ فقالت الزوجة هذا صحيح.. وقال الزوج لماذا لا نسقي هذه الأرض بالماء الذي معنا ليخرج عشبها ونوارها.؟!

فقالت الزوجة إنها فكرة ممتازة .. وأنزلا القرب ورشّا بها تلك الأرض.. ثم واصلا سفرهما إلى حيث لا يدريان.. ووصلا أرضاً أخرى طيبة.. إلا أنها ظمأى لا أعشاب فيها ولا زهور.. وقالت الزوجة لزوجها إن هذه الأرض تشبه الأرض التي رشيناها بالماء سابقاً.. أنها ظمأى.. فما رأيك.؟!!

قال الزوج أنه لا ماء لدينا الآن.. وليس معنا إلا عكة

سمن فما رأيك هل نرش هذه الأرض بما معنا من السمن..
وأجابت الزوجة بأن رشها بالسمن أمر طبيعي وليس من المعقول أن تشربها تلك الأرض.! ولا تشرب هذه .!!

ورشا تلك الأرض بما معهما من سمن.. ثم سارا في طريقهما المجهول.. إلى أن أدركهما الظمأ.. وجلسا يفكران في حل .. أبو عائشة من جهة وأم عائشة من جهة أخرى..وعلى عادة المجانين جعلا يخرجان من فكرة ويدخلان في فكرة بلا تركيز ولا تمعن..

وخطرت على بال الزوج خاطرة.. وقال لزوجته فجأة.. ومن غير انتظار هل تريدين كبدة بعير مشوية.. وأجابت أم عائشة بسرعة أنها ترغب ذلك.. وتتوق إليه.. وقام أبو عائشة إلى الراحلة وشق بطنه وهي حية وقطع كبدها.. وأوقد النار فشواها.. ثم قدمها إلى زوجته العزيزة فأكلا من الكبد حتى شبعا..

واشتد بالزوجين الظمأ بعد أن أكلا من تلك الكبد الدسمة.. ورأيا أنه ليس أمامهما حل إلا مواصلة السفر فلعلهما يجدان بلداً.. أو يجدان بئراً أو يجدان مسافراً يحمل ماءاً..

وركبا على راحلتهما وهي باركة.. وحركاها لتقوم ولكنها هذه المرة لم تتحرك.. وضرباها بالعصا.. وعلى خلاف عادتها لم تنهض.. فنزلا من فوق ظهرها..وأخذا معهما بقية الطعام وحملاه على ظهريهما.. وسارا إلى حيث لا يدركان.. وقالت الزوجة لزوجها لقد غضبت راحلتنا لأننا أخذنا من كبدها دون أن نستشيرها.. ولكن لا بأس فلعلها إذا رأتنا سائرين أن تلحق بنا.!!

وواصل الزوجان سيرهما وهما ما بين وقت وآخر يلتفتان إلى الوراء.. لعل راحلتهما تكون قد لحقت بهما.. ولكن لا راحلة.. ولا ماء..

وبعد سير حثيث قضى الزوجان فيه معظم النهار وصلا إلى بئر فيه ماء كثير .. ومن فرط شوق الزوج إلى الماء وحاجته إليه رمى بنفسه في قعر البئر دون أن يستشير زوجته.. وكان لا يعرف العوم.. فصار يصارع الموت ولا يقوى على الصياح.. فقمه ملآن ماءاً.!!

ورأته زوجته يتحرك في الماء حركات هستيرية.. وقالت له دعنا من هذا العبث وأخرج لنا ماء نعجن به دقيقنا.!! ولكن الزوج استمر في حركاته الهستيرية التي هي مصارعة الموت.. وظنت الزوجة أنه مستمر في عبثه.. فألقت عليه الدقيق في قعر البئر وقالت له اعجن الدقيق ثم أخرجه لنعمل منه لنا غداء..

ولكن الزوج هدأت حرته وطفا على ظهر الماء.. وخاطبته زوجته عدة مرات ليخرج.. وليخرج مع الدقيق.. ولكنه بقي صامتاً.. فقالت الزوجة في نفسها إن زوجي أناني وقد عجن الدقيق.. وصار يأكل منه ويشرب من ماء البئر.. وأنا جالسة أنتظر من غير جدوى..

فلم يكن من الزوجة إلا أن ألقت بنفسها في البئر.. وكانت لا تعرف العوم أيضاً.. فبقيت فترة من الزمن تصارع الموت إلى أن غرقت ولحقت بزوجها.!!

وهكذا لقي هذان المغفلان مصرعهما نتيجة لطيشهما وتصرفاتهما الشاذة لتي ألحقت الضرر بغيرهما.. ثم كانت النهاية

أن أهلكا نفسيهما بطوعهما واختيارهما.!!

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت.!!

لمحمد العبدالله القاضي

هيهات من يسلم من الشوم واللوم

رضا الناس فيها غاية ما ترام

ما ذكر مخلوق عن العيب معصوم

إلا الذي ظلل عليه الغمام

كم واحد حده طغا الجهل والزوم

حتى شرب بالكره كأس الحمام

وكم ساري في تالي الليل منجوم

أصبح بصحصاح بعيد المظامي

وحذراك خلان الرخا عدهم قوم

خلان من دامت نعيمه ودام

إلى أدبرت دنياك وعدوك معدوم

مروك ما ردوا عليك السلام

وكم جامع مال وهو منه محروم

سلط على ماله عيال الحرام

لا تكترب يا بايت بات مهموم

ترى الفرج عند اكتراب الحزام



سبحونـــة:

٩- الأميرات الراقصات والجندي المجهول.!

قالت الجدة عندما اجتمع عندها الأطفال إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة سبحونة الأميرات الراقصات والجندي المجهول فهل تريدونها أم لدى أحدكم ما هو أحسن منها.؟!

وكان الأطفال لم يسمعوا هذه السبحونة من قبل وهم يحبون كل جديد.. ويتطلعون إلى كل مجهول..

فقالوا بصوت واحد قصّيها علينا..

فقالت الجدة حباً وكرامة وشرعت في السبحونة قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك السلطان الواسع المملكة الكثير الأعوان .. وإلاه متزوج واحدة من أسرته ولكنها كانت مئناثاً .. أي لا تأتي إلا بإناث..

فولدت للسلطان أول مولود طفلة.. ثم أتبعتها بأخرى وثالثة ورابعة.. وكان السلطان يتطلع إلى مولود ذكر يشد أزره ويخلد ذكره.. ويرث عرشه.. ولكن أمنية هـذا السلطـــان لـم تتحقق



الجندي المجهول يركب مع إحدى الأميرات وهو ملتف
بعباءته.. بحيث يراهم ولا يرونه

والكمال لوجه الله.. فقد طلب هذا السلطان المجد فحازه من كل أطرافه.. وأراد ولداً ذكراً فلم يرزق ولداً.. ولو كان هذا الأمر يؤخذ بالقوة والإقدام لأخذه هذا السلطان.. بلا تأخر ولا توان.! ولكنها مواهب يهبها الواحدُ المنان.!!

وصبر هذا السلطان.. وتقبل هذا الواقع على مضض.. غير أنه كان يتعلق بخيط ضعيف من الأمل عندما تحمل زوجته فإذا وضعت أنثى تلاشى أمله.. وتكالب عليه الحزن.. واشتد به الجزع.!

وهكذا استمر هذه السلطان على حالته.. بين اليأس والأمل.! واستمرت زوجته في ولادة الإناث.. حتى بلغ عددهن اثنتا عشرة أميرة.. وكن أميرات في غاية الجمال. والروعة والدلال..

فأمر السلطان بأن يبنى لهن غرفة واسعة خاصة يجتمعن فيها وينمن فيها.. وتكون هي مسرحهن ومردحهن واجتمعت بنات السلطان الإاثنتا عشرة في هذه الغرفة وعشن فيها كأحسن ما يعيش الأخوان من تعاون واتفاق.. على كل الأمور.!!

وكانت الكبرى هي صاحبة الكلمة الأولى وعاش هؤلاء الأميرات معززات مكرمات ولكنهن معزولات.. يشعرن بما يحيط بهن من فراغ وعواطف وانفعالات..

وكبرت هؤلاء الأميرات حتى بلغن سن الزواج.. وكانت كل واحدة منهن يضرب بجمالها المثل.. وسار ذكر جمالهن في طول البلاد وعرضها.. وسمع به القريب والبعيد من سلاطين البلاد المجاورة.

وجاء الخطاب إلى السلطان من كل جهة وصوب.. ولكن هذا السلطان لا يريد أن يهب بناته لأزواج قد لا يستحقونهن. ولا يرتفعون إلى مستواهن من علم وعقل ودهاء..

وكان السلطان قد لاحظ على بناته ملاحظة لم يستطع أن يعرف حقيقتها .. وهي أن بناته الإاثنتا عشرة يمسين وحذيانهن جديدات .. ويصبحن.. وحذيانهن باليات مقطعات.! كان هذا هو دأبهن كل ليلة.!!

وقد حرص السلطان على أن يعرف السبب وأوصى الخدم والحشم الذي يحيطون ببناته بأن يراقبوا هذه الظاهرة وأن يخبروه بسرها.! ولكن الرقباء والعيون لم يستطيعوا أن يحلوا هذا اللغز.. ولا أن يعرفوا الأسباب لهذه الظاهرة الغريبة..

وأعلن السلطان بأنه لن يزوج أحداً من بناته حتى يعرف هذه الظاهرة.. وإذا أخفق الخاطب في هذا الأمر فإن جزاءه الموت.. لأن من يرى الأميرات ويراقبهن لا بد أن يتزوج بإحداهن.. أو يموت في سبيلهن.!!

وشاع هذا الشرط.. أو هذه العقوبة بين الناس وكان كثير من الأمراء يرغبون من الزوج بإحدى هؤلاء الأميرات.. ولكن ذلك الشرط القاسي يحول بينهم.. وبين ما يرغبون .. ولهذا فقد تقاعس الكثير من الأمراء عن هذا المطلب العسير.!!

إلا أن هناك بعض الأمراء المغامرين تقدموا إلى السلطان خاطبين.. فتقدم أول أمير وهو واثق بذكائه ودهائه. وأنه سوف يكتشف هذا السر ويفوز بإحدى بنات السلطان.. وأخبر

السلطان هذا الأمير بما يراد منه.. وأخبره بالنتائج . وهي إما الزواج بإحدى الأميرات أو الموت.!!

فقبل الأمير رقم واحد هذا الشرط.. وأدخل في القصر السلطاني وأنزل في غرفة مجاورة لغرفة الفتيات الإثنتا عشرة.. بحيث يستطيع مراقبة الغرفة من جميع جهاتها.. وجاء الليل.. وعلمت الأميرات بهذا الضيف الجديد.. والمهمة التي أنزل من أجلها في غرفة المراقبة.!

وبدأ الرجل يتطلع يميناً وشمالاً.. ويراقب الأبواب ويراقب النوافذ.. ويراقب كل ما يحيط به ليعرف السر وليفوز بإحداهن.. ولينجو من الموت.!!

وخرجت إليه إحدى الأميرات وسلمت فرد عليها التحية بأحسن منها.. وقالت له أنت ضيفنا هذه الليلة.. وحق الضيف الإكرام.. ولكننا فتيات معزولات وليس لدينا ما نقدمه لضيفنا العزيز إلا هذا الشراب.. الذي هوأحلى من الرضاب.!!

وقدمت له كأساً من الشراب في كوب لطيف .. وبشكل ظريف.. فأخذه من يدها وشربه بلا روية ولا تفكير.. وأخذت الفتاة منه الكأس فارغاً.. بعد أن أعطته إياه ملآناً.. ولم يلبث هذا الأمير إلا دقائق معدودات.. حتى تغلب عليه النوم وراح في سبات عميق..!

أما الأميرات فإن أكبرهن أزاحت أحد الفرش.. ثم تكلمت ببعض الكلمات فانفتحت الأرض.. وهبطن من هذه الفتحة.. وذهبن إلى حيث يذهبن كل ليلة.!!

وجاء الصباح... ووجد الأمير نائماً.. والأميرات قد صنعن في هذه الليلة مثلما يصنعنه كل ليلة... وقدم الأمير ليد الجلاد بلاتردد ولا عناد.. فهذا هو الشرط الذي جرى عليه الاتفاق لا مفر منه ولا انعتاق..

وانتهى دور المغامر الأول وتبعه أمير ثان على أمل أن يكون أذكى من سابقه.. وأكثر يقظة وذكاء ولكن نفس الأسلوب الذي سلكه الأول ونفس النتيجة التي انتهى إليها.. كانت هي مصير الثاني.. وتبعهما ثالث ورابع وخامس إلى أن بلغ الضحايا اثنا عشر أميراً بعدد الأميرات.!!

وهنا توقف الخطاب... وبدأ كل من يريد أن يتقدم يحسب للشرط ألف حساب..

وكان هناك جندي مغامر ذاق مرارة الجوع وشظف العيش ومرت عليه أنواع الشدائد والمحن... وقال هذا الجندي في نفسه لماذا لا أتقدم لخطبة إحدى هؤلاء الأميرات- وكان السلطان يزوج أفراد الشعب... ويتزوج من أفراد الشعب- فإما أن أحيا سعيداً.. وإما أن أموت وأتخلص من هذه الحياة الشقية غير مأسوف عليها .!!

وراقت لهذا الجندي تلك الفكرة... وتغلغلت في أعماقه.. وصارت هي حديث نفسه في جميع الأوقات..

ولم يبح بهذه الهواجس لأحد .. ما عدا عجوز يعرف قدرتها العجيبة على معرفة الأمور.. وحل المشاكل .. وتخطي العقبات.. فذهب هذا الجندي يستشيرها ويطلب منها عونها..

ويطلب منها رأيها وتدبيرها.!!

وقد نفحها بكل ما لديه.. وما وفره من نقود.. ووعدها بأنه إذا فاز بإحدى الأميرات فإنه سوف يكون للعجوز كالولد البار الذي يقاسم والديه كل ما يملكه من ثراء.!!

وقالت العجوز لهذا الجندي.. اترك لي فرصة للتفكير إلى الغد فأعطاها الجندي فرصة للتفكير والتروي.. فالأمر خطير وفيه حياة أو موت.. وعليه يترتب الفشل الأبدي أو النجاح الباهر.!!

وذهب الجندي ثم عاد إلى العجوز من الغد فقالت له لقد وجدت الطريق إلى الفوز فألق إلي بسمعك.. وأرعني تفكيرك واتبع ما سوف أقوله لك.. فإنك إذا فعلت ذلك فسوف تحظى بمطلوبك... وتنال مرادك... وتنجو من ألوان الشقاء التي كنت تعيش فيها.!!

وأصاخ الجندي بسمعه إلى تلك العجوز فقالت له:- إنك إذا جعلت في غرفة مقابلة لغرفة الأميرات فسوف تأتيك إحداهن.. ومعها شراب في كوب وسوف تقدمه إليك كضيافة لك.. فإذا أعطتك هذا الكأس فخذه منها .. وتظاهر بأنك تشربه أمامها.. ولكن إياك أن يتسرب منه نقطة واحدة .. بل صبه بين ثوبك وجلدك .. ودعه يتسرب بين ملابسك .!!

ثم تظاهر بعد ذلك بأنك رحت في نوم عميق.. فإذا اطمأنت الفتيات بأنك نمت فإنهن سوف يقمن بالاستعداد للذهاب إلى حيث يذهبن كل ليلة.. فافتح عينيك بحذر... وراقبهن

بيقظة تامة.. وخذ هذه العباءة فإنك إذا لبستها سوف ترى ولاترى .. كما أن هذه العباءة سوف تطير بك في مجال الطيران.. وسوف تهوي بك إلى أعماق الأرض .. إذا كان الأمر يتطلب ذلك..

فشكرها الجندي على هديتها الثمينة وعلى إرشاداتها القيمة وأخذ العباءة معه ولفها في منديل ووضعها في إبطه ثم توجهه إلى قصر السلطان.. وتقدم إليه على أنه خاطب فرحب به السلطان.. وقال له هل تعرف الشرط إذا أخفقت فيما طلب منك.. فقال الجندي نعم إنني أعرفه .. وأنا راض به.. ومقدم عليه.!!

وأمر السلطان بأن ينزل الجندي في تلك الغرفة التي سكنها أشخاص عدة.. ثم ذهبوا في خبر كان.. وكان كل واحد منهم يمني نفسه .. بأن يكون أذكى من سابقه..ولكن نتيجتهم كانت واحدة.!!

وجاءت إحدى الأميرات إلى ذلك الجندي بالكأس المعهود.. وسلمت عليه وقدمته له على أنه ضيافته من قبل الأميرات.. فشكرها وأخذ الكأس.. وتظاهر بأنه يشربه.. ولكنه صبه بين جلده وثوبه ..

ثم تظاهر بأنه راح في نوم عميق.. وجاء موعد ذهاب الأميرات فلبسن ملابسهن.. والجندي يراقبهن مراقبة يقظة.. ثم وقفت كبراهن عند زاوية من زوايا حجرتهن وجعلت تتلو بعض الكلمات والجمل التي لم يفهم من معانيها شيئا.!!

وبعد تلك الكلمات انفتحت في أرض الغرفة فتحة بقدر ما

يدخل الإنسان.. يتصل بها سرداب طويل ينزل في أعماق الأرض.. وهبطت الأميرات مع تلك الفتحة وجعلن يسرن في ذلك السرداب الطويل.. ونهض الجندي المجهول.. ولبس تلك العباءة السحرية.. ثم نزل من تلك الفتحة التي نزلت منها الأميرات.. ثم جعل يقتفي خطاهن... ويسير حيث يسرن.. وهو يراهن وهن لا يرينه ويسمع كلامهن.. وهو صامت لا يتكلم.!!

وقالت الأميرة الصغرى لأخواتها.. إنني أحس إحساسا غريباً بشيء من الانقباض لا أعرف له سبباً. وإنني أترقب شراً من هذا الخاطب الجديد.. وأشعر شعوراً داخلياً بأنه سوف ينجح في مهمته.. ويكتشف سرنا؟!

فقالت لها أختها الكبرى .. إنك دائما متشائمة.. وتترقبين الشر.. وتتوقعين الكوارث.. وتخشين من أمور لا يصح أن يحسب لها المرء أي حساب.. أما تذكرين كم مر بنا من الأمراء الأذكياء الذين ذهبت مساعيهم سدى.. وكان مصير هم الردى..

فسكتت الصغرى على مضض.. وسارت الأميرات في طريقهن.. والجندي يتابعهن متابعة الظل.. يستقيم حيث يستقمن.. وينحرف حيث ينحرفن.!!

وبعد قليل من السير أفضىٰ بهن ذلك السرداب إلى واد حانٍ ران.. متشابك الأشجار مغرد الأطيار.. فانبهر الجندي.. أشد الأنبهار.. وأنعم النظر في أشجار ذلك الوادي.. فإذا هي من فضة خالصة.. تلمع لمعاناً براقاً.. وتتوهج بالإشراق والصفاء.!!

وأراد الجندى أن يأخذ غصنا من إحدى الشجرات ليكون له

بينة وشاهد عدل بصدقه.. وقصد إحدى الشجرات وأمسك بغصن وقطعه.. ولكن الغصن عند القطع صاح بصوت سمعته الأميرات والتفتن يميناً وشمالاً فلم يرين أحداً .. فعدن إلى حالتهن ولم يقلقن من ذلك الصوت ما عدا الأميرة الصغرى التي علقت عليه قائلة:-

لقد قلت لكن يا أخواتي إنني أحس بأننا مراقبات .. وأن معنا شخص يراقب حركاتنا وسكناتنا.. ويسير معنا حيث سرنا.. ولكن الأميرة الكبرى قالت لأختها إنك دائما متشائمة.. تظنين أسوأ الظنون.. وتخافين من الأوهام.. وترهبين من لاشيء.. وما هذا الصوت الذي سمعناه إلا صوت أحد أصدقائنا من الأمراء الذين ينتظروننا .. ويترقبون وصولنا إليهم.!!

وسكتت الصغرى على مضض.!!.

وواصلت الفتيات سيرهن والجندي يسايرهن ويتبع خطاهن... وهن لا يرينه وهو يراهن... وخرجن من الوادي الأول ودخلن في واد آخر يفوق الأول جمالاً وروعة.. ونظر الجندي إلى أشجاره فإذا هو يرى لها وهجاً وإشراقاً أكثر من الوادي الأول.. وأمعن النظر.. فإذا بتلك الأشجار كلها من الذهب الخالص.!!

وقصد إحدى الشجرات.. واختار منها غصناً فقطعه وحدث صوت.. وصراخ من الشجرة سمعته الفتيات... ولكنهن لم يلتفتن إليه ما عدا الصغرى فإنها لفتت أنظار أخواتها إلى ذلك الصوت.. وقالت إن معنا شخص غريب يتتبع خطانا.. ويراقب حركاتنا .. وهذا الصوت الذي سمعناه هو أقوى دليل على ذلك..

فأسكتتها أختها الكبرى وقالت لها إن ذلك الصوت من أصوات الأصدقاء الذين ينتظرون وصولنا إليهم.. ولا مجال للتخوف ولا للأوهام ومضت الفتيات في طريقهن.. وخرجن من ذلك الوادي ودخلن في واد ثالث له وهج وإشراق أكثر من سابقيه ونظر الجندي إلى أشجاره فإذا ثمارها من اللؤلؤ والمرجان.!!

وذهب الجندي إلى إحدى تلك الشجرات واختار غصناً من أغصانها فقطفه وأخذه معه وأحدث قطعه صرخة سمعتها الأخوات.. ولكن الصغرى لم تقل شيئا والأخريات لم يعرن ذلك الصوت أي التفات..

وواصلن السير فخرجن من ذلك الوادي وأشرفن على بحيرة عظيمة.. وعندما وصلن إلى ساحلها وجدن إثنا عشر أميراً في انتظارهن.. وكل أمير لديه زورق في غاية الروعة والبهاء... وركبت كل أميرة في زورق.. أما الجندي فقد ركب في الزورق الذي ركبت فيه الأميرة الصغيرة.

وسار هذا الموكب من الزوارق في عرض البحيرة.. ولكن زورق الأميرة الصغيرة كان في المؤخرة... وقد بذل الأمير الذي يقوده جهوداً مضنية ليكون في المقدمة كما هي عادته ولكنه لم يستطع.. وقال للأميرة إنني أجدف بكل قوتي ولكن الزورق- على خلاف عادته- بطيء الحركة .. ثقيل السير..

فقالت الأميرة.. لعل لذلك سبباً خفياً لا ندريه واستمر الموكب في سيره إلى أن وصل إلى الشاطىء الثاني وإذا فيه قلعة قد بنيت على تل مرتفع يشرف على البحيرة... وقصد الجميع إلى تلك القلعة المتلألئة بالأنوار.. المحاطة بالأزهار.. وعندما قربوا

منها سمعوا أصوات المو سيقى العذبة.. وشموا الروائح الزكية..

وكان في تلك القلعة إيوان واسع معد للرقص.. فدخله الجميع وأخذوا يرقصون على أنغام الموسيقى.. ويرددون بعض المقاطع من تلك الأغاني التي يسمعونها من الموسيقي ودهش الجندي من جمال تلك القلعة.. وحسنها وأجال نظره باحثاً عن مصدر الموسيقى والأغاني.. فلم يرشيئا.!!

واستمر الرقص إلى قرب الفجر.. وعندئذ .. خرج الجميع واتجهوا إلى الزوارق فركبوها .. وركب الجندي مع الأميرة الكبيرة بعد أن أخذ من تلك القلعة كأساً نادراً .. وسبحت الزوارق بمن فيها إلى الشاطىء المقابل.. وهناك ودع كل أمير رفيقته.. واتفق الجميع على أن يكون الموعد غدا في نفس الزمان والمكان المعتاد...

وسارت الفتيات في طريقهن الذي جئن منه وعندما وصلن السرداب الذي يصل بهن إلى غرفتهن سبقهن الجندي.. وصعد إلى غرفته مسرعاً.. ونام على فراشه وارتفع شخيرة.. وعندما جاءت الفتيات وأشرفن عليه وجدنه نائماً.. لايبدي حراكاً.!!

فخلعت كل واحدة منهن ملابسها... وكانت حذيانهن قد تخرقت من كثرة الرقص.

ودعا السلطان ذلك الجندي في الصباح .. وسأله عما رأى وعما سمع.. وكان الجلاد قد استعد لقطع رأسه.. والنطع قد فرش في المكان المعتاد.. ولكن الجندي قال للسلطان لقد عرفت السر واطلعت على الأسباب.!!

فقال له السلطان أفصح في الجواب .. وعليك بالاقتضاب فقص عليه الجندي جميع ما شاهد... وأخبره بكل ما رأى وبكل ما سمع.. وأخرج له الأغصان الثلاثة.. والكأس النادر.. وفرح السلطان بتوصله إلى تلك المعلومات.!

وكانت الأميرات خلف الباب ينصتن إلى ما يدور بين والدهن السلطان وبين الجندي.. وسمعن كل شيء.. وعرفن أن أمرهن قد انكشف .. وبعد دقائق معدودات أمر السلطان بأن تحضر بناته الاثنتا عشرة بين يديه ليحقق معهن.. وليعرف من أفواههن صدق ما نسب إليهن..

وجاءت الفتيات الاثنتا عشرة.. وسألهن والدهن أين يذهبن.. وماذا يقلن في الأخبار التي نقلها إليه ذلك الجندي الذكي.. ورأت الأميرات أنه لا مجال للإنكار فاعترفن بما جرى.. وأرفقن هذا الاعتراف بالاعتذار وإعلان التوبة والندم على كل ما جرى.. وأظهرن تصميمهن على عدم العودة إلى مثل هذه الأمور التي قادهن إليها طيش الشباب والفراغ والجدة.

وقال السلطان للجندي لقد نجحت أيها الجندي في هذا الأمر الذي فشل فيه رجال كثيرون.. ولهذا فإنني وفاء بالشرط.. وحفاظاً على الوعد أخيرك بين بناتي الاثنتا عشرة فاختر عروستك من بينهن.. فأنت أهل لأحسنهن وكفء لما شئته منهن.!!

فشكر الجندي السلطان على كريم وفائه.. وقا له يا مولاي

السلطان إنني كبير في السن بعض الشيء وأرى أن الأحسن لي ولزوجتي أن نكون متقاربين في السن.. ولهذا فإنني أختار كبرى الأميرات.!!

وأرسل السلطان حالاً إلى رئيس القضاة في مملكته المترامية الأطراف.. وأحضر الشهود وعقد للجندي على كبرى الأميرات.. وعاش معها في سبات ونبات .. ورزق منها الكثير من البنين والبنات!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

للشاعر عبيد الرشيد

ربعى لقوابي عقب ما شبت أنا عيب
بتسطير كتب مفسرين الحلامى
قلت أخبروني يا ملا ويش ذالعيب
قالوا على ساقة رفيقك تحامى
قلت ان هذا من قديم لنا عيب
مستارثينه من خوال وعمامى
رفيقنا ما نجدعه للقصاصيب
يجبر بنا لو نكسره بالعظامى
ورفيقنا لو هو من الجد وصليب
متعلق منا براس السنامى



سـالفـــة:

١٠- عفــارم أفنـــدم.!!

«رويت هذه السالفة عن فضيلة الشيخ محمد الهويش وكتبتها بأسلوبي الخاص»

قالت الجدة للأطفال إنني سوف أقص عليكم سالفة أحد المواطنين مع أحد الولاة السابقين.. وسمع الأولاد باسم الوالي.. وهو اسم غريب عليهم.. والأطفال يحبون كل شيء غريب.. يدفعهم إلى ذلك حب إلاستطلاع ومعرفة المجهول ولهذا فقد قالوا كلهم نعم قصيها علينا..

وشرعت الجدة في سرد السالفة قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل الذي متزوج وله من زوجته عدة أولاد وكان يعمل ويكافح في سبيل تأمين ضرويات العيش لأسرته التي بدأت تكبر وتكثر.. وتكبر طلباتها وتكثر.!!

وفي سنة من السنوات ضاقت قريته عن أن توفر له ولأسرته

ضروريات المعيشة.. وأحس بالضرورة الملحة التي تدفعه إلى الغربة.. وأخبر زوجته بما صمم عليه وكانت زوجته تعرف الظروف القاسية التي تحيط بزوجها فلم يسعها إلا أن توافق مضطرة على رحيل زوجها في طلب الرزق.!!

وجمع الزوج كل ما يستطيع جمعه لمعيشة أسرته .. وودعهم قائلاً إنني سوف أغيب عنكم مدة لا أدري هل تطول أو تقصر.. ولن أعود إليكم إلا بعد أن أحصل على ما أريد.. أو أخفق في ما سافرت من أجله.. وودعوه.. والكل منهم يبكي على فراق عائلهم وعميدهم والمكافح من أجلهم..

سار الرجل إلى مكة المكرمة في طلب الرزق.. ووصلها قرب موسم الحج. فأحب أن يؤدي هذا الركن من أركان الإسلام.. ثم بعد ذلك يبحث عن عمل.. وقضى الرجل فرضه.. وصار يتجول في شوارع مكة باحثاً عن عمل. ولكنه لم يجد عملاً.. وسمع الرجل أن في جدة مجالاً للعمل أكثر من مكة..

وشد الرجل رحاله إلى جدة فوصلها وصار يتجول في شوارعها باحثاً عن عمل يقتات منه أولاً ثم يبعث ما فضل عنه إلى عائلته التي تترقب منه مدداً وعوناً في أقرب فرصة ممكنة.. واستمر الرجل في البحث عن عمل حتى جاء ذات يوم إلى ساحل البحر فوجد رجالاً ينقلون صخوراً من مكان إلى مكان ورأى حاكم البلد يشجعهم ويستحثهم على السرعة والنشاط في حمل تلك الأثقال فانخرط الرجل في سلكهم دون أن يسأل.. ودون أن يعرف الأجر اليومي..

وجد الرجل مع الجادين في نقل تلك الصخور.. وكان

يعمد إلى أكبر الأحجار فيحملها على كتفه حتى يضعها في المكان المراد وضعها فيه فإذا لم يجد حجراً كبيراً حمل حجرين اثنين بينما رفاقه لا يحملون إلا حجراً حجراً.. ويبحثون عن الأحجار الصغار.. توفيراً لجهودهم ونشاطهم..

ولاحظ الحاكم نشاط هذا الرجل الغريب.. ورأى الرجل الغريب نظرات الحاكم إليه .. فأيقن بأنه سوف ينال أجراً وافياً يفوق أجور الآخرين.. ولذلك فقد حاول أن يبذل أكبر جهد ممكن في نقل هذه الصخور من مكانها القديم إلى المكان الجديد.!!

وانتهى النهار.. وجاء وقت استيفاء الأجر.. واصطف العمال في طابور واحد .. ووقف الحاكم لهذا الطابور يصافحهم واحداً واحداً ويمدحهم ويثني على كل حسب جهده ونشاطه الذي شاهده ورآه..

فمنهم من يصافحه ويبسم في وجهه.. ومنهم من يصافحه ويقول له عفارم أفندم. ومنهم من يقول له عفارم أفندم مرتين.. ومنهم من يعفرم له ثلاث مرات وهذا أغلى ثناء يبذله ذلك الحاكم .!!

وجاء الدور على صاحبنا العامل الجاد المخلص.. وقرب من الحاكم ونظر الحاكم إلى هذا العامل فعرفه وتصور ما كان يقوم به من جهد فاق به جميع العمال فصافحه بحرارة.. وقال له عفارم أفندم .. عفارم أفندم.. عفارم أفندم.. ثلاث مرات.!!

إنه لم يقل هذه الكلمات الثلاث لواحد من جميع هؤلاء العمال الذين مروا من أمامه وصافحوه.. وقال هذا العامل لا بد أن وراء هذا الثناء العاطر أجراً وافراً ومر العامل سائراً في

الطابور.. ومنتظراً بعد ذلك وافر الجزاء..

وانتهى السلام والثناء وذهب الحاكم في طريقه .. وبقي العمال حيث كانوا .. وسأل هذا العامل الجاهل زملاءه.. وعن وضعهم وعن أجرهم.. وعن هذا الشخص الذي صافحهم واحداً واحداً.. وأثنى على كل واحد منهم بحسب رأيه فيه.؟!

وقال له زملاؤه إن هذا هو حاكم البلد.. ونحن مجبرون على القيام بهذا العمل مجاناً لمصلحة الدولة .. والأجر الوحيد الذي نقبضه هو هذا المدح والثناء الذي يوزعه علينا هذا الحاكم بمقدار وبحساب فلا يعطى كسولاً أكثر مما يستحق.. ولا يغمط مجداً فيحرمه من كلمات الثناء والإعجاب..

فقال العامل وإذاً فلا أجر على العمل.! فقالوا له أنه لا أجر.!!

وفكر العامل في وضعه إنه جائع.. ومجهد وليس في جيبه نقود.. يشتري بها طعاماً.. وإذاً فما هو العمل.. إن ذلك الثناء العاطر من الحاكم لا يشبع ولا يروي ولا يسمن ولا يغني من جوع.!!

وفكر العامل تفكيراً جدياً.. في هذه المشكلة.. إن الجوع كافر .. ولا بد من وجود طعام بأي شكل من الأشكال .. ورأى مطعماً في أحد الأسواق التي كان يتجول فيها.. ودخل فيه ليأكل وليملأ بطنه وليكن بعد ذلك ما يكون..

وطلب هذا العامل من صاحب المطعم أن يقدم له من جميع الأنواع التي لديه .. فأكل حتى لز أضلاعه.. وجاء وقت دفع الثمن والعامل ليس في جيبه أي شيء.. فلم يكن من هذا العامل إلا أن

يتقدم إلى صاحب المطعم وأن يطلب منه أن يمد يده إليه..

وظن صاحب المطعم أنه سوف يضع النقود فيها عندما يمدها.. ولكنه بدل أن يضع النقود وضع يده اليمنى على يد صاحب المطعم اليمنى .. وجعل يهزها بحرارة ويقول عفارم أفندم.. عفارم أفندم. عفارم أفندم.. وتعجب صاحب المطعم مما رأىٰ ومما سمع.. وقال إنني أريد قيمة ما أكلت.. وأنت تصافحني.. ثم ماذا بعد المدح.؟!

وقال العامل لا شيء.. فقال صاحب المطعم وأين قيمة ما أكلت. فقال دفعت لك أجر يوم كامل مقابل وجبة واحدة.. فقال صاحب المطعم وأين ما دفعت فقال العامل هذه الكلمات الثلاث التي سمعتها..

وقال صاحب المطعم.. وهل الكلام .. يدفع قيمة للطعام.؟! فقال العامل نعم.. وقال صاحب المطعم هل أنت مجنون. فقال العامل لست مجنوناً.. وتشادا وتصافعا.. واشتبكا في عراك مرير إلى أن تدخل بعض الجالسين في المطعم.. وطلبوا من الإثنين أن يذهبوا إلى حاكم البلد ليحكم في هذه القضية.؟!

وذهب صاحب المطعم بالعامل إلى حاكم البلد الذي كان يشرف على أعمال العمال ويدفع لهم أجرهم سلاماً وكلاماً.. ومدحاً وثناءاً وشرح صاحب المطعم دعواه.. وطلب من الحاكم أن يلزم هذا العامل بدفع قيمة ما أكل..

ونظر الحاكم إلى العامل فعرفه.. وقال له لماذا لم تدفع له قيمة طعامه.. فقال العامل لقد دفعت له أجر يوم كامل بدل

وجبة من الطعام واحدة.. فقال الحاكم وما الذي دفعت.؟! فقال العامل تلك الكلمات الثلاث التي دفعتها إلى مقابل عملي طيلة ساعات النهار.!!

وضحك الحاكم مما سمع.. وطلب من صاحب المطعم أن يترك هذا العامل يذهب في حال سبيله وأن يضيف قيمة هذه الوجبة إلى حساب الحاكم الذي اقتنع بأن هذا العامل محق في دعواه.. ومصيب فيما دبره وأتاه.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

في الحظ لبركات الشريف

ان جاد حظك باع لك واشترى لك
فوايده من كل الأبواب تاتيك
وان باربك دلى يهزل حلالك
وبارداً الثمن دلى يبيعك ويشريك
وان جاد حظك بالمجالس حكا لك
وصدق مقالك كل من لك يحاكيك
وإن باريك دلى يكذب مقالك
وتصير كذبات الملا كلهن فيك
وان جاد حظك بالمنازل بنا لك
بيت رفيع شامخ الطول يذريك
وان باربك خلاك تنقل عيالك
من دار إلى دار ودار تجليك

سالفــــــة:

١١- عن الصَّداقــة .. والأصدقاء!!

«رويت هذه السالفة عن الأخ العزيز الأستاذ حمد الحنطي وكتبتها بأسلوبي الخاص»

قالت الجدة للأطفال:- عندي لكم هذه الليلة سالفة عن تجارب جيل قديم.. وجيل جديد.. عن تجارب الشيوخ .. وتجارب الشباب.. عن طريقة فهم الأمور لكبار السن.. وطريقة الفهم عند حديثي السن.!!

فقال الأطفال حدثينا يا جدتي بهذه السالفة..

فقالت الجدة حباً وكرامة

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل الذي متزوج .. وقد رزقه الله من زوجته بولد واحد اهتم بتربيته وتوفير جميع أسباب الراحة له حتى كبر وصار له أصدقاء.. وصارت له علاقة واسعة بلداته من الشباب.. وصار تارة يذهب إليهم.. وتارة يدعوهم إليه.. فيعطيهم ما طلبوا.. ويثق بهم ثقة عمياء.. ويتحدث عن صداقته لهم.. ووفائهم له .. ومكارم أخلاقهم..

ورأى الوالد اندفاع ولده هذا الإندفاع الطائش الذي لم تسنده خبرة طويلة .. ولا تجربة ناجحة.. فأخذ الوالد ولده إلى ركن من أركان المنزل.. وجلسا يتحدثان..

الأب: يا ولدي العزيز إنني أراك مندفعاً مع هؤلاء الشباب اندفاعاً جارفاً.. وأراك تثق بكل من تعرف وتفضي بأسرارك إلى كل من اجتمعت به.. وهذا ولا شك فيه خطر عليك وضياع لك.!!

الإبن: يا والدي العزيز إن هؤلاء الشباب أصدقائي الذين أثق بهم كل الثقة.. وأرى فيهم سعادة الحياة ولذتها..ولولا هؤلاء الأصدقاء لضقت ذرعاً بالحياة.. ولضاقت بي الحياة ذرعاً..

الأب: وكم لك من صديق يا بني.؟!

الإبن: إنهم كثير يعدون بالعشرات..

الأب: لعلك تخلط بين المعرفة والصديق..

الإبن: لا .. لست أخلط بين المعرفة والصديق بل هؤلاء الذين أروح إليهم .. ويأتون إلي أصدقاء أوفياء.. أثق بهم كل الثقة.. وأطمئن إلى وفائهم كل الاطمئنان..

الأب: إنني يا بني على طول عمري وكثرة علاقاتي بالناس لم أستطع أن أحصل منهم إلا على اثنين:- صديق.. وشبه صديق!! فكيف تحصل أنت يا بني في هذا الوقت القصير على هذا الجمع العرمرم من الأصدقاء.؟!

الإبن: إن تفكيرنا يا شباب اليوم يختلف عن تفكيركم يا شباب الأمس.. وظروف معيشتنا تختلف عن ظروف معيشتكم.. وتجاربنا تختلف عن تجاربكم.. ولهذا فإنه لا

يمكن أن تطلب مني أن تكون حياتي صورة طبق الأصل لحياتك.. وأن تكون تجاربي مشابهة لتجاربك.. ولو اتبع كل جيل جديد تجارب الجيل الذي سبقه بحذافيرها لتوقف التطور في الحياة.. والتجديد فيها .. واستحداث أساليب جديدة في التفكير والآراء والاتجاهات..

الأب: إن معك يا بني بعض الحق..وليس الحق كله.. فكلامك فيه الصحيح.. وفيه الاندفاع الذي لا بد أن يتخوف المرء من عواقبه.. وأنا لا أريد أن أدخل معك في مجادلات قد لا توصلنا إلى نتيجة.. ولكنني أريد منك أن تعمل تجربة واحدة لتعرف بها أصدقاءك الأوفياء.. من أصدقاء الرخاء المزيفين.. فالصديق الحقيقي لا يعرف إلا في وقت الضيق.!!

الإبن: إنني يا والدي العزيز قد تنقصني بعض التجارب وأنا مستعد لعمل ما تريده.. واتباع ما تشير به فقل يا والدي أسمع.. وأرسم الطريق لتنفيذ الخطة التي يجب أن أسير عليها..

الأب: إنني أريد أن أخبرك قبل كل شيء بأن صديقي الحقيقي هو فلان.. وشبه الصديق هو فلان فاحفظ أسماءهم.. أو ضعها في مفكرتك.. والطريق الذي أريد أن تسكله لكشف زيف الأصدقاء.. هو أن تذبح تيساً.. وتلطخ ملابسك بدمه ثم تضعه في كيس من الخيش.. وتجعله في ركن من أركان منزلنا.. ثم بعد ذلك تذهب إلى أصدقائك واحداً واحداً.. وتقول لكل واحد منهم.. لقد قدر الله علي أن أختصم أنا وأحد

زملائي..وأن أضربه ضربة خاطئة قاتلة... وقد وضعت القتيل في كيس خيش.. وألقيته في جانب منزو من دارنا وأخشى الآن أن يطلع أهلي أو أهل القتيل فأذهب ضحية الحادث.. وأنا أريد أن تساعدني على إخفاء معالم هذه الجريمة.

الإبن: سوف أفعل كل ما تشير إليه يا والدي وسوف أرى النتائج الواضحة لهذه التجربة.

وعمد الشاب إلى تيس كان عندهم فذبحه ولطخ ملابسه بدمه ووضعه في كيس من الخيش وألقاه في ركن من أركان المنزل ثم ذهب إلى أوفى أصدقائه.. وطرق عليه الباب ففتح له صديقه..وأفضى الشاب إلى صديقه بالحادث وطلب مساعدته في إخفاء الجريمة.. فقال له صديقه إنني لا أريد أن أدخل في مشاكل فيها قاتل ومقتول وأرجوك أيها الصديق العزيز أن تغادر هذا المكان سريعاً لئلا يراك أحد فيظن أنني شريكك في الجريمة.. كما أرجو أن لا تأتي باسمي.. أو أنني أحد ممن تعرف..

وترك الشاب منزل صديقه الأول.. وذهب إلى بيت صديق ثان وقال له مثل ما قال للأول.. فكان جوابه مثل ذلك الجواب.. واستمر في الدوران على أصدقائه حتى أتى على آخرهم.. وكل واحد منهم يتبرأ ..ويتنصل .. ولا يبدي أي شعور بالشفقة أو المساعدة.!!

وعندما يئس الشاب من عون جميع أصحابه .. ذهب إلى والده وأخبره بنتيجة مساعيه.. فقال له والده اذهب إلى فلان الذي هو شبه

صديق لي.. وأخبره بما وقع واطلب عونه في هذه المعضلة .. فذهب الشاب إلى ذلك الرجل الذي أرسله إليه والده.. ودق عليه الباب في داره ففتح له واستقبله أكرم استقبال وأشرفه.!!

وأخبره الشاب بما وقع وطلب عونه لإخفاء القتيل فأبدى ذلك الرجل استعداداً تاماً وذهب مع الشاب إلى داره وأخذوا الكيس الذي فيه التيس القتيل وحفروا له في مكان خفي في أحد الأماكن ودفنوه .. ثم عاد كل منهم إلى داره.!!

وكان من سوء الحظ وغريب الصدف أنه قتل قتيل في تلك الليلة..ولم يعرف قاتله فنشطت قوى الأمن للبحث عن القاتل.. إلا أنهم لم يعثروا عليه.. واتسع البحث والتحري.. إلى أن شمل أصدقاء ذلك الشاب الذي تبرأوا منه..وتخلوا عنه في تلك الظروف الحرجة.!

وأدلى بعضهم بشهادة ضد صديقهم .. وأخبروا أنه في تلك الليلة الفلانية.. جاء ذلك الشاب إليهم يطلب عونهم لإخفاء آثار الجريمة... وأنهم تبرؤا منه.. ولم يبذلوا له أي عون.. وألقي القبض على الشاب.. وزج في السجن رهن التحقيق.!!

واتسع البحث والتحري.. وكانت الدلائل كلها تتجمع ضد الشاب.. وأخيراً تقدم صديق والد الشاب إلى المسؤولين في الدولة.. وقال لهم إنه هو القاتل الحقيقي وهو مرتكب جريمة القتل التي سجن فيها الشاب.. وجاء ببعض الدلائل التي تدينه وتبرىء ساحة الشاب.. واقتنع رجال الأمن بتلك الدلائل فسجنوا ذلك المعترف الجديد.. وأطلقوا سراح الشاب .. لأنه لم يعترف بالقتل .. وأصر على عدم الاعتراف إلى آخر لحظة.. واتجهت التهمة إلى هذا المعترف الجديد..

وبقي في السجن حتى تتكامل الإجراءات لتنفيذ حكم الإعدام فيه.

وبينما كانت الأمور سائرة على هذا المنوال وإذا برجال الأمن يعثرون على القاتل الحقيقي لذلك القتيل الذي سجن الشاب وصديق والده بسببه..

فقبض عليه.. وأودع في السجن.. وأخبر الرجل الذي فدى الشاب بنفسه بأنهم وجدوا القاتل الحقيقي للمقتول الذي سجنوه بسببه. ولذلك فإن التهمة الموجهة إلى الشاب السابق وإلى المعترف الجديد تنتفي.. ولا يبقى لها أي أثر..

فقال الرجل لقد فديت الشاب بنفسي لأنه ابن صديقي الوحيد.. ولأن والديه أصابهم عليه من الذعر والخوف والقلق الشيء الكثير.. وأنا تربطني بوالد الشاب.. روابط متينة من الصداقة والألفة والحب..

ولهذا فقد رأيت أن أفدي هذا الشاب بنفسي وأن أنقذ والديه من حالة الشقاء واليأس التي يعيشون فيها.. وأنا من ناحية ثانية أعلم أن الله سوف ينقذني ببركة نيتي الطيبة.. وروح الإيثار التي دفعتني إلى تعريض حياتي للخطر..

وأطلق سراح الرجل.. ونال شهرة واسعة في الوفاء والإيثار.. والمحافظة على الود في أسوأ الظروف وأحلكها.!!

وبعد أن انتهى دور الشاب وصديقه وشبه صديقه وتكشفت الحقائق دعا الوالد ولده ودار بينهما الحوار التالي:-

الوالد: أرأيت يا ولدي العزيز أن معظم المظاهر والشعارات زائفة.. وأن على المرء أن لا ينخدع بأول بارقة.. بل عليه أن يتثبت من أموره وأن لا يجري وراء السراب..

وأن لا ينخدع بشعارات من يدعون الصداقة من الصحاب.. فكم من شخص له مظهر براق وله شعارات مغرية ينشكف لدى الاختبار عن وحش مقنع..وانتهازي عريق..ً وكم من شخص تنبو عنه العين.. ولا تشعر نحوه بالثقة والاطمئنان ولكن الأيام تثبت أنه حقيق بالثقة جدير بالاحترام.!!

الإبن: نعم يا والدي لقد عرفت الآن صدق قولك وبعد نظرك وصواب حدسك.. وأنا لا أنكر أننا نحن الشباب قد نندفع اندفاعاً أهوج في بعض جوانب حياتنا .. ولكن تجارب الأيام كفيلة بأن تعيدنا إلى جادة الصواب وأنا لا أزال عند قولي بأن أي جيل جديد لا يمكن أن يأخذ تجارب الجيل الذي قبله بحذافيرها وأن يطبقها في حياته.. وأن يكون صورة طبق الأصل لمن سبقه ولو فعلت الأجيال ذلك فاقتدى كل جيل بمن سبقه.. لتعطلت الإبتكارات.. ولوقف تيار الحياة.. ولتجمد التفكير والتجديد.. ولساد السأم والملل من حياة أمسها كيومها.. ويومها كغدها.!!

الوالد: إنني معك في هذه الآراء.. ولكنني لا أزال أرى أن الطريق الوسط هو الأفضل فلا ينبغي أن تهمل تجارب الأولين.. وكلها.. ولا أن تؤخذ بحذافيرها ولكن الطريق السليم هو الاعتدال والأخذ من حكمة الشيوخ وتجاربهم .. وإطلاق العنان للأفكار الجديدة في أن تبني وأن تتفاعل .. وأن تأتي في كل يوم جديد.. بلون من الأفكار الجديدة.. التي تبني

الحياة .. وتدفعها إلى الأمام.!!

وكانت هذه الجمل هي خاتمة المطاف في هذه التجربة من تجارب الحياة التي كان بطلاها والداً مجرباً وشاباً غريراً.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

قال حميدان الشويعر في الهجاء

يـا حـكـايـا جـرت يـا عـيـال الحلال
أمـرهـا مـشـتـبـه والاديـب نـشره
مـن حـصـان بـلـود جـذت بـه يـديـه
أدبـر غـاربـه خـارب الـسـكـره
يـا شـويـخ نـشـا مـع طـيـور الـعـشـا
ضـاري بـالحسـاسـات والـقـرقـره
فـارس بـالـقـهـاوي وأنـا خـابـره
بـالخلا تـأخـذه طـيرة الحمـره
تـاجـر فـاجـر مـا يـزكـي الحلال
لـو يجي صـايـم الـعـشر مـا فـطـره
عـاطـل بـاطـل فـيه مـن كـل عـيـب
لـو تـبـي مـنـه بـول فـلا يـظـهـره
فـيه ربـع ذلـيل وربـع بـخـيـل
وفـيه ربـع خـبـيـث وربـع مـره

سالفــــة:

١٢- يدها يا الرجيعي.!!

«رويت أصل هذهالسالفة عن الأخ الصديق الأستاذ عبدالعزيز الجماز وكتبتها بأسلوبي الخاص..»

جاء الأطفال إلى جدتهم.. وكان أكبرهم قد أحضر في ذهنه اسم السالفة التي يريدها في هذه الليلة.. وقال للجدة مبادراً قصي علينا يا جدتي سالفة الرجيعي مع ابنة شيخ القبيلة التي أحبها حتى كاد حبها أن يقضي على حياته:-

فقالت الجدة حباً وكرامة ولكن يجب أن تعرفوا أن هذه السالفة وقعت حوادثها في سنين الجهل والفوضي التي كانت تسود البلاد قبل خروج دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.. أما بعد خروج دعوة الشيخ فلا يصح أن يقع مثل هذه الأمور.. فقال الأطفال بصوت واحد عرفنا ذلك.. وعندئذ شرعت الجدة في سرد سالفتها قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل الفلاح الذي يدعى الرجيعي..و كان الرجيعي

هذا فلاحاً ناجحاً في فلاحته وكان له نخل متحد في أرض فلاة طيبة يحبها أبناء البادية.. ويرغبون في نزولها لأن بها مراع طيبة للإبل والغنم .. كما أن بها منابت غنية لأعشاب الشتاء ولأشجار القيظ.

ولهذا فقد كانت قبائل الشمال تأتي فتنزل بجواره في الصيف فترعى مواشيها في تلك الأراضي وتشرب من ماءآبار الرجيعي وكانت قبائل الجنوب أيضاً تأتي إلى أرض الرجيعي شتاء عندما يرحل عنها أبناء الشمال عائدين إلى مضاربهم الأولى.. فكان الرجيعي يسعد بجوار أبناء بادية الشمال صيفاً ويسعد بجوار أبناء بادية الجنوب شتاء وهو يستفيد منهم فهم يشترون منه علفاً.. ويشترون منه تمراً ويشترون منه حنطة كما أنه يشتري منهم أقطاً ويشتري منهم أغناماً ويشتري منهم سمناً وبالجملة فإن الكل يستفيد من هذا اللقاء الذي يتكرر بتكرر الأعوام..

وفي ذات يوم دعا شيخ القبيلة التي جاءت من الشمال الرجيعي لتناول القهوة في بيته فأجاب الرجيعي هذه الدعوة وذهب إلى مضارب القبيلة وقصد بيت شيخهم فاستقبله بالبشاشة والترحاب وكان للشيخ ابنة شابة وكانت تجيء وتروح ببعض ما يحتاجه والدها للقيام بحق الضيافة ورأى الرجيعي الفتاة فأحبها من أول نظرة.. كما أن الفتاة نظرت إلى الرجيعي فبادلته هذا الحب.. وعرف كل واحد من الحبيبين ما يكنه الآخر لحبيبه.

وصار الرجيعي بعد هذه النظرة يتحين الفرص لرؤية هذه الشابة ولو من بعيد لبعيد ويبادلها النظرات التي يودعها حبه وغرامه وهيامه .. كما أن الفتاة من جانبها تبادله هذه النظرات التي تنطوي على ما يتفاعل في نفسها من شوق وحب وغرام.

واستمرت هذه النظرات واللقاءات التي هي من بعيد لبعيد.. والتي تارة يكون الساعي إليها الرجيعي.. وتارة تكون الساعية إليها الفتاة.. حيث تتظاهر بأنها تريد شراء بعض الحاجات من الرجيعي فتذهب مع بعض صويحباتها فيبعن ويشترين ويأخذن منه ما يردن ويعطينه ثمن ما أخذن ثم يعدن راجعات إلى مضارب الحي..

وتمكن الحب مع مرور الأيام من قلب الرجيعي كما تمكن من قلب الفتاة .. وكان حباً صامتاً شريفاً نظيفاً.. ولم تتح الفرص لأي من الحبيبين أن يعبر للآخر عما يكنه له من حب وما يعانيه بسبب هذا الحب من تباريح الشوق والهيام التي تشغل باله نهاراً وتقض مضجعه ليلاً..

وفكر الرجيعي في طريقة يحسم بها هذه الآلام والأفكار المزعجة وذلك بأن يخطب الفتاة من والدها فيتزوجها .. ويسعد بالاجتماع بها مدى الحياة.. ولكنه متزوج وله من زوجته أولاد.. وزوجته ابنة عمه ولا شك أن زواجه هذا الذي يفكر فيه سوف يحدث له مشاكل عائلية لا أول لها ولا آخر.. وقد تنتهي هذه المشاكل بتقويض دعائم أسرته التي بدأ في تكوينها منذ عدة سنوات.!

وإذاً فإن الزواج منها يكاد يكون في حكم المستحيل .. وفكر الرجيعي في طريق آخر يطفيء به هذا اللهيب الذي حس به في أحشائه وقال في نفسه: أفلا يمكن الزواج بها سراً بحيث لا تعلم زوجته ولا أسرته.. ثم يتركها ترحل مع أهلها ويزورها ما بين وقت وآخر..

وفكر الرجيعي في هذه الطريقة.. ولكنه رأى أن والد الفتاة

لا يمكن أن يزوجها سراً .. ثم إن كل أمر يكون لا بد أن يظهر مهما بذل في إخفائه من المحاولات .. وأجال الرجيعي فكره فرأى أن الأبواب كلها مسدودة في وجهه وإذاً فليس أمامه إلاطريق واحد هو التخلص من هذا الحب الذي لم يجن منه إلا الآلام والتباريح وانشغال البال.. وصمم الرجيعي على سلوك هذا الطريق.. لعله أن ينسى هذه الفتاة.. ويسلو عن حبها.!

ولكن هيهات فقد تمكن الحب من فؤاده .. وانطبعت صورته في تفكيره.. واختلط بلحمه ودمه فلا سبيل إلى الخلاص منه مهما بذل في ذلك من محاولات .. وحتى لو لم يرها فإن أمكنة اللقاءات السابقة موجودة وكل مكان يذكره بتلك النظرات المتبادلة بينهما.. وكل زاوية أو شجرة كان عندها ملتقى يذكره بهذا الحب ويذكي أواره ويعيده غضاً طرياً تلتهب فيه العواطف وتتزاحم فيه الأشواق.!

وفكر الرجيعي قائلاً لنفسه: أين المفر؟!! وتجيبه نفسه بأن لا مفر!!

ويخضع الرجيعي للواقع ويسلم أمره للأقدار.. ويترك نفسه في مهب الرياح تتجه به التيارات إلى حيث تشاء ويتعلق بالآمال فلعل هذه الأمواج أن تقذفه إلى اليابسة في لحظة من اللحظات فينجو من الغرق أو لعل الأمواج أن تهدأ فيعرف سبيله إلى النجاة.!!

وسار في حياته بهذا الأمل الضعيف ولكنه هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يتشبث به..

وجاء موعد رحيل القبيلة التي سوف ترحل معهم الحبيبة.. ونكيء الجرح فلقد كان في قربها ما يعزي ويسلي أما إذا بعدت فكيف سيكون حاله.. ولكن الأقدار لا تنظر إلى حالة فرد يمكن أن يتعذب بمجرياتها بل هي تمضي في طريقها المرسوم وفي هذا

الطريق أنواع من المفارقات التي تحمل بين طياتها سعادة قوم وشقاء آخرين وارتفاع شخص وتدهور شخص آخر.

وهكذا وجد الرجيعي نفسه في دوامة من الأفكار والهواجس والتساؤلات التي يسائل بها نفسه هل يستطيع أن يصمد أمام هذه العاصفة؟ ويأتيه الجواب بالسكوت والوجوم.. وتمضي الأيام وترحل القبيلة وترحل الحبيبة معهم.. ويشتد الوجد والهيام بالرجيعي فيبذل المحاولات للتغلب على تلك الحالات ولكنه لا يقوى..

ويفكر في اللحاق بالقبيلة الراحلة بالحبيبة ولكن ماذا يقول لهم إذا لحق بهم؟ إنه لا يجد مبرراً معقولاً لهذا التصرف فيضرب عن هذا الرأي صفحاً ويلتمس طريقاً آخر فلا يجد أمامه إلا الصبر إلى الشتاء القادم.. ولكن حصيلة الصبر المتبقية لديه لا تكفي لأيام وليالٍ.!! فما بالك بالأشهر الطوال.!!

إلا أنه لا مجال إلا الصبر مهما كانت الأحوال.. وصمم الرجيعي على الصبر.. والصبر هو الملجأ الأخير للإنسان إذا ضاقت به دنيا الخلاص..

وبدأت صحة الرجيعي تتدهور بشكل سريع وملحوظ وبذل محاولات كثيرة لإخفاء هذا التدهور ولكنه ظهر على صفحة وجهه وعلى كل عضو من أعضائه فقد بدأت نفسه تعزف عن الطعام.. وبدأ جسمه لا يميل إلى المنام.. وبدأ فكره لا يكف عن الهواجس والهيام .. وبدأت تتكاثر على جسمه ونفسه الأسقام والآلام .!!

ورأى أهله وأصدقاؤه تدهور صحته فأزعجهم ذلك.. وجعل كل واحد منهم ينصحه بنوع من العلاج أو ضرب من الأدوية.. وجعل الرجيعي يتظاهر بالاقتناع برأيهم ويتناول ما يقترحونه من

أدوية وما يشيرون به من حمية أو علاج .. يفعل هذا من باب المجاملة والتستر وإلا فهو يعلم الداء الذي فيه ويعرف أسبابه ويعرف علاجه.!

وزاد ذبول الرجيعي على الرغم من الأدوية والعلاجات التي يتناولها وازداد قلق أهله عليه.. كما ازداد قلقه هو على نفسه.. ودعى أهله بعض الذين يتعاطون الطب العربي وفحصوه ولكنهم لم يجدو أسباباً للمرض ظاهره يستطيعون بها أن يشخصوا المرض أو يقترحوا نوعاً من الدواء..ولذلك فإن كل واحد من هؤلاء الأطباء يقول لأهله إذا رآه إن مرضه داخلي وغير معروف.

وبقي الرجيعي على هذه الحالة من التدهور وهو لا يستطيع أن يصرح بأسباب المرض التي يعرفها هو تمام المعرفة ويعرف طريق الخلاص منها.. ولكن أين طريق الخلاص؟

وجاء موعد قدوم بادية الجنوب إليه وبدأوا يأتون أرسالاً وكل ما جاء فريق منهم وعلم بمرض الرجيعي جاء للسلام عليه ومواساته في مرضه.. وكان من جملة من يعرفه ابن شيخ القبيلة لا بل هو صديق الروح للروح.. فجاء الصديق لزيارة صديقه.. وعندما رآه هاله ما يرى بصاحبه من الذبول والخمول والمرض.!

وسأل الصديق صديقه عن أسباب المرض فلم يخبره بها بادىء ذي بدء ولكن ابن شيخ القبيلة عاد إلى صديقه مرة ثانية وقال له إنك لا بد أن تخبرني بأسباب مرضك وأنا أعدك بالعون والكتمان فتردد الرجيعي في إخبار صديقه وخجل من كشف أسراره ولكن صديقه ألح عليه إلحاحاً متواصلاً حتى أخبره الرجيعي فقال ابن شيخ القبيلة وماذا تريد.؟!

فقال إنني أريد رؤيتها فقط فإن رؤيتها تشفيني وتكفيني.!!

فقال ابن شيخ القبيلة إذاً فاستعد للرحيل وأنا معك.. وأظهر أنني وإياك سوف نذهب إلى طبيب في قبيلة من قبائل الشمال وهكذا حصل فقد تظاهر الرجيعي بأنه سوف يذهب مع صديقه ابن شيخ القبيلة إلى طبيب لدى إحدى قبائل الشمال وسوف يعالجون عنده ثم يعودون بعد انتهاء العلاج..

وجاء ابن شيخ القبيلة براحلة له وراحلة للرجيعي وركب الصديقان واتجها إلى الشمال.. وصار ابن شيخ القبيلة يعد الرجيعي بأنه سوف يرى حبيبته وسوف يجتمع بها.. وسوف يحدثها وتحدثه.. حتى يروى من حديثها وتروى من حديثه وبدأت صحة الرجيعي تتحسن وبدأت نفسه تتفتح للطعام وجسمه يرتاح في المنام وكلما قربوا من مضارب الحي المقصود ازداد تحسناً وانتعاشاً.

وضربوا برواحلهم في كبد الشمال وهم يمرون بالأحياء ويسألون عن حي الحبيبة فيستقون الأخبار ويتتبعون الآثار حتى وصلوا بالقرب من مضارب ذلك الحي.. وكانت خطة اللقاء قد رسمت رسماً دقيقاً محكماً وكان من أول بنود هذه الخطة أن يختبئوا في مكان منزو بعيد عن الحي قليلاً فإذا جاء الليل ذهب ابن شيخ القبيلة متخفياً فدرس وضع البيوت وعرف أين يقع بيت شيخ القبيلة وأين تقع خيمة ابنته التي هي دائماً بجوار خيمة والدها ومتى يجتمعون وأين يجتمعون.؟

وهكذا وقع فقد ذهب ابن شيخ القبيلة ودرس هذه الأمور دراسة دقيقة ثم رجع إلى صديقه وأخبره بكل شيء فازداد شوقه وهيامه ودبت فيه الحياة أكثر فأكثر.. وبدأ الرجيعي يعد نفسه للقاء الحبيبة..

واتفق الصديقان أن يكون اللقاء بعد العشاء في الوقت الذي يجتمع فيه أفراد القبيلة عند شيخهم والطريقة هي أن يركب ابن

شيخ القبيلة على راحلته ثم يسير إلى الحي فإذا قرب من الحي فإن الكلاب سوف تتجه نحوه وتنبحه وسوف يتطلع أفراد القبيلة إلى ذلك القادم الجديد وفي حالة انشغال الكلام وانشغال أفراد القبيلة بمقابلة الضيف يكون الرجيعي قد جاء من الطريق الخلفي وولج عند الحبيبة التي عرف بالدقة أين تقع خيمتها..

ونفذت الخطة بدقة فنجحت نجاحاً باهراً فإن الحبيبة لم تشعر إلا بالرجيعي يدخل عليها في خيمتها فدهشت من قدومه ثم هشت له وبشت والتقى الحبيبان وجهاً لوجه فرأى الرجيعي آثار الإعياء في وجه حبيبته كما رأت الفتاة في وجه حبيبها مثل ما بها وتناجي الحبيبان وتعاتبا وكان كل واحد منهما يلقي باللائمة على حبيبه بأنه هو السبب في كل ما حدث وكل واحد منهما يحاول أن يبرىء ساحته وأن يلقي باللائمة على حبيبه..

وتحمس الرجيعي لرأيه وتحمست الفتاة لرأيها فجعلت الفتاة تتكلم وتضرب بيدها على حوض من الجلد يابس كان بجوارها واستمرت تتكلم بهدوء وتضرب على هذا الجلد بشدة ولكن ضرباتها كانت متتالية ومستمرة فظهر صوت الحوض وصوت الخلخال الذي تلبسه الفتاة في يدها حتى سمع شيخ القبيلة تلك الأصوات ولفتت نظره.! فهو لم يعهد مثل هذا الصوت..

والتفت شيخ القبيلة يريد أن يعرف هذا الصوت وأين مصدره وخشى الضيف أن ينكشف أمر صديقه فقال لشيخ القبيلة ما هناك إلا العوافي وأنا عندي لكم قصة حدثت لي أنا وصديقكم الرجيعي وعندما سمع شيخ القبيلة وأفراده باسم الرجيعي فرحوا ثم طلبوا من ضيفهم أن يقص عليهم هذه القصة.!!

فقال ابن شيخ القبيلة : لقد كنت في سنة من السنوات مجاوراً

الرجيعي وتحدثنا أنا وإياه عن فروسية الحضر وفروسية البدو فصار الرجيعي يقول إن الحضر أكثر فروسية وأنا أقول إن البدو أكثر فروسية وأخيراً قلت للرجيعي إننا ضيوفك ولا يمكن أن نبارزك في ميدان حرب كما أنه لا يمكنك أن تبارزنا ولكنني أتحداك في سباق على ظهور الخيل فإن سبقتني اعترفت لك بأن الحضر أكثر فروسية وإن سبقتك فاعترف لي بأن البدو أكثر فروسية.

اتفقتنا على هذه الخطة وجاء بفرس وجئت بحصان وركبنا بعد أن حددنا نقطة البداية ونقطة النهاية وانطلقت أنا والرجيعي في سباق إلى الهدف وعندما بلغنا منتصف الطريق رأيت أن الرجيعي سوف يسبقني لا محالة إذا استمر على عدوه هذا .. وفكرت في طريقة أخدعه بها ليخفف السرعة أو يتوقف حتى أسبقه!!

فقلت له وقد رفعت صوتي هكذا : يدها يا الرجيعي.!! يدها يا الرجيعي.!! وفي هذه الحالة توقف لينظر إلى يد فرسه خوفاً عليها من أن تكون حدوتها قد انفكت أو أن شئياً قد علق بها وفي هذه الأثناء كنت قد سقته ووصلت إلى نقطة النهاية وكسبت الرهان.. وسمع الرجيعي هذا الكلام وتنبه للضربات وتنبه لصوت الحوض وصوت الخلخال فأمسك بيد الحبيبة وأوقفها عن الحركة التي كادت أن تكشف أمرهم للآخرين.

وسر الشيخ بهذه القصة التي قصها عليه ضيفه عن صديق قد ألفهم وألفوه وأحب ذكرهم وأحبوا ذكره.. ثم بعد وقت غير طويل قدمت للضيف مائدة الطعام وعليها خروف قد ملأ أعلى الصحن فأكلوا من أطايب الطعام وشربوا من لذيذ الألبان ولما انتهوا من الطعام قدمت لهم أكواب القهوة والشاي ثم جاء موعد المنام فهيأوا لضيفهم فراشا وثيرا في بيت مجارو لبيت الشيخ.!

ولكن الضيف شكرهم واعتذر عن المنام لأنه كما أخبرهم مسافر في مهمة مستعجلة لا بد فيها من مواصلة سرى الليل بسير النهار وألحوا على الضيف بأن يقيم عندهم بقية هذه الليلة فهي لن تقدم ولن تؤخر.. ولكن الضيف أصر على مواصلة السفر وطلب منهم أن يأذنوا له بذلك.!!

وأمام إلحاح الضيف بمواصلة المسير سمح له مضيفة وودعه وداعاً حاراً وحمله السلام لوالده ولإخوانه الذين يعرفهم الشيخ حق المعرفة.. فوعدهم بإبلاغ السلام وشكرهم على حفاوتهم به وإكرامهم له.. ثم واصل السير في طريقه .!!

وكانت الخطة المرسومة بينه وبين صديقه الرجيعي أنه إذا سمع بأن مائدة الطعام قد رفعت وأن الكلاب قد انشغلت بأكل بقايا الطعام والعظام أن يتسلل من عند الحبيبة.. ويذهب قاصداً مكان اختفائهم سابقاً وهذا ما حصل فعلاً فإن ابن شيخ القبيلة عندما وصل إلى مكان الاختفاء وجد صديقه الرجيعي ينتظره فيه وقد تهلل وجهه وبرقت أساريره وانطفأت تلك الشعلة التي كانت تلتهب في قلبه.

وعندما رأى الرجيعي صديقه عانقه عناقاً حاراً وشكره شكرا جزيلا على ما بذله من الجهود لنيل المقصود كما شكره ونوه بنباهته في ملاحظة تلك الضربات وصوت الخلخال التي كادت أن تكشف أمرهم لولا سرعة بديهة صديقه واختلاق تلك القصة الوهمية التي لفتت النظر إلى إيقاف تلك الحركة من غير أن يشعر بها أحد من أفراد الحي..

وقال ابن شيخ القبيلة لصديقه الرجيعي إن ما قمت به هو

بعض ما يجب للصديق على صديقه والذي أرجوه أن تكون قد أرويت غلتك من حبيبتك وكاشفتها بما عانيته من الآلام المبرحة والسهر المتواصل والعزوف عن الطعام الشراب..

فقال الرجيعي لصديقه لقد توصلت أنا والحبيبة إلى كل ما يريده حبيب نظيف شريف من حبيبته وقد تكاشفنا الحب والهيام فوجدت أن الذي تعانيه الحبيبة لا يقل عما كنت أعانيه وأن الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل وقد تكاشفنا وتفاهمنا واتفقنا على كل ما يسر المحبين ويغيظ الشامتين .!!

ففرح ابن الشيخ بهذه الأخبار الطيبة وانشرح صدره لبلوغ الهدف المقصود وقال لصديقه هل نرحل ونعود إلى أهلينا أم لك رغبة في زيارة للحبيبة ثانية.. فقال الرجيعي لقد أرويت غلتي برؤية الحبيبة والإفضاء إليها بكل ما أحس به وليس أمامنا الآن إلا أن نواصل السير إلى ديارنا وأهلينا.!!

فشد الصديقان رحالهما وتوجها إلى نقطة انطلاقهما فلم يصلاها إلا وصحة الرجيعي قد عادت طبيعية كما كانت قبل تلك العلاقة الغرامية العنيفة التي كادت أن تودي بحياته لولا مساعدة هذا الصديق الوفي الذي ضحى براحته وغامر بسمعته وبذل كل ما يستطيعه لإبلاغ صديقه أمنيته التي كان في بلوغها شفاؤه وفي الحرمان منها هلاكه!!

ووصل الصديقان إلى موطنهما ابن الشيخ إلى عشيرته والرجيعي إلى نخله وأهله وإخوانه وكاد أهل الرجيعي أن لا يعرفوه.. وكادوا أن لا يصدقوا بأنه هو الرجيعي الذي ذهب من عندهم عليلاً نحيلاً كاسف البال دائم البلبال .!! وسأله أهله عن

هذه المعجزة التي حدثت له في علاج مرضه العضال؟

فأخبرهم بأن صديقه ابن الشيخ كان يعرف طبيباً ماهراً وقد وفق لمعرفة المرض ومنشئه وتطوراته كما عرف النقطة التي بلغها المرض فعالجني علاجاً كان موفقاً وسريع المفعول فشفيت بحمد الله.. وقد صرت إلى ما ترون والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً يسر أسبابه والأسباب مربوطة بمسبباتها والحمد الله أولاً وأخيراً.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سالفـــة:

١٣-أبونيّة.. وأبونيّتين.!!

«رويت أصل هذه السالفة عن الشاب المهذب الأستاذ محمد السعد الحسين الخريص وكتبتها بأسلوبي الخاص»

كان الأطفال إذا اجتمعوا عند جدتهم ليلاً يطلبون منها أن تقص عليهم سباحين خيالية.. فإذا سئموا منها طلبوا أن تقص عليهم سوالف واقعية.. وقد سئمو هذه الليلة من الحقيقة.. وسئموا من الخيال.. فقال للجدة أحد الأطفال قصي علينا سالفة تكون حقيقة أشبه بالخيال أو خيال يشبه الحقيقة.. أو على الأصح سالفة تمتزج فيها الحقيقة بالخيال.. ويمتزج فيها الخيال بالحقيقة.!!

فقالت الجدة حباً وكرامة وشرعت في السالفة قائلة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل في ديرته.. وقد ضاق به العيش وانسدت في

وجهه أبواب الرزق فصمم على السفر من بلدته إلى بلدة أخرى يجد فيها مجالا للعيش، لأن بلاد الإنسان هي التي يرزق فيها لا التي يخلق فيها..

واشترى الرجل راحلة وزاداً.. وحمل على راحلته جميع لوازم السفر.. وسار يضرب في الصحراء.. وحيداً.. وبينما كان ذات يوم سائراً وإذا به يلتقي برجل آخر مسافر أيضاً.. وسلم أحدهما على الآخر وتعارفا..

وكان الأول أبو نية والثاني هو أبو نيتين.. وسأل أبو نية صاحبه أين يتجه وما هي دوافع السفر فأخبره أنه لطلب الرزق فقال الرجل الثاني الذي هو أبو نيتين.. إن نفس هذه الحاجة هي التي دفعتني للسفر أيضاً.. فما رأيك في أن نترافق ليسلي بعضنا بعضاً في الطريق ويكون أحدنا عوناً للآخر فالدنيا غير مأمونة من وحش كاسر أو عدو غادر.. أو مرض مفاجيء.!!

فقال أبو نية شورك وهداية الله.. فوافق أبو نيتين على هذه المرافقة.. ومشى الرفيقان يتجاذبان أطراف الحديث فإذا سكت أحدهما تكلم الآخر.. وإذا سكت الآخر تكلم الثاني.. وعندما تعبوا وجاعوا وجاعت رواحلهم وتعبت .! التمسوا مكاناً طيباً يجدون فيه الحطب لطبخ زادهم والعلف لغذاء رواحلهم.!!

ووصلوا إلى واد مخصب كثير الأشجار فأناخوا رواحلهم فيه.. وسبق أبو نيه صاحبه فأخرج من زاده ومائه ما يكفي الإثنين.. لأنه يعتبر نفسه هو الأول وأن الثاني ضيف عليه.. وانتهوا من الأكل وارتاحت دوابهم وشبعت فأرادوا مواصلة السير لأنه لامقام لهم في هذه الصحراء الموحشة التي ليس فيها خبازات.. وإنما هي مجاز إلى غيرها.!!



أبو نية يستمع ما تقوله الساحرتان ويعرف من حديثهما الدواء الذي يعيد إليه بصره.!!

وجدّ الرفيقان في السير الحثيث حتى تعبا و تعبت رواحلهما فنزلا في مكان طيب.. وانتظر أبو نية من صاحبه أن يقدم وجبة اليوم كما قدمها له هو بالأمس.. ولكنه رأى صاحبه لا يبدي حراكاً.. و انتظر أبو نية فترة من الوقت حتى فاجأه صاحبه أبو نيتين بأن قال له ويش رايك يا خويي لو نبقى نأكل من زهابك لين يخلص.. ثم نبدأ في زهابي نأكل منه لين يخلص.!!

فوافق أبو نية على هذا الرأي وصار يخرج من زهابه ومائه.. حتى نفد الزهاب والماء.. من أبو نية.. وانتهى دوره وجاء دور أبو نيتين.. في تقديم الطعام والشراب وسار الرفيقان حتى كلا من السير.. فقال أبو نية لرفيقه يا خويي تراني تعبت وجعت.. وأحب أن نضحي هنا ونرتاح وترتاح ركايبنا.. فقال أبو نيتين خلنا نمشي شوي... ومشوا.. ومشوا حتى أخذ التعب والجوع من أبو نية كل مأخذ .!!

فقال لرفيقه يا خويي تراني تعبت.. ولا عاد في حالي مزيد.. خلنا نضحى ونرتاح وترتاح ركايبنا وترى كل مطرود ملحوق.. والدنيا أطول من أهلها وبعد إلحاح من أبو نية وافق أبو نيتين على المضحى .!!

وحطوا رحالهم.. وقال أبو نيتين.. إن زهاني قليل لا يكفيني أنا واياك.. ولكن أبي أعطيك تمرة واحدة وقليلا من الماء فقال أبو نية يا خويي أنت كلت معي زهابي وشربت معي ماي.. ولازم تعاملني مثل ما عاملتك .!!

فقال أبو نيتين ما عندي إلا الكلام الذي قلت لك.. فأخذ منه أبو نية ما أعطاه.. وصبر على بلواه.. وساروا في اليوم التالي حتى تعبوا فقال أبو نية يا خويي تراني تعبت وضميت وجعت... فخلنا

نستريح قليلاً.. وتستريح ركائبنا .!!

فقال أبو نيتين دعنا نمشي قليلا لنقطع بعض مسافة الطريق... ومشوا حتى كاد التعب والجوع أن يسقط أبو نية من فوق راحلته.. فقال دعنا نستريح فقال أبو نيتين لا بد أن نمشي قليلا ومشوا حتى لم يبق عند أبو نية أي قدرة لمقاومة التعب فنزلوا وأعطى أبو نيتين لصاحبه التمرة المعتادة وقليلاً من الماء.!!

فقال أبو نية إن التمرة لا تشبعني.. وأريد أن آكل معك من زادك كما أكلت معي من زادي.. فقال أبو نيتين إن زادي قليل لايزيد عن حاجتي... وإذا ما تكفيك التمرة فاقعد في هذا المكان.. وأنا أسافر وحدي.!!

وحاول أبو نية أن يقنع صاحبه بأن يعطيه أكثر من تمرة ولكنه فشل في محاولاته.. وألح عليه ذات مرة أن يرحمه وأن ينقذه من آلام الجوع التي يعانيها... فقال أبو نيتين.. لا بأس.. أنا أعطيك فدرة من التمر وشربة من الماء.. ولكن على شرط فقال أبو نية بفرح وأمل ما هو هذا الشرط.. فقال أبو نيتين الشرط هو أن أفقأ إحدى عينيك...

فقال أبو نية وما فائدتك يا خويي من فقأ إحدى عيني.؟!

فقال أبو نيتين إنها هواية أتلذذ بها وأطرب لرؤيتها..!!

فقال أبو نية وكيف تكون حالي إذا فقأت إحدى عيني .؟!
إن نظري سوف يذهب نصفه.. ووجهي سوف يشوه كله..

فأعطني تمرة واحدة وقليلا من الماء.. وصبر جميل والله المستعان.!!

ومشى الرفيقان حتى أحس أبو نية بأن حالته من التعب ليس فيها من مزيد... وأن الجوع.. قد كاد أن يقضي على حياته فقال في نفسه لماذا لا أنقذ نفسي من الموت ولو بقلع إحدى عيني.. إنني أمام موت محقق.. وقلع العين يعد أخف الشرين.!!

ووافق أبو نية على أن يفقأ رفيقه إحدى عينيه على أن يعطيه فدرة تمر وشربة ماء.!! واستعد ليفقأ صاحبه وجاء أبو نيتين ليقوم بمهمته.. واستشار صاحبه في أي العينين يريد أن يفقأ هل هي اليمين أم الشمال فقال أبو نية:-

إفقأ الشمال وفقئت إحدى عيني أبو نية.. وتألم من تلك العملية.. ولكن آلام الجوع كانت أشد... ولاهب الظمأ كان أقسى وسار الرفيقان لا يكلم أحدهما صاحبه.. فأبو نية مشغول بنفسه بين آلام الجوع والظمأ.. وبين آلام عينه التي فقدها إلى الأبد.. وبقيت في وجهه آثار التشويه على أثر قلعها.!!

وجاء الغد.. وجاع أبو نية... وظمىء.. فقال لرفيقه أنقذ حياتي فقد عاودني الجوع والظمأ.. فقال أبو نيتين أنا أعطيك فدرة من التمر وشربة من الماء على شرط أن أفقأ عينك الثانية.!!

وارتاع أبو نية من هذا الشرط.. وقال يا خويي كيف تريدني أن أبقى.؟! أتريد أن أكون أعمى.. وأن أكون عالة عليك.. وكيف تكون حياتي بعد أن أفقد كلتا عيني.؟!

فقال أبو نيتين أنا لا أدخل معك في نقاش ومجادلات لا جدوى منها.. فإما أن توافق وتأخذ ما عرضت عليك وتعطيني

ما طلبته منك.. وإما أن تبقى كما أنت.!!

وتردد ابو نية في قبول هذا الشرط.. وقال الموت أفضل من حياة أفقد فيها بصري كله.. وسار الرفيقان بعد أن أصر كل واحد منهما على رأيه..

واشتد الجوع والظمأ والتعب على أبو نية.. ولكنه كان يتجلد.. ويتصبر.. إلا أن للصبر حدودا.. وللإنسان قدرة لا يمكن أن يتجاوزها.. وأحس أبو نية بسكرات الموت.. وهانت عليه عينه الثانية في سبيل إنقاذ ما يمكن إنقاذه..

وقال لرفيقه إنني موافق على الشرط فأعطني الفدرة والشربة... فأعطاه رفيقه الفدرة والشربة.. ثم فقأ عينه الثانية.. فبقي أبو نية أعمى لا يرى من الدنيا شيئاً.. ولا يؤمل في الدنيا خيراً فقد فقد عينيه.. وفقد مستقبله.. وخاب ظنه في البشر وساء ظنه بكل واحد منهم.. فقد غدر به شخص كان أحسن الظن فيه أطعمه من زاده.. وشرب معه من مائه ثم كانت النهاية أن يصنع به ما صنع..

وواصل الرفيقان سيرهما ساكتين.. وبينما كانا كذلك وإذا أبو نيتين يقول لرفيقه إنني أرى طيوراً تحلق في السماء.. ولعلها تحلق على ماء.. وقد نفد ماؤنا وليس لنا من أمل إلا حيث تحلق هذه الطيور.!

واتجه الرفيقان إلى حيث تحلق الطيور.. فوجدا بئراً واسعة يزخر بالماء.. ولم يكن مع الرفيقان دلو يستقيان به.. فقال أبو نيتين.. أنزل يا رفيقي في البئر واملأ لنا القرب.. وأنا أخرجها من البئر ثم أخرجك بعدها..

ولم يجد أبو نية بدأ من النزول في البئر.. فهو الآن أسير لهذا الرفيق يصنع به ما يشاء.. لأنه لا حول له ولا قوة .

ونزل أبو نية في البئر.. وملأ القرب.. وأخرجها رفيقه من البئر.. ثم جذب الحبل وترك صاحبه في قعر البئر وقال أبو نية يا رفيقي أنزل الحبل علي لأخرج.. فقال له أبو نيتين إبق في مكانك.. وجعل أبو نية يستعطف رفيقه بلين الكلام وبليغ القول.. ولكن قلب صاحبه كالصخرة الصماء التي لا تلين.. ولا تتأثر بما يلقى عليها..

وأخذ أبو نيتين راحلة رفيقه بما عليها وذهب بها وترك صاحبه في قعر البئر أعمى جائعاً خائفاً.. مسلوبا والتمس أبو نية غاراً يأوي إليه فوفق إلى غار في قعر البئر ير تفع عن الماء قليلا.. وتمدد فيه لير تاح وليتدبر أمره بهدوء ورويه.. كيف يخرج من هذه الورطة التي وقع فيها.!!

وتوصل إلى نتيجة واحدة لا ثانية لها... وهي أن حياته متوقفة على الحظ والصدف الطيبة.. وإلا فإنه هالك لا محالة..

وبقي أبو نية في انتظار الصدف الطيبة وهو في حالة عصيبة لا تكاد توصف فقد فقد عينيه.. وفقد راحلته بما عليها وحياته الآن بيد الأقدار.. ومرت على أبونية أحداث قاسيه.!! وعاش في ظلمة حالكة أو ظلمات حالكة.. ظلمة العمى وظلمة البئر.. وظلمة الليل إذا أظلم الليل.!! وظلمة المخاوف والوساوس والرعب التي تحيط به من كل جانب.!!

وبقي أبو نية على هذه الحالة.. زمناً لا يقدر بالحساب.. وفي ذات ليلة لم يشعر أبو نية إلا بشيء يطير.. حتى وقع على

حافة البئر.. ثم نزل فيه.. وجعل يعوم فوق سطح الماء.. إنه لا يرى شيئا ولكنه سوف يسمع الأصوات وسوف يستدل بها على الشخصيات.!!

وكتم الرجل أنفاسه.. حتى صار كأنه حجر من أحجار ذلك الغار.. وسمع الرجل أصوات العائمات إنهما فتاتان تسبحان في هذه البئر.. وتتحدثان عن أمور شتى لا تهم الرجل في حالته الراهنة.. وبينما كانت الفتاتان تتحدثان قالت إحداهما للأخرى:-

ألا تعلمين يا فلانة أن ورق هذه الشجرة التي بجوار هذا البئر تشفي من العمى... فقالت الثانية وشيء ثان أزيدك به علماً.. وهو أن أغصانها إذا جففت وضرب المجنون بواحد منها ثلاث ضربات في ثلاثة أوقات متقاربات فإنه يشفى من الجنون.!!

وسمع أبو نية هذا الكلام ووعاه.. وانفتح أمامه بصيص من أمل.. وانتهت الفتاتان من سباحتهما وطارتا إلى حيث لا يدرى.!!

وبقي أبو نية ينتظر الفرج.. ولم يدر ذات يوم إلا بحركة فوق رأس البئر.. وبدلو تنحدر عليه.. فقبض على الدلو وتعلق بها.. وأحس صاحب الدلو بالثقل.. وسأل من يمسك بدلوي..؟! فقال الرجل أنا فلان . فقال له المسافر هل أنت جني أم إنسي فقال له بل إنسي جئت لأخذ ماء من هذه البئر.. فوقعت فيها.. فأخرجني منها جزاك الله خيرا .!!

وجذبه المسافر حتى أخرجه.. وأطعمه وسقاه ثم قال له إرحل معي إلى أقرب بلد أضعك فيها حتى يعلم أهلك بخبرك فيأتون اليك..

فشكره أبو نية.. وقال له إن هذا العمى نتيجة لكثرة بقائي

في الظلام وسوف يزول شيئا فشيئا بعد خروجي من البئر.. ولي رفقة قد ضربت معهم موعداً عند هذه البئر وسوف أبقى حتى يأتون إلي.. فاذهب في طريقك مشكورا فقد أخرجتني من الظلام إلى النور وأطعمتني وسقيتني وأديت كل ما تفرضه عليك واجباتك الإنسانية..

وذهب المسافر بعد أن ترك عند هذا الأعمى قليلاً من الطعام والشراب.. وبعد أن هيأ له مكاناً مريحاً في ظل الشجرة المجاورة للبئر..

وعندما خلا الجو لأبي نية تسلق الشجرة وأخذ من ورقها فجففه.. ثم دقه بين حجرين.. ثم وضع منه في عينيه فعاد بصيراً.. وفرح الرجل فرحاً شديداً لا يكاد يوصف.. ثم أخذ كيساً فملأه من أوراق هذه الشجرة وقطع منها عدة أغصان ووضعها في كيس آخر.. وحمل معه هذه الأشياء مع بقية الزاد الذي تركه عنده الرجل الذي أنقذه وأخرجه من البئر..

ومشى وواصل سيره ليله بنهاره.. حتى وصل مدينة كبيرة عامرة يملكها سلطان عظيم محبوب من رعيته واستأجر أبو نية بيتاً وسكن فيه.. وصار يتجول في المدينة ويختلط بسكانها... ويخبر من لقي أنه طبيب متخصص في مرض العيون.!! ومرض الجنون.!!

وجاء إليه بعض العميان فشفوا... كما جاء إليه بعض المجانين وزال عنهم الجنون.. وكسب الرجل من عمله هذا مكاسب طائلة.. وحسنت حاله.. حتى أن من يراه لا يصدق انه هو أبو نيه الرجل الضعيف البنية.. الكليل البصر.. الرث الثياب والهيئة..

وصرعت ابنة السلطان في ليلة من الليالي المظلمة.. واشتد بها الجنون الأمر الذي أقلق السلطان وشغل باله وجيء بالأطباء إلى ابنة السلطان..ولكنهم لم يستطيعوا أن يشفوها من هذا المرض. ونودي في البلد عندما يئس السلطان من طب الأطباء.. نودي في البلد بأن من يستطيع شفاء ابنة السلطان من مرضها فله وزنه ذهباً.. أما الذي يراها.. ولا يستطيع شفاءها فإن جزاءه قطع رأسه.!!

وجاء إلى السلطان عدة أشخاص من المشعوذين والدجالين. فلم يستطيعوا شفاء الفتاة.!!

وجاء أبو نية أخيراً إلى السلطان وقال له أنا أداوي ابنتك وسوف تشفى بإذن الله من مرضها.. وظن السلطان أنه أحد المشعوذين الطامعين في الذهب وقال له السلطان إذا رأيت ابنتي ولم تستطع شفاءها فإن الشرط أن أقطع رأسك أما إذا شفيت فإن الأجر هو وزنك ذهباً..

فوافق أبو نية على هذه الشروط.. وشرع في عمله حيث أدخل على ابنة السلطان.. ومعه الأعواد السحرية التي تشفي من الجنون.. وضرب الرجل ابنة السلطان ثلاث ضربات.. فهدأت حركاتها الهستيرية.. وانتظر فترة ثم ضربها ثانية.. ففتحت عينيها.. ثم اغمضتهما وذهبت في نوم عميق.. دفعها إليه ما عانته من متاعب مضنية في جسمها وفي أعصابها.!!

تركها الرجل وذهب بعد أن أخبر أهلها أن يتركوها على حالتها تلك ثماني ساعات متواليات.. وأخبرهم أنه سوف يعود في نهاية هذه الساعات ليستكمل علاجها.!!

ونامت الفتاة نوماً عميقاً وأهلها حولها.. وقد فرحوا فرحا عظيماً بهذا الهدوء.. وهذا الاستغراق في النوم الذي هو ولاشك من تباشير الصحة والعافية..

وانتهت الثمان ساعات.. وعاد أبو نية ومعه الأغصان السحرية.. فضربها بها ثلاث ضربات قامت الفتاة على أثرها بكامل قواها الجسدية والعقلية.. وتلفتت حولها.. فرأت هذاالشخص الغريب.. فالتفت بملابسها.. وصاحت بالرجل من أنت أيها الشخص الغريب.. وما الذي جاء بك.؟!

فاعتذر منها وقال إنني خادم من خدم والدك السلطان وخادم لك أيضاً.. وخرج الرجل من عند الفتاة ودعا أهلها.. فجاءوا ورأوا ابنتهم.. وكأنه لم يصبها مس من الجنون..

ورأت آثار الفرح الممزوج بالآلام والأحزان وسألتهم عن أسباب هذه الانفعالات.. ولم تدر أنها من أجلها.. بينما الفتاة لا تذكر شيئا مما جرى لها.. وكل ما تذكره هو أنها كانت نائمة فأفاقت من نومها.. وجيء بالرجل الطبيب فوضع في كفة.. ووضع الذهب في كفة حتى تعادلا.!!

أخذ أبو نية ذلك الذهب.. وذهب به إلى منزله.. وقد صار بحصوله على هذا المبلغ أغنى رجل في المدينة.. واطمأن أبو نية على مستقبله.. وعادت إليه ثقته بنفسه.. وصار لا يحمل هماً.. ولا يبذل أي جهد لكسب وإنما همه كله أن يحافظ على هذه الثروة الطائلة.. وأن يبذل منها في سبيل البر والخير والصلاح...

واشتهر الرجل في البلد بأعماله الطيبة.. وشهامته الفائقة... وكرمه الحاتمي... وبينما كان ذات يوم يمشي في شارع من شوارع المدينة.. رأى رجلاً فعرفه.. وسلم عليه بحفاوة ودعاه باسمه ولقبه بلقبه.. فعجب الرجل الثاني من هذا الشخص الذي عرفه بينما أنه لم يعرفه.. وقال الرجل الثاني لقد عرفتني ولم أعرفك فعرفني بنفسك .!!

فقال أبو نية.. ألا تعرف ذلك الرجل الذي رافقك في الطريق الفلاني سنة كذا وكذا.. فقال الرجل إنني أعرفه.. فقال أنا هو.. ولم يصدق الرجل.. وقال إن ذلك الرجل لا يمكن أن يبقى على قيد الحياة.. لأنه سقط في البئر الفلاني فمات .!!

فقال أبو نية إنه لم يمت وهو لم يسقط.. وإنما نزل للاستقاء.. فقال الرجل الثاني بدهشة واستغراب.. وكيف إذاً خرجت من البئر .؟! وكيف عاد إليك بصرك.. وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه .؟!

فأخذه أبو نية بيده.. وقال له إن قصتي طويلة.. فتعال معي إلى منزلي لأقصها عليك .!!

وذهب الرجلان معاً حتى دخلا منزل أبو نية..وجلسا وقص عليه أبو نية قصته منذ أن تركه حتى وقت لقائهم هذا... وقال أبو نية لقد كان رزقي وثروتي الواسعة بسبب بقائي في تلك القليب...

فطمع أبو نيتين في أن ينال مثل ما نال صاحبه.. وقال يا رفيقي لا تحسدني أخبرني بما صنعت في قعر البئر.. إنني أريد

أن أغامر لعلي أرزق مثلما رزقت .!!

فقال له أبو نية اذهب إلى تلك القليب.. وانزل فيها وسوف تجد بقرب الماء غاراً كبيراً فادخل فيه.. فإذا جاء منتصف الليل فإن الساحرتين سوف تأتيان إلى البئر .. وتستحمان في مائه.. وسوف تتحدث كل واحده منهما إلى الأخرى.. وأنت تسمع . وإياك أن تظهر لك حركة.. أو يعلو منك نفس أو يصدر منك عطاس أو سعال.. فإذا سمعت حديثهما فلا بد أن يكون فيه سر من الأسرار التي قد يكون فيها غناك.!!

وذهب أبو نيتين إلى تلك البئر.. وأخفى لوازم السفر تحت شجرة.. وترك راحلته ترعى في الصحراء ونزل إلى قاع البئر.. ووجد الغار فدخل فيه وبقي منتظراً أسباب الغنى.. وعندما صار الليل ليلين . سمع صوتاً هائلاً في أعلى القليب فخفق قلبه بالخوف.. وبدأت ترتعش أطرافه.. وتصطك أضراسه.. وحاول أن يضبط أعصابه ولكنه لم يستطع فترك الأمور تجري كما تشاء.. وأيقن أن أمره سوف ينكشف شاء أم لم يشأ.!!

ونزلت الساحرتان إلى الماء وجعلتا تسبحان.. وتلعبان في الماء مختلف الألعاب وتتحدثان بأحاديث شتىٰ.. وقالت إحداهما للأخرى ألاتعلمين يافلانة أن سرنا قد انكشف.. وأن تلك الشجرة المسحورة قد عرف أمرها.. ولابد أن أحداً من بني الإنسان كان يسمعنا ونحن نتحدث فعرف السر واستغله لصالح نفسه .!!

وفي هذه اللحظة وعند هذا المقطع من كلام الساحرة تكلم

الرجل المختفي مدفوعاً بقوة خفية لا يعرف كنهها.. وقال مخاطباً الساحرتين والله العظيم إنه ليس أنا الذي كنت أسمعكما سابقا وإنما هو رجل آخر .!!

فلم يلتفتا إلى كلامه بل أخذاه وأخرجاه من البئر بغضب وانفعال . وأيقن الرجل بالشر وصار يحلف لهما بأغلظ الأيمان بأنه ليس هو الذي سمع حديثهما السابق.. وإنما هو رجل آخر هو على استعداد ليدلهما عليه.!!

لكن الساحرتين لم تعيرا هذا الكلام أي التفات.. وإنما طارتا بالرجل في جذعهما.. وهو مسلوب القوة منهار الأعصاب لا يملك أي قدرة للدفاع ولا للامتناع.!!

وحلقت الساحرتان بالرجل.. في جو السماء.. وعندما ارتفعتا قالتا للرجل ماذا ترى من الأرض فقال إني لا أرى منها إلا جسما في حجم الخيمة.. وحلقن به إلى أعلى لمدة دقائق ثم قلن له ماذا ترى من الأرض فقال إني لا أرى إلا مقدار العباءة.. وحلقن به إلى فوق.!وفوق.! وفوق.!ثم قلن له ماذا ترى من الأرض فقال إنني لا أرى شيئا.!!

وعندئذ قلبن الجذع وجعلن عاليه سافله فسقط منه الرجل أما هن فإن هناك قوة تشدهن إلى الجذع وتشد الجذع إليهن.!!

وهوى الرجل إلى الارض كجلمود صخر حطه السيل من عل فلم يصلها وفيه عضو يتحرك أو عرق ينبض.!!

وهكذا كانت خاتمة أبو نيتين فقد لقي جزاءه العادل.!!

وقد سعى إلى هذا الجزاء باحثاً عنه حتى عثر عليه .!! وكان فيه القضاء عليه.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

للشاعر عبيد الرشيد

يـادارنـا مـن جـاك جـيـنـاه عـجـلـين

بـالليـل نـسرى والـصـفـر والـقـوايـل

فـان كـانهم عـنـا بـالأنـشـاد محفـين

مـن الـراس مـا يحتـاج ردالـرسـايـل

جـيـنـا صـبـاح وهـم لـنـا مـسـتـكـنـين

وثـار الـدخـن مـن حـرصـلـو الـفـتـايـل

وحصـل لـنـا عقـب المواكـل وفـاللـدين

وراعـي الـسـلـف ردت عـلـيه الجمـايـل

واللي ذبحت بشـذرة الـسيف تـسعين

أيـضـا ولاني عـن طـردهـم بـسـايـل



سالفـــــة:

١٤ - سعيد.. وزوجته الخائنة

روبت هذه السالفة عن فضيلة الشيخ محمد الهويش وكتبتها بأسلوبي الخاص.

قالت الجدة للأطفال إنني سوف أقص عليكم سالفة هي أشبه بالخيال ولكنها حقيقة.. وهي حقيقة ولكنها تشبه الخيال.!!

واشرأب الأطفال إلى هذه السالفة وقالوا لجدتهم قصيها علينا..

فقالت الجدة حباً وكرامة وشرعت في السالفة قائلة:

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل أو المملوك الذي كان في رق أحد الأمراء وكان هذا المملوك جزاراً.. وليس جزار حيوان ولكنه جزار إنسان.. فإن عمله الخاص عند ذلك الأمير قتل من استحق القتل بحكم شرعي.!! وكان سعيد قوي الساعد قوي الجنان لا يعرف الخوف والرعب إلى قلبه سبيلاً.. وهذه هي المؤهلات التي صيرته جزاراً.!!

وتزوج سعيد هذا بزوجة سمراء مثله في السمار ولكنها

ليست مثله في الرق فهي حرة.. إلا أنها ليست من القبائل المعروفة بالأصالة فهي (خضيرية) وسارت الأمور بين سعيد وبين زوجته على أحسن ما يرام.. لا يعكرها شيء من الشكوك ولا الخصام.!!

وفي ذات يوم كان سعيد في بيته فدق عليه الباب رجل من بلدة الزوجة ففتح سعيد الباب وقدم هذا الضيف نفسه لسعيد.. وقال له إنني من بلدة زوجتك المحترمة.. بل أنا أخوها من الرضاعة.. وقد جئت من أهلها وبلدها.. ومعي لها هدية.. ومعي لها رسائل.. ومعي لها أخبار طيبة عن الأهل والعشيرة.!!

وجاءت الزوجة تسعى عندما سمعت هذا الكلام من شخص هي تعرفه وهو يعرفها وسلمت عليه بحرارة بالغة.. وأخذته في الأحضان.. وقالت لزوجها إن هذا أخي من الرضاع واتفق كلامها مع كلامه.!!

واستقبل سعيد هذا الأخ بصدر رحب وأكرمه غاية الإكرام مع أنه لا يعرفه.. ولكنه إكراما لزوجته يكرم أخاها ولو من الرضاع وقد أراد أن يكون كما قال الشاعر:-

أحب بني العوام طرا لحبها
ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

وبقي هذا الأخ ضيفاً على سعيد وزوجته بضعة أيام اشترى فيها ما يلزمه من المدينة من أغراض وحاجات يتاجر فيها في بلده.. فلما انقضت حاجاته استأذن من مضيفه سعيد.. وودع الجميع وشكرهم على حفاوتهم به وإكرامهم له... ثم غادرهم..

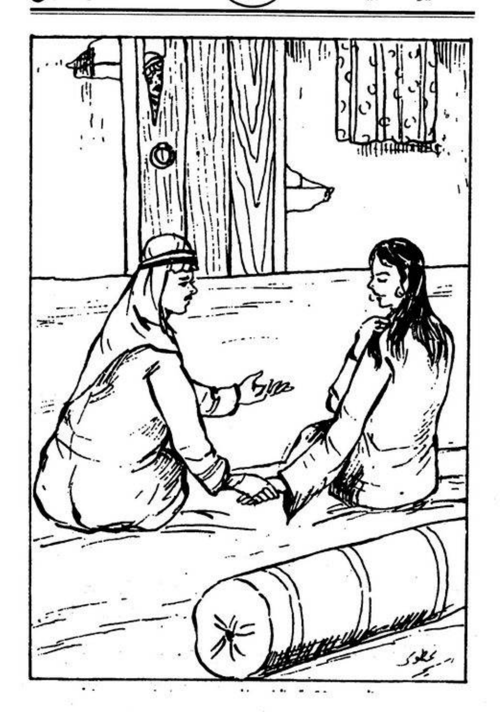
ووصل الرجل إلى بلده وباع بضاعته.. ثم رجع إلى المدينة مرة ثانية ليشتري بضاعة جديدة.. طلباً لكسب جديد.. وذهب إلى أخته من الرضاع وإلى زوجها سعيد فرحب الجميع به.. وقضى عندهم بضعة أيام حتى اشترى من تلك المدينة.. ما يتطلبه سوق قريته . ثم ودعهم وشكرهم وسافر..

وهكذا بقي هذا الأخ من الرضاعة الذي يدعى جمعان.. يتردد ما بين قريته.. وبين تلك المدينة التي تسكن فيها أخته من الرضاعة كما يزعم.. وكان يلقى في كل مرة يأتي فيها لضيافتهم إكراماً وبشاشة وترحيباً..

واستمر جمعان على هذه الحال وقتا طويلاً.. إلى أن جاءهم ذات مرة فاستقبلوه كما كانوا يستقبلونه وبقي في البيت لا كضيف ولكن كأحد أفراد الأسرة فإذا تناولوا الفطور جميعاً ذهب سعيد إلى سيده ليكون في خدمته.. وذهب جمعان إلى أسواق المدينة ليشتري منها ما تحتاجه قريته - أما المرأة فتبقى في بيتها لتقوم بشؤون المنزل.. كان هذا ديدنهم .!! وهذا هو أسلوب حياتهم .!!

وجاء سعيد من عمله عند سيده ذات يوم قاصداً بيته.. وأقبل على داره.. وكان في الباب الرئيسي الذي على الشارع عدة ثقوب منها الصغير الذي لا يتسع إلا لمخيط ومنها الكبير الذي في حجم البيضة..

ونظر سعيد من أحد تلك الثقوب.. أو هو على الأصح قد انزلق نظره صدفة من ذلك الثقب.. ورأى أمراً هاله وأزعجه ولكنه لم يصدق نظره لأول مرة فأعاد النظر.. من أكبر ثقب في الباب..



سعيد ينظر من شقوق الباب إلى زوجته وضيفه..
وهما في حالة مريبة.!!

وتأكد في المرة الثانية أن ما رآه في المرة الأولى صحيح.. وطارت في رأس العبد.. وهم بالشر.. وصمم على الفتك بالزوجة وأخيها من الرضاع..

إنه يتقلد سيفه والقتل وسفك الدم لا يخيفه ولا يثير أعصابه.. وعمه جمل.. فهو يستطيع أن يشق وعمه يستطيع أن يرفأ.. إلا أنه صار على خلاف ما كان يتوقع من مثله استعاذ بالله من الشيطان الرجيم.. وانتظر عند الباب قليلاً حتى هدأت أعصابه بعض الشيء.. وفكر قليلاً.. وهبطت عليه السكينة من السماء.. ورأى أن لا يتسرع في الأمر وأن يدخل إلى بيته وكأنه لم ير شيئاً.!!

وهكذا وقع.. فإن سعيداً دق الباب.. وقامت زوجته مسرعة فلفت عليها ثيابها.. وفتحت لزوجها الباب.. وأما الضيف فإنه كذلك وضع ملابسه على نفسه.. وجلس بهدوء مصطنع في أحد أركان المجلس.. ودخل سعيد فسلم على الجميع كعادته ولم يبد عليه أي أثر يدل على أنه رأى شيئاً.!!

وذهب إلى غرفته فعلق سيفه.. وخلع ملابسه.. وارتاح قليلا حتى جاء موعد طعام الغداء.. وجلس الثلاثه يأكلون إلا أن جمعان قد أحس بالذنب.. وهو في حالة غير طبيعية غير أنه يحاول أن يتظاهر بالهدوء والسكينة.. وانتهى الطعام وتناولوا بعده أقداح الشاي..

وبعد ذلك.. استأذن جمعان من مضيفه.. ومن أخته بالسفر فقد اشترى كل ما يحتاج إليه.. وهو يريد أن يتوجه إلى

بلده.. فودعه سعيد.. وودعته أخته من الرضاعة .!! وذهب في حال سبيله .!!

واعتزل سعيد زوجته بضيفه.. ثم أعطاها ورقة طلاقها في هدوء وسكينة.. ولم تحاول الزوجة أن تعاتب زوجها على هذا التحول المفاجىء.. ولم تحاول كذلك أن تسأله عن أسباب هذا الطلاق الذي لم يسبقه خلاف ولا خصام .!! وخرجت الزوجة المطلقة من البيت.. دون أن يوجه لها سعيد أي كلمة عتاب.. وذهبت هذه الزوجة المطلقة إلى حيث لا يدري سعيد .!!

وبحث سعيد عن زوجة أخرى فتزوجها.. وعاش معها في وفاق.. ونسي زوجته القديمة المطلقة تمام النسيان وبعد سنتين أو ثلاثاً كان سعيد يمشي في أحد الشوارع.. وإذا بشخص يسلم عليه.. وسلم سعيد على هذا الشخص وعرفه انه جمعان أخو زوجته السابقة من الرضاعة.. وسأله سعيد عن حاله.. ولماذا انقطع عن زيارته طيلة المدة الماضية .؟!

فشكره جمعان على شعوره الطيب نحوه.. وقال إن لي قصة سوف أقصها عليك الآن.. راجياً منك عدم المؤاخذة.!!

ومال جمعان وسعيد إلى إحدى المقاهي.. وطلبا إبريقاً من الشاي وجعلا يحتسيان منه..

وقال جمعان لسعيد لقد أراد الله أن تطلق زوجتك التي قلت لك إنها أختى من الرضاع.. وأن تعود هذه الأخت إلى بلدها التي هي بلدي.. وتكرر اللقاء بيني وبين هذه الأخت إلى أن نشأت بيننا ألفة ومحبة هي غير ألفة الإخوان ومحبتهم..

وعندئذ سألنا العارفين بالأمور عن تلك الأخوة من الرضاعة.. فلم يستطع أحد من العارفين أن يتيقنها..

وعندما انتفت هذه الأخوة أراد الله أن أتزوجها.. وأنا أقول لك هذا الكلام والخجل يكاد يعقد لساني.. ولكن هذا ما حدث أقصه عليك مؤملاً أن تسامحني على ما كان بدر مني من كذب لم يكن الدافع إليه سوء نية.. وإنما كان الدافع إليه أخبار غير صحيحة كنا قد سمعناها ولم تثبت عند التمحيص .!!

وقال سعيد لجمعان بارك الله لك في اختك قديماً وزوجتك حديثاً.. وأنا أقول لك أنه لم يبق في خاطري أي أثر لما كان حدث.. وقد عوضني الله بما هو خير منها.. وقد يكون عوضها بما هو خير مني .!

وأردف جمعان قائلاً.. لقد انتقلت أنا وزوجتي إلى هذه المدينة . ونحن الآن نعيش هنا منذ فترة طويلة غير أنه منعنا الحياء من زيارتك لما كان بدر منا..

وقال سعيد إنني أرجو لك ولزوجتك حياة سعيدة ومستقبلاً طيباً.. ولم يزد على هذا الكلام شيئاً ولم يطلب من جمعان أن يزوره في بيته..

وافترق الاثنان.. ونسي كل منهما صاحبه..

وجاء جمعان إلى بيته ذات يوم.. وفتح داره ودخل.. وإذا به يرى زوجته معها شخص غريب وهم في حالة مثيرة جداً.. فلم يكن من جمعان إلا أن يستل خنجره من بطنه.. وأن يعدو

إلى هذا الرجل الغريب من غير تردد ولا تفكير.. وأن يطعنه في جسمه عدة طعنات..

وقامت الزوجة تساعد زوجها على هذا الرجل الغريب.. وتكاتفا عليه حتى قضيا على حياته متعاونين.. وجاءت الشرطة إلى مكان الحادث وألقي القبض على جمعان زوجته وفرق بينهما فجعلت الزوجة في سجن السيدات.. وجعل الزوج في سجن الرجال وسلم القتيل إلى أهله فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وقبروه.

وجرى التحقيق مع هذه الزوجة زووجها.. وثبت أنهما اشتركا في القتل.. وعرضت القضية على القاضي فحكم بعد أن تحقق من اشتراك الزوجين في الجريمة.. بأن يقتلا جميعاً..

وجاء يوم الجمعة الذي هو موعد تنفيذ حكم الإعدام في الزوجين القاتلين..

وصلى الناس صلاة الجمعة وعلموا بأن زوجاً وزوجة سوف يقتلان أمام قصر الحكم.. والتف الناس حول مكان تنفيذ الحكم.. وسيق القاتلان حتى توسطا الميدان..وأجلسا.. وقرىء الحكم على المشاهدين.. والمتجمهرين .!!

وجاء الجزار الذي هو سعيد.. يخفي سيفه المسلول بطرف ردائه الطويل .!! إنه يمشي بهدوء وسكينة لئلا يراه أو يعلم به الشخصان المحكوم عليهما بالاعدام.. لأنهما إذا رأياه أو سمعا صوته.. فقد يصدر منهما حركات تحول دون قطع الرأس في أول ضربة.. أو قد تحول ضربة السيف إلى مكان أخر غير الرقبة.. فيكون في ذلك تعويق لعملية الإعدام.. أويكون في ذلك تشويه للمقتول وتعذيب له أكثر من اللازم..

وعندما قرب سعيد من الشخصين وصار يراهما جيداً وإذا به أمام زوجته الخائنة.. وأخوها من الرضاع قديماً وزوجها حديثاً.!! إنهما غريماه السابقان اللذان داسا شرفه.. وأذلا كبرياءه.. وخاناه أخس خيانة وأحطها .!!

لقد جاءت بهما الأقدار إلى أن رمتهما تحت سيفه المصلت.. وهو يقتلهما الآن لا لأنهما خاناه ولكن لأنه حكم عليهما بالقتل .!!

وتقدم سعيد بخطوات ثابتة وقلب قد من الصخر.. على خلاف عادته في الضحايا السابقين الذين كان يتقدم لقتلهم وهو يشعر بالعطف والشفقة عليهم.. إلا أنه يؤدي واجباً محتماً عليه.. لا يخضع لهذه العواطف ولا لمثل تلك الانفعالات.!!

ووقف سعيد على رأس الزوج الخائن فضربه ضربة قوية.. جعلت رأسه يتدحرج بعيداً عن جسمه ونظر المشاهدون إلى الرأس المقطوع.. وإذا بالفم ينفتح واللسان يتحرك بكلام لا يفهم .!! وصوت لا يسمع.!!

ثم تقدم سعيد إلى الزوجة الخائنة.. وخامره بالنسبة إليها بعض العطف والشفقة كامرأة.. ولكنه لا محل لهذه الشفقة ولا للعطف.. إن الحكم لا بد من تنفيذه والمشاهدون والنظارة يترقبون قطع الرأس الثاني.. وليروا كيف تكون الحركة الثانية.. هل هي مثل الحركة الأولى أو أقل منها.. أو أكثر منها عنفاً.. ووقف سعيد على رأس زوجته السابقة.. وأهوى إلى رقبتها بالسيف.. فانقطع الرأس.. ولكنه لم ينفصل من الجسم كلية فقد ربطه إلى الجسم بعض الملابس التي كانت المرأة تغطي بها جسمها.!!

وظن سعيد أن الرأس لم ينقطع.. وأنه ضعف أمام هذه الزوجة

السابقة.. فكانت ضربته ضعيفة لم تؤد المهمة كما يجب أن تؤدى..

ورفع سعيد السيف مرة ثانية وضرب ذلك الرأس المعلق ضربته الثانية.. فانفصل عن الجسم ولكنه كان مغطى بالأثواب.. ولذلك لم يرى المشاهدون منه أي حركة.. تثير الانتباه.!!

وهكذا لقي الخونة جزاءهم.. وانتصر الصابرون فتحقق لهم ما يريدون عن طريق مشروع لا غبار عليه .!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت .!!

قال عبد الله بن سبيل

إلى عـزمـت فـحـط للرجـل مـرقـات

من خوف يدرى بك خطات الربادى

ولا تـاخـذ الـدنـيا خـراص هـقـوات

يـقـطـعـك مـن نـقـل الـصـمـيـل الـبراد

لـك شـوفـة وحـده وللنـاس شـوفـات

ولا وادي سـيلـه يـفـيـض بـوادي

الحب كـل شـايـف مـنـه لـيعـات

مـن عـصر نـوح وجـاي مـالـه عـداد

مشغوف قلبي قدم قلبك وهيهات

مـا نـيب مـثـلـك يـا ردى الجلاد

ولا يـنـفـع المحـرور كـثـر الـتـنـهـات

ولا يـسـقـى لـظـامـي خـضـيـض الـوراد

★ ★ ★

سالفـــــة:

١٥- محماس ورد الجميل

«رويت هذه السالفة عن التاجر الوجيه الشيخ صالح العيسى وقد كتبتها بأسلوبي الخاص».

قالت الجدة للأطفال عندما اجتمعوا عندها في هذه الليلة إنني سوف أقص عليكم سالفة محماس.. وكيف رد الجميل إلى من أحسن إليه لتعلموا أن المعروف لا يضيع.. وأن عمل الشر لا ينبت إلا شوكاً.. وعمل الخير لا ينبت إلا زهراً وثمراً طيباً !!.

فاشتاق الأطفال إلى هذه السالفة وقالوا لجدتهم قصيها علينا فكلنا آذان تسمع وقلوب تعي.

فقالت الجدة هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك التجار الذين يتاجرون.. ويتنقلون ما بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها..

وكانوا في رحلة من رحلاتهم قد خرجوا بقوافلهم من الجنوب متجهين إلى الشمال.. وكانت القافلة مؤلفة من فرقتين إحداهما من الجنوب والثانية من الشمال.. وقد اجتمعتا ليشد بعضهم أزر بعض وليكونوا قوة في وجه الطامعين من اللصوص وقطاع الطريق.

وعندما سارت القافلة في الصحراء.. لم يشعروا إلا ببدوي يتبعهم ماشياً على قدميه.. وهو يحمل سلاحه فقط.. وليس معه ماء.. ولا طعام.. وعندما نزلوا أول مرة جاء فسلم عليهم وجلس

بجوار النار ينتظر القهوة والشاي والطعام كضيف على رجال القافلة.!!

وأطعمه رجال القافلة وسقوه.. وانتظروا منه أن يحمل سلاحه وأن يذهب في طريقه.. ولكنه لم يفعل بل بقي مع القافلة يرحل إذا رحلوا وينزل إذا نزلوا ويشاركهم في طعامهم وشرابهم.!!

وسألوه عن اسمه فقال ان اسمه محماس.. وسألوه عن قبيلته فقال ان أهلي في الشمال وسوف أرافقكم حتى آتي أهلي..

وقال له رئيس إحدى الفرقتين إننا لا نريد مرافقتك فتوكل على الله واذهب مع طريق غير طريقنا..

وقال محماس إن طريقكم هو طريقي وأنا لا أريد لكم شيئا فأنا لا أريد منكم أن تحملوني.. ولا أريد منكم طعاماً ولا شراباً إلا ما تفضلتم به.. وأنا سوف أسير بحذائكم حتى أصل إلى أهلي..!

وصمم رئيس الفرقة على أن يفارقهم محماس.. وأن لا يسير معهم وأن لا يسير بحذائهم فقال إنني سوف أسير معكم شئتم أم أبيتم وأنا ثقلي على الأرض.. ولن أكلفكم بأي شيء لا تريدونه وقال رئيس الفرقة نحن نوافق على أن تسير معنا ولكن على شرط.!! فقال محماس وما هو الشرط.؟

فقال رئيس الفرقة.. الشرط هو أن نربط يديك ورجليك في الليل.. فإذا جاء النهار أطلقناك.. وتركناك تمشي معنا..وأجاب محماس بأن هذا لن يكون وهو لا يوافق على هذا الشرط.!!

وكان رئيس الفرقة الثانية رجل شهم وكريم وهو الذي يطعم محماس ويسقيه.. وشعر بأن هذا البدوي لا بد أن يرافقهم فقال إنني أكفل محماس.. وأتحمل أي ضرر يلحقكم بسببه.. فرضي رئيس الفرقة الأولى بهذه الكفالة.. وسارت القافلة المؤلفة من فرقتين ومحماس معهما إلا أن طعامه وشرابه من رئيس الفرقة الثانية.. وصار محماس يساعدهم ويرعى إبلهم.. ويحمل الأحمال

معهم عند الرحيل وينزلها معهم عند النزول..

ووصلت الفرقة الثانية إلى حيث تريد.. أما الفرقة الأولى فقد واصلت سيرها إلى بلد أخرى.. وشكر محماس رفاقه الذي آووه وحموه.. وودعهم قائلاً إنني سوف أتبع قافلة هؤلاء اللئام وسوف أفتك بهم وألقنهم درساً لا ينسونه مدى الحياة.!!!

إلا أن رئيس الفرقة الثانية قال إنهم في كفالتي حتى يعودوا إلى بلدهم.. وإنني أرجو أن لا تمسهم بسوء.

واستجاب محماس إلى هذا الرجاء.. وقال إنني سوف أتركهم إكراماً لك...وودع رفاقه وسار في طريقه إلى أهله الذي لا يبعدون عنه كثيراً.!!

ومرت السنين على العابدين.. وكان هذا التاجر الشمالي.. ذات سنة قد سافر إلى كبد الشمال واشترى غنماً وإبلاً وساقها متجهاً بها إلى جهة الجنوب وكان كلما جاء أرض قبيلة أخذ منها رفيقاً يحميه من رجال قبيلته مقابل مكافأة معروفة.. وكانت القبائل العربية قد تقاسمت الجزيرة وعرفت كل واحدة منها حدودها.!!

وبينما كان هذا التاجر يسير بإبله وغنمه في إحدى مجاهل الصحراء.. وإذا به يرى غباراً قد سد الأفق وبدأ هذا الغبار يدنو منه شيئاً فشيئاً.. وعندما قرب الغبار خرجت من تحته عدة من الفرسان اتجهوا إلى الإبل والغنم فأخذوها..

ونظر التاجر إليهم فإذا هم قوة لا يستطيع أن يقاومها واستسلم الرجل واستسلم رفاقه.. وجاء أهل الخيل بعد أخذ الغنم والإبل إلى الرجل وإلى رفاقه فأخذوا كل ما معهم حتى ملابسهم جردوهم منها.. ولم يتركوا إلا ما يستر عوراتهم فقط.!!

وذهب القوم بكل ما مع التاجر من دقيق أو جليل..وبقي هو ورفقته المجردون المغلوبون على أمرهم .!!

وجاء إليهم أحد الفرسان يتجول بينهم لعله يجد بقايا مما تركه

رفاقه عند هذا التاجر أو أصحابه.!!

ونظر هذا الفارس إلى أحد تلك الوجوه وإذا هو يعرفه تمام المعرفة.. وقال الفارس للتاجر هل أنت فلان بن فلان .؟! فقال إنك لم تر غيره.. فنزل من فوق فرسه وسلم عليه.. وسأله عن المال هل هو له فقال نعم..

فلم يكن من الفارس إلا أن يركب فرسه ويصيح صيحة عالية منكرة جمعت إليه الفرسان كلهم وعندما تكاملوا لديه.. قال لهم إنني مجير هذا التاجر وإنني أطلب رد أمواله كلها إليه.. لأن له معروفاً عندي لا يمكن أن أنساه مدى الدهر .!!

واستجاب الفرسان لهذه الدعوة وردوا إلى التاجر جميع ما أخذوه منه من دقيق وجليل.. وقال محماس لصاحبه التاجر هل بقي لك شيء.. وتفقد التاجر أمواله فلم ير فيها نقصاً.. فقال إنها كاملة لا نقص فيها .!! وتفرق الفرسان ما عدا محماس وثلاث من أبناء عمه.. بقوا مع هذا التاجر يسيرون معه لحراسته حتى خرج من بلادهم.. أو حدودهم من الأرض المتعارف عليها.. ودخل التاجر في حدود قبيلة أخرى.!!

وأرد التاجر قبل أن يفترقوا أن يكافىء محماس وأولاد عمه ببعض المكافأة ولكن محماس لم يقبل أي مكافأة وطلب منه التاجر أن يسمح له بمكافأة أبناء عمه ولكنه رفض هذا الأمر رفضاً باتاً.. وقال إنني لم أرد إليك إلا بعض معروفك.. وودع التاجر هؤلاء الفرسان وشكرهم على نخوتهم ووفائهم وكرمهم.. وأجابوه بأنهم لم يعملوا إلا بعض ما يجب عليهم نحوه .!!

وعاد التاجر إلى أهله وأبناء بلده يقص عليهم ما جرى له من تلك الأحداث والمفاجآت المثيرة التي تعرض فيها لأخطار عظيمة ثم نجاه الله منها بأسباب لم يكن يحسب لها أي حساب.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.

سالفـــة:

١٦- أم تقول إذا مت فلاتضربوا أولادي إلا بيدي

تجمع الأطفال عند الجدة فقالت لهم إنني سوف أقص عليكم هذه السالفة التي هي من مفاخر الأمهات.. لأنها تحمل العبر والعظات فقال الأطفال بصوت واحد نعم قصيها علينا.. فكلنا نحب أمهاتنا ونحب أن نسمع شيئاً من مفاخرهن..

فقالت الجدة حباً وكرامة وشرعت في السالفة قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل الذي اسمه محمد كان والده متزوجاً بامرأة ذات حسب ونسب وجمال.. فأنجبت منه ثلاثة أطفال ذكرين وأنثى.. وكانت هذه الزوجة قوية حكيمة في تربية أطفالها تقسو عليهم وقت القسوة.. وتلين في ساعات الرضا..

ولهذا فقد ترك الأب مهمة تربية هؤلاء الأطفال لأمهم.. تؤدبهم وتوجههم.. وتعني بجميع أمورهم.. والأب يعمل ويكدح ويكسب لهم المكاسب ويؤمن لهم ما يحتاجونه في معيشتهم اليومية..

سارت أمور هذه الأسرة الصغيرة هادئة مطمئنة لا يعكر صفوها أي معكر.. إلى أن أصيبت الأم في سنة من السنوات بمرض عضال.. وبذل رب الأسرة كل ما يستطيعه لعلاج زوجته.. إلا أن

تلك العلاجات كلها باءت بالفشل.. وأصبح الطب في ذلك الزمان من كي وقراءة وعزيمة.. كل هذه أصبحت عاجزة عن شفاء الزوجة المريضة..وسلّم الزوجان أمرهما لله.. يترقبان في كل لحظة فرجاً يأتي به الله من حيث لا يشعران..

وصارت الزوجة من حادور في حادور.. وزوجها لا يملك إلا الدعوات الصالحات بأن يمن الله بالشفاء على هذه الزوجة المثالية المحبوبة..وعرفت المرأة من ضراوة المرض وتزايده أنها هالكة لا محالة..وأن وفاتها منتظرة ما بين وقت وآخر.!!

وقالت لهم ائتوني بإمام القرية ليكتب وصيتي.. وجاء إمام القرية.. وكانت الزوجة لا تأسف على شيء في الحياة إلا على أولادها.. وهي تخشى عليهم من زوجة جديدة يتزوجها الأب وتتولى أولادها.. ولهذا فقد أملت وصيتها.. على إمام القرية ليكتبها..

ومن جملة هذه الوصية أن تقطع يد الأم اليمنى.. وأن لا يضرب أولادها عند التأديب إلا بهذه اليد.. وأن لا يتولى تأديبهم بهذه العصا إلا والدهم.!!

وتوفيت هذه الوالدة وقطعت يدها اليمنى حسب وصيتها وجففت.. ثم لف عليها الأب بعض الخرق حتى لا يعرف من رآها أنها يد آدمي.!!

وبقي الأب بعد وفاة زوجته مدة من الزمن حزيناً على فقدان زوجته.. كما أنه يقوم بشؤون أولاده داخل البيت وخارجه وأحس الأب بأنه لا يستطيع أن يقوم بمهمة الأب ومهمة الأم.. ولهذا فقد رأى أنه لا بد من الزواج.!!

وبحث عن زوجة جديدة حتى وجدها.. وخطبها إلى أهلها فأجابوه واشترط عليهم أن تقوم هذه الزوجة بشؤون أولاده خير قيام وأن تكون عوضاً لهم في والدتهم.. ووافقت هذه الزوجة على هذا الشرط.. كما أنه اشترط عليها شرطاً ثانياً وهو أن لا تضرب



والد الأطفال يؤدبهم بيد والدتهم بعد وفاتها بعد أن لف عليها الخرق لإخفاء حقيقتها عمن يراها.!!

أي واحد من الأولاد.. ومن استحق الضرب منهم فعليها أن تشكوه إلى والده.. وعلى والده أن يؤدبه بالأدب الرادع المناسب.!!

وقبلت الزوجة هذا الشرط أيضاً.. وجاءت الزوجة الجديدة إلى البيت الجديد.. الذي كانت تدبر أموره زوجة غيرها.. والتي خلفت أطفالاً ذكوراً وإناثاً..

وفرح الأطفال بالعمة الجديدة واستقبلوها ببشر وترحاب واهتمت الزوجة الجديدة بهؤلاء الأطفال.. وغمرتهم بعطفها وحنانها وشفقتها حتى أن والدهم إذا أراد أن يقسو عليهم في بعض الأحيان ويضربهم حالت بينه وبين ذلك.. فأحبها الأطفال وسعدوا بالحياة في رعايتها.!!

وأحب الرجل هذه الزوجة.. وتمكن حبها في قلبه.. وشعرت المرأة بهذا الحب.. ووثقت بتمكنها من قلب زوجها..

وعندئذ قلبت للأولاد ظهر المجن وصارت تكلفهم من العمل ما لا يطيقون كما أنها قلت عنايتها بهم وحدبها عليهم..

وشعر الأطفال بهذا التحول الغريب.. وبدا الجو يتوتر بينها وبينهم.. وبدا عامل العناد يدب إلى الأطفال.. فلا ينفذون كل ما تطلبه منهم وإن نفذوه كان التنفيذ ببطء وبطريقة تثير الأعصاب.!!

وبدأت الزوجة تشكو الأولاد إلى والدهم.. وتوغر صدره عليهم ما بين وقت وآخر.. وكان والدهم كل ما جاءته شكوى عنهم ضربهم ضرباً مبرحاً بتلك العصا التي أوصت الوالدة بأن لا يضربوا إلا بها.!!

واستمرت الزوجة على هذه الحالة توغر صدر الوالد على أولاده.. والوالد يضرب الأولاد ضرباً شديداً يرضي به هذه الزوجة.. ولكن ذلك الضرب لا يؤثر على صحة الأولاد ولا على نفسياتهم ولا على معنوياتهم...

ورأت هذه الزوجة الشريرة أن صحة الأولاد تزداد كلما زادت

عليهم الشدة والضرب والتأديب.. وشكت في الأمر... وظنت أن والدهم لا يؤدبهم كما ينبغي.. وصارت تشاهد ضرب هؤلاء الأولاد وتأديبهم بتلك العصا الغليظة الملفوفة بالخرق.!!!

وقالت في نفسها لعل في تلك العصا سراً.. لا بد أن أبحث عن هذا السر.. وعندما أخفى الأب ذات يوم العصا في مكان ما... بحثت عنها حتى وجدتها.. وفكت الخرق التي كانت مربوطة عليها فإذا هي يد امرأة مجففة ومعمولة بشكل العصا.

علمت المرأة بالسر وظهر السبب.. وإذا ظهر السبب بطل العجب وبحثت هذه الزوجة عن عصى في حجم هذه اليد حتى وجدتها ووضعتها في مكان اليد ولفت عليها تلك الخرق.. ثم وضعتها في مكانها المعهود.. أما اليد المجففة فقد رمتها للكلاب واستمرت الزوجة في شكوى الأولاد.. واستمر الأب في تأديبهم على عادته بتلك العصا.!!

واختلف الوضع تماماً.. وانقلب رأساً على عقب.. وبدأ الضرب يؤثر على صحة الأولاد وعلى نفسياتهم.. وعلى معنوياتهم وبدأت قواهم تنهار شيئاً فشيئاً... ورأى الأب هذه الحالة فساءته. وبحث عن سبب لها فلم يجد..

واستمر في شكه وقلقه من جراء صحة الأولاد التي تتدهور بشكل ظاهر وملحوظ.!!

إنه لا يعرف سبباً لهذا التدهور..

وجعل الأب يبحث عن السبب في أكلهم وشرابهم.. في طريقة حياتهم فلم ير أي تغير في هذه الأمور عما كانت عليه سابقاً.. وتركز الشك في العصا لقد أحس بتغير طفيف في ثقلها.. وفي طريقة ضربها.. وفي تأثير ها على الأولاد.. إنهم يتألمون منها أكثر مما كانوا يتألمون منها سابقاً..

واغتنم الأب ذات يوم فرصة انشغال زوجته في الطبخ ففك الأربطة التي فوق العصا.. وعندما انكشفت لم يجد تلك اليد المجففة التي لف عليها الخرق وإنما وجد عصاً غليظة كثيرة الكعوب.!!

وعرف الأب سر تدهور صحة أولاده أخيراً.. وسر تحسن صحتهم أولاً.!! إنه تغيير العصا.. وإبدال يد الأم بتلك الخشبة... وعرف الأب الفاعل.. إنها زوجته التي تكره هؤلاء الأولاد... وتغري والدهم بهم على الدوام.. وتسعى للإضرار بهم في كل مناسبه.!!

فلم يكن من الأب إلا أن يسأل زوجته عن العصا السابقة أين هي؟! فأنكرت الزوجة أن تكون عملت فيها شيئاً.. وأصرت على الإنكار...ولكن هذا الإصرار لم يحول هذا الأب عن رأيه في أن هذه الزوجة هي السبب وهي فاعلة التغير...

وحاول الزوج عدة مرات أن تعترف زوجته وأن تعتذر وأن تعد زوجها بأنها سوف تغير من طريقتها تجاه أولاده.. ولكن الزوجة أصرت على الإنكار.. وعدم الاعتذار.!! فلم يكن من هذا الأب الحنون إلا أن يطلق هذه الزوجة على الرغم من أنه يحبها.. وأن يبحث عن العصا.. السابقة إلا أنه لم يجدها... فقرر أن لا يضربهم بالعصا بتاتاً.!!

وبدأت صحة الأولاد في التحسن.. وبدأت معنوياتهم تقوى.. وبدأوا يعودون إلى حالتهم الطبيعية التي كان يعهدها فيهم قبل تغيير تلك العصا...

وبدأ الأولاد ينمون ويكبرون.. وبدأ والدهم يساعدهم على شؤون الحياة وشوؤن المنزل.. وعزم الأب على أن لا يتزوج.. مرة أخرى خوفاً من أن يبتلى بزوجة تسيء إلى أولاده.. وتعاملهم معاملة قاسية.!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سبحونـــــة:

١٧-بليبل الصياح.!!

«رويت هذه السبحونة عن الأخ الصديق الأستاذ عبدالرحمن فهد البواردي»

كانت الجدة في هذه الليلة منهوكة القوى كثيرة السعال من آثار البرد.. ولهذا فقد بحثت بين الأطفال عمن يقوم بمهمتها هذه الليلة..فتقدم أحد الأطفال.. وقال لجدته وزملائه إن لدي سبحونة اسمها بليبل الصياح إذا كنتم تر غبون في أن أقصها عليكم.. وكانت سبحونة غريبة لم يسمعوا بها من قبل.. فرحبوا بها وطلبوا من زميلهم أن يقصها عليهم.. وفرح الطفل بأن يتصدر الحلقة وأن يكون محط الأنظار..

وشرع في سبحونته قائلا:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل الذي متزوج إبنة عمه وله منها ثلاث بنات..

كبرت البنات الثلاث.. وصارت لهن رغبات ومتطلبات في الحياة وأراد والدهن ذات سنة أن يحج.. ورتب أموره وهيأ لوازم



الفتاة بعد تحريك المروحة يظهر لها بلبل الصياح ويسألها عما تريد فتندهش لأول وهلة.. ثم تتفاهم معه على طريقة لقائهما.!!

السفر.. وعندما قرب موعد سفره.. صار يسأل أفراد الأسرة عما يريدونه من مكة المكرمة من هدايا .!! وبدأ بالوالدة التي هي زوجته وسألها عما تريد فطلبت منه أشياء دقيقة مما يحتاجه النساء.! وسأل الكبرى من بناته عما تريد من مكة.. فقالت أريد منظرة.!! وسأل الوسطى فقالت أريد مكحلة.. وسأل الصغرى فقالت أنا أريد هديتي بلبيل الصياح.. وسمع الوالد بهذا الاسم لأول مرة.! ولم يعرفه.! ولكنه تظاهر بأنه يعرفه.. وأنه لايليق أن تعرف ابنته مالا يعرفه.! وودع الأب أفراد أسرته.. وشد رحاله وسافر مع إحدى قوافل الحجاج..

ووصل إلى مكة وأدى مناسك الحج والعمرة واشترى كل ما طلبه أفراد الأسرة.. ما عدا حاجة إبنته الصغرى التي سأل عن حاجتها في عدة أماكن من أحياء مكة فلم يجدها.. وسأل أحد التجار عن مكان وجود هذا البلبيل الصياح.. فأخبره أنه قد يكون في جده..

وسافر الأب إلى جده بحثا عن هذا البلبيل.. لأنه لا يسوغ أن يذهب إلى أهله بجميع ما طلبوا ما عدا ابنته الصغرى التي يحس نحوها بعطف ومحبة أكثر من أخواتها.. غير أنه يخفي هذه العو اطف الزائدة نحو ابنته الصغرى خوفاً من أن يثير غيرة أخواتها.. ورعاية لجانب العدالة والإنصاف بين أولاده.. فلا يصح أن يفضل منهم واحداً على الآخر.. فكلهم أولاده.. ويجب أن يساوي بينهم في كل شيء.!!

وعندما وصل الأب إلى جده جعل يسأل عن حاجته في مضانها وطال بحثه.. وتنقله بين التجار حتى وجدها عند

أحدهم وبعد المساومة فيها.. اتفق الطرفان على السعر.. ودفع الحاج الثمن وأخذ من التاجر هذا البلبيل الذي كلّفه من الجهد وأضاع عليه من الوقت الشيء الكثير..!!

وعندما تسلم الحاج هذا البلبيل.. وجده جسماً جامداً كروي الشكل في حجم التفاحة.. وهو يشبه كرة مصنوعة من الجص.. فأخذه والسخط يملأ صدره.. على ابنته التي كلفته وأرهقته في سبيل هذه القطعة الجامدة من الجص.!!

والمهم أن الرجل أخذ هذه القطعة من الجص وعاد أدراجه مسرعاً إلى مكة خوفاً من أن تفوته قوافل الحجاج الأولى فيتأخر سفره من مكة.. مع القوافل المتأخرة... وكان من حسن حظ هذا الحاج أنه عاد إلى مكة فوجد قوافل الحجاج الأولى على وشك السير فجهز نفسه وعاد مع قوافل الحجاج..

فلما وصل إلى بلده.. وجد زوجته وبناته ينتظرونه بشوق وفرح... ويترقبون وصول الهدايا من مكة بلهفة وابتهاج.. ووزع رب الأسرة الهدايا على الجميع ما عدا الفتاة الصغرى فإنه أخذها بيدها- وقطعة الجص ملفوفة معه في منديل- إلى ركن منعزل من البيت.. وعندما خلا بها.. قال لها:-

يا بنيتي العزيزة لقد كلفتني من أمري رهقا وطلبت مني أن أحضر لك بلبيل الصياح الذي لا أعرف ما هو.. وقد بذلت في سبيل الحصول عليه جهداً ووقتاً ومالاً.. حتى وجدته فإذا هو قطعة من الجص لا تساوي في نظري شيئاً.. وقد ندمت على ما بذلت في سبيله لأنه لا يساوي حسب رأيي شيئاً.. والذي أريد أن أعرفه هو أن تخبرينني كيف عرفت بلبيل الصياح هذا وما هي

الفائدة التي تجدينها من ورائه.؟!

فقالت الفتاة يا والدي العزيز إنني لاأعرف بليبل الصياح هذا ولا أعرف له شيئاً من الفوائد ولكنني عندما كنت ذات يوم ذاهبة إلى البئر لأستقي ماءاً لمنزلنا.. اصطدمت بعجوز تحمل قدراً قد ملئ بالماء فسقط القدر وأريق الماء وانخرق قدر العجوز فانفعلت انفعالاً شديداً.. على إراقة الماء وانخراق القدر ولم يكن لديها قوة بدنية تستعملها للانتقام.. وإنما كان لديها لسان ذلق طليق.. فدعت علي بالدعوة التالية:-

«الله يشفك من بليبل الصياح.. كما شفيتيني من مائي وقدري» وعندما سمعت دعوة العجوز علمت أن بليبل الصياح هذا شيء ثمين فتعلقت نفسي به وانشغل به بالي.. وصرت أنتظر هذه الفرصة التي تسافر فيها يا والدي وتعرض علي أن أطلب منك شراء هدية لي فقلت لك ما قلت عندما أردت الحج.!!

فازداد غضب الوالد عندما سمع هذا الكلام وقال لابنته أمن أجل كلام عجوز مخرفة تكلفينني من أمري عسراً وتطلبين مني أن أبذل الكثير من المال والجهد والوقت في سبيل قطعة من الجص لا أعتقد أنها تساوي شيئاً.؟!

فأرادت الفتاة أن تعتذر من والدها وأن تخفف من غضبه وثورته.. ولكنه لم يتح لها الفرصة للكلام والاعتذار بل قذف إليها قطعة الجص التي اشتراها من أجلها.. وقال لها اغربي عن وجهي فأنا لا أريد أن أراك بعد الآن.. وخذي قطعة الجص معك...

وتلقت الفتاة هذه الكلمات وهي كسيرة الفؤاد دامعة العين.. وأخذت قطعة الجص هذه ولفتها في ثيابها وجمعت ملابسها وأغراضها الخاصة وخرجت من بيت والدها تهيم على وجهها لا تدري أين تيمم.. ولا أية جهة تقصد .!!

وبينما كانت تسير في ضاحية من ضواحي المدينة.. رأت بستاناً محاطاً بسور فجعلت تمشي بجوار السور تستقيم باستقامته.. وتنحي بانحنائه حتى وجدت الباب.. وكان غير مغلق ففتحته ودخلت .!!

وعندما توغلت في البستان.. رأت رجلاً عجوزاً جالساً ورآها.. فتقدمت حتى قربت منه وسلمت عليه واعتذرت منه في دخولها إلى بستانه من غير إذنه فرد عليها السلام وقبل عذرها.. وسألها من أين جاءت وإلى أين تقصد.. فأخبرته بقصتها.. وأن أباها طردها من بيته.. وأنها خرجت من بين أفراد أسرتها وهي لا تدري أين تذهب.. وأن الأقدار وحدها هي التي سيرتها حتى أوصلتها إلى بستانه..

فرحب بها الرجل العجوز.. وقال لها إنني رجل كبير في السن وليس لي أولاد وأنا في هذا البستان الذي أملكه وحدي.. فابقي عندي وسوف تكونين كابنتي .!!

ففرحت الفتاة بهذا الكلام.. وانزاح عن كاهلها عبء ثقيل.. ومخاوف لا حدلها.. وأشار الرجل العجوز إلى بيت في وسط البستان وقال للفتاة اذهبي إلى ذلك البيت واختاري لك غرفة من غرفه تكون لك خاصة.. وضعي ملابسك وأغراضك

فيها.. وسوف أقاسمك لقمة العيش التي أملكها..

فازداد فرح الفتاة وشكرت الشيخ على لطفه وكريم استقباله.. وذهبت إلى البيت فاختارت غرفة من غرفه ورتبت حوائجها فيها وعندما جاء الدور على قطعة الجص التي سببت غضب والدها عليها أخذتها وقذفت بها في جانب من جوانب البستان غير آسفة عليها.. ولا نادمة على فقدانها..

فقد سببت لها نكبة فادحة وفرقت بينها وبين أفراد أسرتها وشردتها في البلد وجعلتها في متاهة لا تعرف لها نهاية.. وعاشت الفتاة في هذا البستان معيشة مشوبة بالقلق والأفكار السوداء على الرغم من لطف صاحب البستان وكرم أخلاقه.. وتوفيره لها كل أسباب الراحة..

وفي يوم من الأيام هطلت أمطار غزيرة على البلد سالت على أثرها الشعاب والوديان ثم انجلت الغيوم وطلعت الشمس وأشرق الجو وأطلت الفتاة من نافذة غرفتها إلى البستان وجعلت تجيل نظرها بين أشجاره المتناثرة.. ولمحت في أثناء نظراتها شيئاً يلمع لمعانا أخاذاً..!

ولم تدر ما هو هذا الشيء الذي يلمع.. ودفعها حب الاستطلاع إلى أن تنزل.. وتذهب إليه.. فوجدت قطعة الجص قد ذابت مع المطر.. وخرج من باطنها علبة مصنوعة من الذهب الخالص.. فانحنت الفتاة.. وأخذت العلبة وفتحتها لترى ما بداخلها..

وعندما انفتحت العلبة خرجت منها مروحة صغيرة لطيفة

فحركتها يميناً وشمالاً وفي هذه الأثناء حضر إليها رجل وقف تجاهها كمن ينتظر أن يؤمر فيأتمر.. أو يصرف فينصرف.. فقالت له الفتاة من أنت .؟! فقال لها أنا بليبل الصياح.. الذي طلبت من والدك أن يحضرني إليك.. فلماذا تحبسينني طيلة هذه المدة..

فاعتذرت إليه الفتاة وقالت إنني كنت جاهلة بوجودك داخل هذه العلبة فقد أعطانيها والدي وغضب علي وطردني من بيته بسببها.. وكنت لا أظن إلا أنها قطعة من الجص فرميتها كرهاً لها لما ألحقت بي من ضرر وثانياً أنني ما كنت أظن إلا أنها قطعة من الجص لا أكثر ولاأقل .!!

فقال بليبل للفتاة إن كلامك معقول ومقبول وسوف أذهب الآن.. وما عليك إذا أردت حضوري إلا أن تحركي هذه المروحة عدة حركات بعدها سوف تجدينني بين يديك أحضر لك ما تريدين وأمهد لك أي طريق تسلكين .!!

فشكرته الفتاة وبعد ذلك اختفي عنها..

وبقيت الفتاة فترة طويلة من الزمن سعيدة في عيشها في هذا البستان.. وبجوار هذا الشيخ الفلاح الذي يعطف عليها وكأنها ابنته..

وفي ذات يوم عرضت للفتاة رغبة في مقابلة إحدى صديقاتها في البلدة.. فاستأذنت من الفلاح الشيخ.. في أن تزور بعض صديقاتها وتعود بعد الزيارة.. فأذن لها الشيخ.. ولبست ملابسها.. وأخذت العلبة الذهبية معها لأن بليبل الصياح أوصاها بأن تحافظ عليها.. وأن تأخذها معها إلى أي مكان

تريده.. لأنها لا تأمن أن يعترضها مشاكل في طريقها وأن تحتاج إلى العون في أي لحظة من لحظات حياتها..

ومشت الفتاة في طريقها إلى بيت صديقتها.. وبينما كانت الفتاة سائرة قابلتها فتاتان فسلمتا عليها واستوقفتاها.. وقالتا إننا فتاتان غريبتان في هذه البلاد وليس لنا أقارب ولا مأوى..

فقالت الفتاة إنني أرحب بكما في منزلي فتعالين معي.!! ومشت الفتاتان معها وعادت الفتاة أدراجها إلى البستان ولم تواصل سيرها إلى بيت صديقتها.. وإنما أجلت ذلك إلى فرصة أخرى..

وأرادت الفتاة فرشًا و طعاماً لضيفتيها فأخرجت العلبة.. وفتحتها وأخرجت منها المروحة وحركتها يميناً وشمالاً.. وفي مثل لمح البصر كان بلبيل الصياح يقف أمامها مستعداً لتلبية طلباتها.. وتحقيق رغباتها.. وأسرت الفتاة على بلبيل بما تريد.. فاختفى.. وفي مثل لمح البصر أيضاً عاد.. وقد أحضر جميع ما طلبت منه الفتاة.. فقامت بواجبها نحو ضيفتيها.. خير قيام.!!

ورأت الفتاتان ما حدث.. ودهشتا بما رأتا.. وسألن مضيفتهن عن أسرار ما شاهدتا فأخبرتهن عن حسن نيته بكل ما جرى وباحت لهن بسرها ثقة منها بحسن نواياهن..

إلا أن الفتاتين حسدتا مضيفتهما على ما أعطاها الله من نعمة.. بل من معجزة تسهل لها كل صعب وتوفر لها كل حاجة.. وتقيها كل عوز..

وفكرتا في سرقة هذه العلبة الذهبية ذات المروحة السحرية.. ولكن المضيفة كانت حريصة عليها بحيث أنها لا تفارقها ليلاً ولا نهاراً.. ولهذا فإن من الصعب عليهن أن يسرقن هذه العلبة.. وإذا كانت سرقتها غير ممكنة فإن الحسد يدفع إلى تكدير هذه النعمة على تلك الفتاة..

ونظرت الفتاتان إلى طريقة مجيء بلبيل الصياح إلى مضيفتهما وإلى طريقة خروجه.. فإذا هو يجيء إليها في شكل حمامة ويدخل من نافذة في جهة المشرق.. ويخرج من عندها من نافذة في جهة المغرب فكسرت الفتاتان زجاجة.. ثم أخذتا شظاياها.. وغرزتاها في النافذة التي يخرج منها بلبيل..

وانتهت مدة الضيافة ثلاثة أيام واستأذنت الفتاتان من مضيفتهما وذهبتا في حال سبيلهن وأرادت الفتاة الشريدة أمراً فأخرجت المروحة وحركتها وفي مثل لمح البصر حضر إليها بلبيل فألقت إليه أوامرها.. وطار ليخرج من النافذة المعتادة.. فاصطدم جسمه الطري الناعم بشظايا ذلك الزجاج الذي غرسته الفتاتان في طريقه..

فأصيب بلبيل بجروح بالغة.. ودخلت بعض الشظايا في بطنه.. فطار وهو مثخن بالجراح.. وواصل طيرانه حتى وصل إلي بيت أهله في جده فبقي فيه رهن العلاج..

ولم تدر الفتاة بما أصاب بلبيل إلا عندما عرضت لها حاجة فأخرجت المروحة وأدارتها عدة دورات فلم يحضر بلبيل ثم أعادت الكرة مرة أخرى.. ولكن بلبيل لم يحضر.. وداخلها

الشك في أمره وقالت في نفسها لعلي أغضبته فهجرني.. أو لعل عائقاً عرض له.. فيعود إلى بعد زوال العارض.!!

وبقيت الفتاة في حيرة شديدة من أمرها وجاء يوم ثان وحركت المروحة عدة مرات ولكن بلبيل لم يحضر فداخلتها الريبة أكثر من ذي قبل.. وقالت لا شك أن وراء انقطاعه عني سراً لابد من اكتشافه..

وهيأت الفتاة نفسها للسفر بحثاً عن بلبيل الصياح وعن سر انقطاعه عنها.. واستأذنت من الشيخ الفلاح وأخبرته بما عزمت عليه فأذن لها لأنه لا يملك أمر منعها ودعا لها بالتوفيق في مهمتها..

وسارت الفتاة على قدميها متجهة إلى الحجاز.. الموطن الذي جاء منه بلبيل.. مرافقة قوافل الحجاج وبينما كانوا في الطريق نزلت القافلة في واد فيه سدر وطلح.. ليرتاحوا وترتاح مطاياهم.. وترعى من أعشاب ذلك الوادي الخصيب.!!

واستلقت الفتاة في ظل إحدى الشجرات.. وسرحت أفكارها وهواجسها.. هل ستنجح في مهمتها أم ستبوء بالفشل.؟!

وبينما كانت كذلك.. وإذا بحمامتين في أعلى الشجرة تكلم إحداهما الأخرى.. وهذا طبعاً في عصور عريقة في القدم عندما كان كل شيء يتكلم من حيوان وجماد.. وتقول لها ان بلبيل الصياح قد اشتد به المرض وقد أعيا الأطباء شفاءه.. وحياته الآن في خطر..

فقالت لها الحمامة الثانية.. إن شفاءه قريب المنال.. ولكن الجهل بحقيقة المرض جعلهم لا يعرفون حقيقة الدواء.. فقالت لها زميلتها وما هو دواءه .؟!

فقالت لها زميلتها إنه لن يشفى حتى يصطادوا له حمامتين من صفتهما كذا وكذا ثم يشوونهن.. فيأكل واحدة منهن في الصباح.. والأخرى في المساء..

ووعت الفتاة تلك المحاورة الدائرة بين الحمامتين.. وواصلت سفرها مع القافلة حتى وصلت إلى مكة.. ثم واصلت سيرها حتى وصلت إلى جدة.. وبحثت عن منزل بليبل حتى عرفته ثم بحثت عن صياد ماهر فأغرته بالمال.. وطلبت منه أن يصطاد لها حمامتين ذكرت له صفتهما..

وذهب الصياد إلى أحد الشعاب الملتفة الأشجار.. واختار حمامتين تنطبق عليهما الأوصاف فاصطادهما..وعاد بهما إلى الفتاة.. فأخذتهن وشوتهن.. ثم أخذت واحدة منها.. وذهبت بها في الصباح.. ودقت الباب على أهل بليبل.. ففتح لها الباب.. فقالت لأهل البيت إنني طبيبة.. وقد علمت أن عندكم مريضاً قد أعيا الأطباء شفاءه.. وأنا أرغب أن أراه فلعل الله أن يجعل شفاءه على يدي .؟!

ففرح أهل بليبل بهذا الأمر..وسمحوا للفتاة بالدخول على بليبل..

وعندما دخلت عليه الغرفة وجدته متمدداً على سريره بين الحياة والموت.. ورأت آثار الأعياء والإنهاك بادية على أسارير وجهه الغض الطري.. ورفع بليبل طرفه إليها بمشقة.. فعرفها تمام المعرفة.. وفرح بها واستبشر وكانت هذه الفرحة هي أولى بوادر الشفاء..

ثم أعطته الحمامة المشوية التي كانت معها.. فأكلها وهو لا يكاد يسيغها.. ولكن الفتاة كانت تشجعه على أكلها وتدفعه إلى

ذلك لا على أساس أنها غذاء فحسب.. ولكن على أساس أنها دواء ناجح لشفاء مرضه..

وودعته الفتاة بعد أن أتى على الحمامة كلها.. على أن تعود إليه في المساء.. لا ستكمال العلاج..

وبدأت الحياة تدب في جسم بليبل.. وبدأ يشعر بالقوة والنشاط.. وقويت معنوياته.. وارتاحت نفسه من ذلك القلق الذي كان يساورها.!

وجاء المساء فجاءت الفتاة.. ومعها الحمامة الثانية فوجدت بليبل في حالة من الراحة والأمل مشجعة فأعطته الحمامة الثانية فأكلها هذه المرة بدون إكراه ولا تشجيع.. بل أكلها بشهية قوية.. وعندما انتهى بليبل من أكل الحمامة.. بدأ يشعر بحركة غير عادية في جسمه فقد بدأت شظايا الزجاج تخرج من جسمه.. وبدأت الجروح في الالتئام بسرعة مذهلة..

ونظر بليبل إلى جسمه بعد لحظات من تناول الحمامة الثانية.. فإذا هو سليم من كل أذى.. وإذا هو قد عاد إلى حالته الطبيعية التي كان عليها قبل أن يصطدم بالزجاج وقبل أن تدخل شظاياه في جسمه..

فحمد الله على العافية.. وقام إلى تلك الفتاة فقبل رأسها وشكرها على جهودها التي بذلتها في سبيل شفائه مما أصابه.!!

ثم قال بليبل للفتاة إنني أريد أن أربط حياتي بحياتك برباط مقدس. هو الزواج فما رأيك.؟-

فقالت الفتاة إنها توافق على هذا الأمر كل الموافقة..

فذهب بليبل بالفتاة إلى القاضي الشرعي ومعه شاهدان

فوكلت الفتاة القاضي على أن يتولى أمرها وأخبرته بموافقتها على الزواج من بليبل.. فعقد القاضي عقد النكاح بحضور الشهود.. وبعد تكامل الشروط.!!

وعاشت الفتاة مع بليبل في سبات ونبات ورزقا الكثير من البنين والبنات.. حتى فرق بينهما هادم اللذات ومفرق الجماعات..

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت.!!

قال ابن لعبون في الهجاء.!

دار بها الانـــذال تـــشرى بـــزايـــد
قـبـل اللوازم وابـن الأجـواد بـزهـيـد
دار بها مـــعـــنـــى قـــديـــم وعـــايـــد
رفـع الـوضـيع ووضـعـهـا للصـنـاديـد
ثـوب الحيـا مـا بين أهـلـهـا طـرايـد
مـشـايـة بـالـزور مـثـل الـطـواريـد
نـــاس إلى حـــدوك يـــم المـــســـاجـــد
فـاعـرف تـرى الخنشـل بهالـك مـلابـيد
نـــاس إلى مـــازحـــتـــهـــم بـــالجرايـــد
شـالـوا عـلـيك مـسـحـلات المـزانـيد
مـا بينهـم فـهـد الـزراجـات صـايـد
وفي ساعة تلقاه من عرض ما صيد

★ ★ ★

سالفة في الوفاء:

١٨-بين تاجر حجازي وتاجر مصري

جاء الأطفال إلى جدتهم وقالوا لها إننا نريد قصة واقعية تكونين تعرفين أبطالها.. أو يعرفهم من تعرفين.!!

فقالت الجدة حباً وكرامة إنني سوف أقص عليكم قصة وقعت حوادثها قريباً.. وقد حدثني بها من يعرف أبطالها..

فقال الأطفال نعم قصي علينا هذه السالفة.. فقالت الجدة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك التاجر في الحجاز.. الذي تلزمه بعض البضائع من مصر.. وقد سأل عن تجار مصر.. فعرف أحدهم وعرف عنوانه فكتب إليه بأن يبعث له بعض البضائع.!!

فبعث التاجر المصري بعض ما طلبه التاجر الحجازي.. لأنه كان متخوفاً منه لأول مرة.. ولا يعرف عن مركزه التجاري أي شيء.. ولهذا فقد تحفظ في مبدأ الأمر ريثما يجرب.. ويعرف الحقيقة..

ووصلت البضاعة إلى التاجر الحجازي فباعها بربح طيب.. وبعث قيمتها للتاجر المصري.. وطلب منه أن يرسل إليه بضائع

أكثر مما كان بعثه..

ووثق التاجر المصري بعض الثقة.. لا كلها لأنه لا يمكن أن يعرف زميله من صفقة واحدة.. وأرسل التاجر المصري بعض ما طلبه التاجر الحجازي..ووصلت البضاعة وباعها بثمن طيب.. وأرسل إلى مصر قيمتها.. واستمرت المعاملة بين التاجرين فترة طويلة من الزمن ازدادت فيها الثقة وعظمت الروابط.. وصار بين التاجرين ألفة ومحبة وتجاوب قل أن يحدث نظيره بين تاجرين غيرهما..

وجاءت سنة عزم فيها التاجر المصري على الحج فكتب لزميله برغبته هذه فرحب بها.. وشجعه عليها.. وقال له إنني أنتظر هذه الفرصة منذ زمن بعيد.. فتعال وحج بيت الله الحرام.. وسوف تكون ضيفي الخاص.. وسوف أكون مرشدك إلى مناسك الحج.. وإلى مواطن العبادة في بلاد الله المقدسة.!!

وعزم التاجر المصري على الحج وكتب إلى زميله في الحجاز بأنه قد عزم على الحج ..كما أعلمه بأنه يقبل ضيافته ويشرفه ان يكون زميله هو مرشده ومطوفه..

واستأجر التاجر الحجازي بيتاً جميلاً بجوار بيته وأثثه أفخر أثاث وأحسنه.. ورتب فيه طباخاً وخدماً ومونه بكل ما يحتاجه من مأكول ومشروب وسأل عن موعد وصول الباخرة التي سوف تقل زميله فأخبر به.. وعندما قرب موعد وصول الباخرة سافر إلى جدة.. وأعد الدواب اللازمة لنقل زميله من جدة إلى مكة.!!

ثم ذهب إلى ميناء جدة في انتظار وصول زميله التاجر المصري.. وعندما رست الباخرة.. بدأ الركاب ينزلون أفواجاً . وكان هبوط التاجر المصري مع آخر الركاب.. فاستقبله زميله أكرم استقبال وعرفه بنفسه.. وعرف كل من التاجرين زميله

الذي أحبه ووثق به.. ونال إعجابه .!!

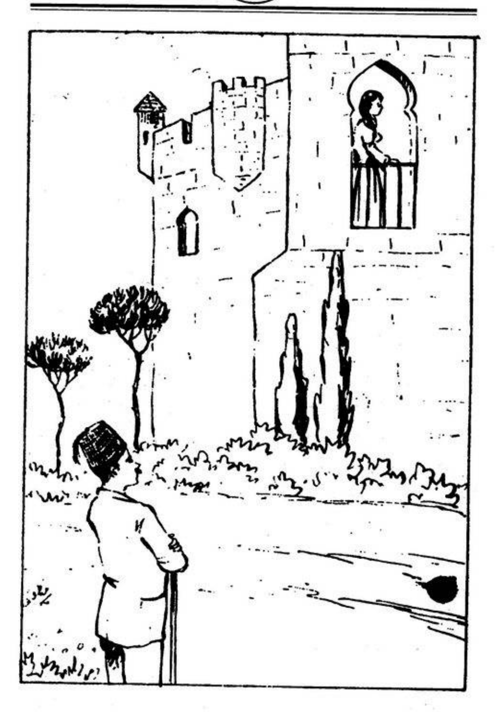
وواصل التاجران سفرهما إلى مكة.. وأنزلت الأحمال ولوازم التاجر المصري في منزله الذي استأجر من أجله واستراح قليلاً في منزله الجديد حيث قدمت له أكواب القهوة والشاي.. ثم ذهب إلى الحرم الشريف الذي لا يبعد عن منزله كثيراً وأكمل مناسك عمرته ثم عاد إلى بيته ولبس ملابسه المعتاده وكان زميله التاجر الحجازي ملازماً له.. وهو دليله ومطوفه ومرشده إلى كل ما لا يعرفه من أمور الحج أو العمرة .!!

وقدمت للضيف بعد أن استراح مائدة عامرة بكل شهي ولذيذ من أنواع الأطعمة..

وبعد أن تناول التاجر الحجازي الطعام والقهوة والشاي مع ضيفه العزيز ودعه وذهب وتركه ليرتاح قليلاً بعد مشاق السفر الطويل..

وعاد التاجر الحجازي إلى زميله المصري بعد بضع ساعات حيث وجد ضيفه قد نام ثم استيقظ ولبس واستعد للخروج إلى الحرم.. فخرج معه حيث طاف بالبيت الحرام.. ثم صلى ركعتين خلف المقام ثم جلس أمام الكعبة يشاهدها.. ويشاهد الطائفين بها.. وينصت إلى تلك الأصوات المختلفة التي تشكل دوياً كأنه أصوات النحل .!!

وبعد مضي مدة من الزمن لاحظ التاجر الحجازي أن حالة ضيفه المصري تنقص.. وأن صحته تتدهور يوماً بعد يوم .!! إلا أن التاجر المصري لا يشكو ولا يتألم..ولذلك فقد سكت التاجر الحجازي ولم يسأل زميله عن أسباب ما به .!! إلا أن صحة التاجر المصري تدهورت بشكل ملحوظ لا يصح السكوت عليه.. واضطر التاجر الحجازي إلى سؤال ضيفه عن سبب تدهور صحته.. إلا أن التاجر المصري حاول أن يكتم عن زميله أسباب ما به .!!



التاجر المصري يرى ابنة عم التاجر الحجازي وخطيبته.. فيتعلق قلبه بها.. من حيث لا يعرف صلتها بزميله الحجازي.!

ولكن التاجر الحجازي ألح على زميله.. وقال له إن المرض كالنار إذا لم تطفئها في أول أمرها استفحل شأنها.. وعظم ضررها.. وقد تصل إلى درجة من الخطورة تأتي فيها على الأخضر واليابس..

وأمام إلحاح التاجر الحجازي وإصراره على أن يخبره بالسبب فإن كان مرضاً عالجه .. وإن كان لأمر من الأمور الأخرى حاول أن يخفف من أضراره بأكبر قدر مستطاع..

توقف التاجر المصري عن الإدلاء بأي معلومات وكرر التاجر على زميله المريض إلحاحه وإصراره على معرفة جلية الأمر.. وعندما لم يجد التاجر المريض مفراً.. أخبر زميله بأنه بينما كان يمشي في بعض الشوارع في أحد أحياء مكة رفع بصره صدفة.. فرأى من إحدى النوافذ فتاة جميلة سحرته بجمالها.. وأسرت قلبه بريعان شبابها .!!

ويقول التاجر المصري إنني غضضت بصري.. ولكن بعد فوات الأوان.. وصرت بعد تلك النظرة لا أكاد أفكر إلا في هذه الفتاة.. فالتفكير فيها هو شغلي الشاغل في ليلي ونهاري .!! ولاشك أن تدهور صحتي.. وسوء حالتي ناشىء بأسباب تلك النظرة العابرة التي لم أردها.. ولم أعمل لها حساباً.!!

وفرح التاجر الحجاري بإيضاح زميله عن أسباب ما به.. وما دام الأمر حب امرأة فإن الأمر سهل.. وسوف يدركها لزميله مهما غلا الثمن.. فهو علاوة على قدرته المالية لديه نفوذ كبير في مكة وبين رجالها.. بحيث أنه يستطيع أن ينال ما يريد بماله أو بجاهه .!!

وقال التاجر الحجازي لزميله بعد معرفة السبب.. وماذا

تريد أن أعمل .؟!

فقال التاجر المصري إنني أريد هذه الفتاة على سنة الله ورسوله وسوف أدفع في سبيلها الغالي والرخيص .!!

فقال التاجر الحجازي إن الأمر سوف يتيسر إن شاء الله تعالى وكن واثقاً ومطمئناً بأنني سوف أنالها لك مهما كان مقامها.. والشيء الذي أريده منك هو أن تريني المنزل الذي رأيت الفتاة فيه.. لأسأل عنه وعمن يسكنه.. ثم بعد ذلك أعمل الأسباب لجمع الأحباب .!!

وذهب التاجر المصري مع زميله الحجازي يمشون في أزقة مكة وحاراتها.. حتى وصلوا إلى أحد البيوت.. فأشار التاجر المصري إليه.. وقال إنني رأيت الفتاة من تلك النافذة وأشار إليها..

فقال التاجر الحجازي أمتأكد أنت من أن هذا هو البيت الذي رأيت فيه الفتاة .؟!

فقال التاجر المصري.. إنني متأكد تمام التأكد.. فإنني لا يمكن أن أنسى تلك الساعة التي رأيتها فيها.. ولا تلك المباني التي تجاور بيتها.. فضلاً عن أن أضل بيتها .!! وكان ذلك البيت الذي رأى فيه التاجر المصري تلك الفتاة هو البيت الذي تسكنه خطيبة التاجر الحجازي الجديدة وهي إبنة عمه التي خطبها عن هوى ومحبة..

فقال التاجر الحجازي لزميله لقد انحلت المشكلة فالبيت الذي تسكنه هذه الفتاة هو بيت شخص أستطيع أن آخذ منه ما أريد وأن أعطيه ما أريد دون اعتراض أي عقبة فاطمئن أيها الزميل الكريم وثق أن الأمور كلها سوف تنتهي إلى ما تحب.. وانصرف الآن بكل عواطفك وأفكارك إلى إكمال مناسك حجك

وأداء فريضة الله عليك على أحسن وجه وأكمله .!! وأنا في هذه الأثناء سوف أقوم بواجبي نحوك أيها الزميل العزيز وسوف أمهد السبيل وأذلل العقبات وأهيء كل ما يلزم لقرانك بتلك الفتاة التي أحببتها.؟!

واطمأن التاجر المصري إلى وعد زميله وهدأ باله.. وزالت عن فكره تلك الأفكار والوساوس التي كانت تشغله وتقلقه.. وتعكر عليه صفو حياته.!!

وذهب التاجر الحجازي إلى ابنة عمه وخطيبته وأخبرها بما حدث وقال لها إنه لا بد من فسخ خطبتها منه.. ولا بد من زواجها بزميله..

وبكت الفتاة وولولت.. ووقع هذا الخبر عليها كالصاعقة المحرقة المدمرة.. وأرادت أن تؤثر على ابن عمها وأن تصرفه عما أراده.. وأرادت أن تستثير نخوته.. وأن تستثير كوامن الحب في نفسه.!!

ولكنها لم تفلح في شيء من ذلك..

وقالت لابن عمها كيف تعطيني لشخص غريب لا يعرفني ولا أعرفه ثم إنه سوف يذهب بي إلى بلاد بعيدة وسوف أعاني آلام الغربة معه.. وسوف أصادف عادات وتقاليد قد لا أحسن مجاراتها فقال لها ابن عمها إنني أثق بحكمة زميلي التاجر وبرجاحة عقله. وبحسن تصرفه في جميع الأمور فإن طابت لك الإقامة في مصر فسوف تكونين سعيدة كل السعادة.. وان لم تطب لك فإنه سوف يرسلك إلينا معززة مكرمة.!!

وقبلت الفتاة هذا الأمر على الرغم منها.. ووطنت نفسها على الغربة.. وعلى معاشرة الغرباء.. وبدأت تستعد وتهيء

أمورها لهذا المستقبل المجهول الذي فرض عليها فرضاً !!

وأنهى التاجر المصري مناسك حجه.. كما أن التاجر الحجازي هيأ جميع ما تحتاجه حفلة الزفاف.. وطلب من التاجر المصري أن يعين ليلة الزفاف.. إلا أنه قال لزميله إنني أريد أن يكون دخولي بزوجتي في مصر فاعقدوا عقد النكاح هنا أما الدخول على زوجتي فإنني أريد أن يكون على طريقتنا في الزواج وعلى أساليبنا فيه.. وأريد أن أري زوجتي العزيزة قدرها وكرامتها بين أهلي وعشيرتي..

فعقد عقد النكاح.. وهيئت الفتاة للسفر.. وسارت القافلة حتى وصلت إلى مصر.. وأقام التاجر حفلة عظيمة وأفراحاً بهيجة.. ودعا كبار أهل البلد إلى تلك الأفراح والحفلات.. ودخل التاجر على زوجته في وسط مظاهر البهجة والفرح والحبور..

وعندما جاء الصباح.. قال الزوج لزوجته إن لنا يا أهل مصر عادة وهي أن نهدي للعروس صباح ليلة الزفاف هدية تتناسب مع مقامها وكرامتها وأنا أريد أن أقدم لك هذه الهدية إلا إنني أحب أن تكون على رغبتك.. فاطلبي مني يا زوجتي العزيزة ما تريدين.؟

فقالت الزوجة إنني أخشى أن لا تعطيني ما أطلب .؟
فأقسم لها زوجها بأن يعطيها ما تطلب مهما كان.. وعندما استوثقت منه بالوعود والعهود والأيمان.. قالت له إنني أريد أن تطلقني.. وأن تعيدني إلى زميلك التاجر الحجازي الذي هو ابن عمي وخطيبي .!!

وسمع التاجر المصري هذا الكلام بدهشة واستغراب وكان يخطر على باله كل شيء إلا أن تطلب منه زوجته هذا الطلب..

وأراد أن يماطلها وأن لا يحقق رغبتها وأن يتحلل من وعوده وعهوده.. ولكنه تذكر زميله الحجازي وما قابله به من إكرام وإعزاز وتقدير..

ثم من ناحية أخرى ماذا يريد بامرأة تريد غيره.. وتهوى سواه.. إنه لو أبقاها على رغمها فسوف تجعل من حياته جحيماً.. ومن سعادته شقاء.. ومن راحة باله كدراً ونكداً متواصلاً..

وقال الرجل لزوجته استعدي للسفر إلى الحجاز واستعدت المرأة.. وجهزها الرجل وأعطاها كل ما تحتاج إليه وأكثر مما تحتاج إليه.. وكتب ورقة طلاقها.. وسلمها إليها.. وسافرت متجهة إلى الحجاز.!!

وعندما وصلت.. كان وصولها مفاجأة لأسرتها.. ولا سيما للتاجر الذي هو ابن عمها وخطيبها السابق.. وكان أكثر من تأثر بسبب قدومها ابن عمها الذي سألها عن جلية الأمر بلهفة وجزع.. فأخبرته ابنة عمه بكل ما جرى.. فلامها على عملها ولكنها اعتذرت إليه بأنها لا تطيب لها الغربة.. ولا يطيب لها العيش بين الغرباء.. وما دام زوجها المصري هو الذي بدأها وقال لها اطلبي أعز ما تريدين.. فقد أخبرته بأعز شيء.. تريده.!!

وعندما انتهت عدتها أعاد التاجر الحجازي الخطبة.. ثم تزوجها وعاش الحبيبان جنباً إلى جنب..

أما التاجر المصري فقد انكمش في معاملته مع التاجر الحجازي وصار لا يرسل إليه شيئاً وساد بين التاجرين جو من الوحشة والتوتر الخفي الذي لا يعلم كل منهما له سبباً واضحاً.. وكانت بلاد الحجاز في ذلك الزمن مسرحاً للحروب والفتن

والتقلبات السريعة.. والأحداث المفاجئة فيما بين الأتراك والأشراف.. وكان المرء يصبح غنياً ويمسي فقيرا في ذلك الجو الذي تسوده الفوضى والفتن والتقلبات .

وذهبت ثروة التاجر الحجازي كلها.. ولم يبق له من دنياه إلا ابنة عمه التي هي أعز شيء عليه وقد وفت له.. وكانت عضداً وعوناً في وقت الشدة..فكما شاركته في أيام الرخاء والغنى.. فقد صبرت معه في زمن الفقر والحاجة.. بل كانت هي التي حمت أعصابه من الانهيار.. وتفكيره من الدمار.!!

وعاش الزوجان صابرين متآلفين متعاونين.. قانعين بالعيش النزر القليل الذي تسمح به الظروف القاسية التي يعيشانها وقد يشاركهما فيها الكثير من الأسر الكريمة المجاورة لهما.. فصبرا على ما قدر عليهما صبر الكرام.!!

وفي يوم من الأيام قالت الزوجة لابن عمها عندما رأت ما هو فيه من الحاجة والعوز بعد العز والجاه.. قالت له لماذا لا تسافر إلى مصر وتزور صديقك التاجر المصري وتشرح له وضعك.. وتشكو إليه حالك فلعله يعطيك بعض المال الذي يحفظ لك كرامتك.. ويضمن لك لقمة العيش العزيزة.. وقد يكون فيما يعطيك نواة لاستعادة مركزك التجاري في البلد..

وتوقف التاجر الحجازي عن تنفيذ الفكرة.. مع أنه مقتنع بصوابها.. وبقي الزوجان على هذه الحالة فترة من الزمن ثم أعادت الزوجة على زوجها فكرة السفر إلى مصر ومقابلة التاجر المصري.!!

واقتنع التاجر الحجازي أخيرا بصواب فكرة زوجته في السفر فأعد عدته وسافر من مكة إلى جدة.. ومن جدة إلى

السويس..ومن السويس إلى القاهرة وعندما وصل إلى العاصمة المصرية سكن في أحد فنادقها المتواضعة ثم سأل عن زميله السابق فدل على منزله.. ودق الباب ففتح له الحارس وجاء ليدخل فمنعه الحارس.. وقال إنه لا بد من الاستئذان أولاً من سيدي فمن أنت وماذا تريد .؟! فأخبره أنه من الحجاز.. وأنه يريد السلام على التاجر ولا شيء غير السلام.!!

فأبلغ التاجر المصري بما قاله هذا الوافد الجديد فقال دعوه يدخل فلعل لديه أخبارا عن صديقنا التاجر الحجازي.. ودخل الوافد الجديد..وسلم على التاجر فلم يعرفه لأن السفر والفقر والحاجة كل ذلك قد غير من سحنته وحطم من شخصيته الشيء الكثير.. ولذلك فإن زميله لم يعرفه عندما سلم عليه.!!

وقال التاجر المصري للوافد هل تعلم شيئاً من أخبار صديقنا فلان ابن فلان وكيف حاله.؟!

وعندما هم التاجر الحجازي بالكلام خنقته العبرة.. ولم يستطيع أن يقول شيئا وتحدر الدمع من مقلتيه..

فعرف التاجر المصري أنه هو زميله القديم..وصديقه الحبيب فقام من مكانه وعانقه عناقاً حاراً.. ورحب به أجمل ترحيب وسأله عن زوجته المطلقة.. فقال إنها بخير.. وإنها كانت خطيبتي قبل أن تتزوجها أنت.. وقد كنت تركتها لك لما رأيت من هيامك بها وما أصابك بسببها.. وعندما عادت من مصر مطلقة تزوجت بها وهي لا تزال في ذمتي حتى الآن.!!

فتعجب التاجر المصري من ذلك الإيثار.. الذي قام به زميله من أجله..

وقال التاجر المصري لزميله القديم إننا سوف نعمل لك احتفالاً يليق بمقامك وكرامتك لدي .. وحتى نرد إليك بعض معروفك وإيثارك.. فاذهب الآن مع هذا الخادم إلى الحمام واغتسل والبس لباساً يليق بمكانتك.. واسترح ثلاثة أيام لتعود إليك راحتك ورواءك وبهجتك.. ثم يكون بعد ذلك الاحتفال بقدومك.!!

ومكث التاجر الغريب هذه المدة يرى من زميله السابق غاية الإكرام والعناية..

وأقيمت الحفلة الموعودة فكانت حفلة باهرة دعي إليها كبار التجار.. ووجهاء البلاد وأعيانها..

وفي موعد الحفل توافد التجار والكبار إلى دار ذلك الثري الشهير وعندما كانوا يفدون أرسالا كان التاجر المصري يعرف المدعوين واحداً واحداً بزميله الحجازي ويخبرهم أن الحفلة على شرفه... ويوضح لهم مكانته المرموقة في بلده وتجارته الواسعة.. ومعاملته النظيفة الشريفة.

وعندما تكامل الجمع أفاض التاجر المصري في المدح والثناء على التاجر الحجازي وتعداد فضائله ومزاياه.. الأخلاقية والتجارية.

فرحب التجار المصريون بزميلهم التاجر الحجازي.. وصاروا بعد هذه الحفلة يتسابقون لإقامة الحفلات لهذا الضيف الجديد.. الذي أخذوا عنه فكرة طيبة ورأوا فيه رمزاً للتجارة التي يمارسونها... والمواطن المقدسة التي يحبونها ويحنون إليها..

وعندما انتهى دور الإكرام والحفلات.. شرح التاجر الحجازي لزميله ما أصابه في تجارته من تقهقر واضمحلال.. وما يعيش فيه من ضائقة مالية خانقة..

فخفف عليه التاجر المصري المصاب.. وقال له إن الذي أعطاك تجارتك السابقة قادر على إعادتها إليك..

ثم دعا التاجر المصري أولاده وقال لهم هل تعرفون هذا وأشار إلى ضيفه الحجازي.. فسكتوا.. وانتظروا الجواب من والدهم الذي يجلونه.. ولا يسبقونه بقول.. ولا يسبقونه بعمل..

فقال التاجر المصري لأولاده.. إن هذا شريكي في تجارتي وجميع أموالي.. فقد جمعت ماله إلى مالي.. وصرت أبيع فيه وأشتري حتى بلغ ما بلغه الآن.. والآن أخبركم أن الرجل جاء ليأخذ نصيبه من هذا المال ليتصرف فيه كما يشاء.. وأنا أريد أن يأخذ حقه كاملاً غير منقوص.. سواء من الأموال الثابتة أو الأموال المنقولة..

ووافق الأولاد على رأي والدهم.. وأظهروا له أنهم سوف ينفذون أمره كما يحب.!!

وأحصيت الأموال وقدرت العقارات بأقيامها المعتدلة وعندما عرف نصف الثروة جمعه التاجر المصري.. واشترى به بضائع تروج في الحجاز.. ثم استأجر لنقل ذلك باخرة متجهة إلى جدة.. وتوجه التاجر الحجازي إلى وطنه ومعه تلك الثروة الطائلة التي تفوق تجارته السابقة عشرات المرات..

عاد الرجل إلى وطنه وإلى زوجته الوفية وعاش في ظل تلك التجارة الجديدة.. عيشة سعيدة.!! ويعلق الراوي على هذه القصة بقوله:

هذه قصة واقعية بلغني أن راويها قصها على جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود.. ثم بعد سماع القصة كاملة تساءل الحاضرون عن أيهما أكثر وفاء وإيثاراً.. هل هو التاجر الحجازي عندما آثر زميله بزوجته وابنة عمه.. أم التاجر المصري الذي

أعطى زميله نصف ثروته.؟!!

وقد بلغني أن جلالة المغفور له يميل إلى رجحان كفة التاجر الحجازي.. لأنه آثر زميله على نفسه بأحب الناس إليه وهي زوجته وابنة عمه.. والإيثار في مثل هذه الأمور لا يعدله أي إيثار مادي مهما بلغت قيمته وتعداده..

وقد ضحى كثير من العظماء بعروشهم ومراكزهم وثرواتهم في سبيل العاطفة والحب. ولم نر محباً ضحى بحبيبه في سبيل المادة.!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.

قال عبد الله بن سبيل يتغزل

قالوا تزوج كود تدله وتنساه

قلت آه لو خذت أربع ما نسيته

قالوا نشوفه عند هذا وهذاه

قلت آه ما عمره عقب كسر بيته

قالوا عليل ناقل داه برداه

قلت آه بأقرابي وروحي فديته

قالوا نشير ولا نفع ما حكيناه

قلت آه هراج النماميم عصيته

قالوا كثر شيبك وقلبك بعمياه

قلت آه لو قلبي غرير نهيته

يا ناس خلواكل سيل ومجراه

قلتوا كثير وقولكم ما لقيته

سالفـــــة :

١٩-سليمان بن داود مع الغراب

«رويت هذه السالفة عن شريط مسجل عند الدكتور عبد العزيز الخويطر لإحدى قريباته المسنات»

اجتمع الأطفال عند جدتهم فقالت لهم إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة سالفة لنبي من الأنبياء هو سليمان بن داود مع طائر من الطيور هو الغراب فقال الأطفال بصوت واحد نعم قصيها علينا فاعتدلت الجدة في جلستها وشرعت في سالفتها قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى نبي الله سليمان بن داود قد سخرت له الطير.!! وسخرت له كثير من من المخلوقات غيرها كما أنه عليه السلام يعرف منطقها.. ويخاطبها بلغاتها.. ويفهم إشاراتها.. وكانت الطير تجتمع عنده كل يوم عندما يجلس في مجلسه العام لتقدم له فروض الطاعة وتأتمر بأمره.. وتنتهي عما لا يريد وتظلله عن

حر الشمس إذا طار على بساطه.!!

وكان سليمان بن داود عليه السلام حاذقا بصيراً دقيق النظر كثير الفحص للأمور والبحث عما وراءها .!!

ولاحظ سليمان عليه السلام أن الغراب هو آخر من يحضر من الطير في الصباح.. كما أنه أول من يطير عند نهاية الجلسة في المساء.. وظن سليمان عليه السلام أن هذا العمل من الغراب ليس دائما فراقبه سليمان فوجد أن هذه قاعدة لم يشذ عنها الغراب في يوم من الأيام.. وعلم أن وراء هذا التصرف سراً.!!

وفي ذات يوم طلب سليمان بن داود الغراب وخلا به في مجلس خاص.. وأفضى إليه بتلك الملاحظة التي لا حظها عليه وهي أنه آخر الحاضرين وأول المنصرفين فما هو السبب في ذلك.. هل هو ضيق بهذه الجلسة.. ونفور منها.. أم كراهية لأحد من الحاضرين فيها.. أم نوع من العصيان والجفاء الذي يسلكه العاجزون.!!

وعندما انتهى كلام سليمان بن داود تكلم الغراب فقال إنني استميحك يانبي الله العفو.. وأعتذر إليك عن سوء تصرفي.. ولكنني أؤكد لك أن هذا التصرف ليس مبعثه كراهية لمجلسكم..ولا كراهية لأحد فيه وليس نوعاً من العصيان.!!

فأنا وآبائي وأجدادي لم يكن فينا واحد ممن عصى ولي أمره.. أوخرج من ربقة الجماعة.. ولكن لي والداً شيخاً كبيراً قد تساقط ريشه..وبقي في وكره لحمة لا يسترها شيء.. وأنا

من البر به أخشى عليه من جوارح الطير أن تأكله.. فأغطيه بجناحي.. وأبقى بجواره حتى تذهب جميع الطير.. فإذا ذهبت جئت إليك فإذا انتهت الجلسة كنت أول الطير انصرافاً.. خوفاً من أن يسبقني إلى والدي إحدى جوارح الطير أو يسبقني إليه عدو من الأعداء فيفتك بشيخ لا يستطيع الهرب..ولا يستطيع الدفاع عن نفسه .!!

فهذا يانبي الله هو السبب في تصرفي الذي يبدو شاذاً وقد يدل على شيء من الجفاء.. ومعاذ الله أن أسلك مسالك الجفاة أو الشاذين .!

وسر نبي الله سليمان بن داود عندما علم بالسبب وسأل الغراب عن عمر والده فقال إنه يبلغ من العمر ثلاثمائة من السنين .!!

وقال سليمان للغراب إحمل والدك إلينا لنسأله عن أغرب ما شاهده وما مر عليه في هذا العمر الطويل .!! وقال الغراب سمعاً وطاعة يا نبي الله .!!

وطار الغراب مسرعاً إلى مكان والده حتى وصل إليه متأخراً.. واستغرب الوالد من ولده هذا التأخر..فأخبره بالخبر.. وقال إن نبي الله سليمان قد طلب إحضارك عنده.! فقال الغراب الشيخ وماذا يريد مني سليمان إنني رمة هامدة لم يبق في من القوى إلا قوة لساني.. فسمعي ضعيف.! ونظري ضعيف.! وجسمي ضعيف .! وكل ما في ضعيف..ومنظري منظر بشع حيث أن جمال الطير بالريش وأنا ليس على جسدي إلا الزغب.!؟

وقال الغراب لوالده وما رأيك .؟! وقال الغراب الشيخ الأمر إليك.. فأنا أعتبر نفسي قد انتهيت من هذه الحياة فلا أخشى أحداً ولا أرجو أحداً..وليس أحب إلي من أن ألقى مصيري المحتوم .!! فليس في العيش بالنسبة إلي إلا الآلام والأمراض والوساوس النفسية . والأحلام والمزعجة .!!

هذا علاوة على أنني صرت عبئاً ثقيلاً عليك يا ولدي العزيز فقد شغلتك عن كثير من شئونك الخاصة.. وفرض عليك وجودي بهذه الحالة سلوكاً خاصاً بلا شك أنه قيد ثقيل يكبلك عن كثير مما تريد .!

وقال الغراب لشيخه لا عليك من هذه الأمور فتلك ديون نؤديها لمن سبقنا ويؤديها إلينا من لحقنا.. وإنني أرى تلبية الدعوة وسوف أحملك على ظهري في وكرك.. وسوف نصل دون أن يحدث لك أي تعب أو مشقة .!!

وعندما رأى الغراب الشيخ تصميم ولده على هذا الأمر وافق عليه.

وحمل الغراب والده على ظهره.. وطار به حتى وصل إلى نبي الله سليمان.. ونظر نبي الله إلى الغراب الشيخ فمسح جسده العاري بيده فاكتسى جسمه ريشا أسود لماعاً.. ثم نفخ في جسمه المهدم فعاد إليه شبابه.!!

ثم نظر إليه سليمان بن داود فرأى أن إحدى عينيه مفقودة.. وأنه لا ينظر إلا بعين واحدة..

فسأله نبي الله سليمان عن سبب فقدانها.. كما سأله عن

أغرب ما رأى وما سمع في عمره الطويل.!!

فقال الغراب إن أغرب ما مر علي في حياتي هو قصة فقداني لعيني هذه وأشار الغراب إلى عينه المفقودة.!! فقال سليمان بن داوود للغراب قص علينا هذه الحادثة.. فقال الغراب سمعاً وطاعة..

لقد كنت في أيام شبابي كثير الحركة.. كثير الأسفار والانتقال من بلد إلى بلد.. للبحث عن الرزق.. ولمعرفة ما حولي لاختيار أحسن الأمكنة وأخصبها .!!

وفي أثناء تجوالي مررت بمدينة عجيبة.. يعيش أهلها في خصب ورخاء..ويحيط بمدينتهم سور من حديد فوقه شرفات من ذهب وقد أعجبني منظر هذه المدينة التي لم أر لها مثيلاً في حياتي الطويلة على كثرة مارأيت من المدن .!!

وقد وقعت على سورها لأنظر إليها وإلى أهلها.. وبقيت ساعة من النهار مأخوذاً بروعة هذه المدينة وحسن تخطيطها وقوة بنائها .!! والرخاء العظيم الذي يعيش فيه أهلها.. وقد بصر بي أحد سكان المدينة وأنا فوق السور فلم أشعر بعد دقائق معدودات إلا بناقة تخرج من المدينة.. ثم تساق إلى أن قربت مني.. ثم ذبحت وأشير إلي بأن هذه ضيافتي .!! فنزلت من شرفات السور.. وصرت آكل من لحم هذه الناقة التي أضافتني إياها تلك المدينة بضعة أيام.. حتى أتيت عليها كلها وبعد ذلك واصلت أسفاري وتنقلاتي من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة.. وأنا لا آكل ولا أمل .!! لأنني كنت أعيش في عنفوان

شبابي وأجد لذة عظيمة في التنقل من بلد إلى بلد كما أنني أزداد بذلك خبرة وعلماً وسعة اطلاع.. إلا أنني في كل تجوالي لم أجد أحسن من تلك المدينة التي ضيفني أهلها بناقة كاملة.!!

وقد غبت عن هذه المدينة فترة طويلة من الزمن.. ثم تاقت نفسي إلى رؤيتها مرة ثانية.. فطرت حتى أتيت إلى هذه المدينة فحلقت عليها عدة مرات لأتمتع بمنظرها العجيب.. ثم وقعت على إحدى شرفات سورها التي انقلبت إلى شرفات من فضة وبقيت منتظراً لأرى هل لا يزال أهلها على ما كانوا عليه من كرم ورخاء.!

وبعد فترة وجيزة بصر بي أحد سكان المدينة فأخرج إلي كبشاً وذبحه خارج السور ثم أشار إلي بأن هذه ضيافتي.. فنزلت من فوق شرفات السور وصرت آكل من لحم ذلك الخروف عدة أيام حتى أكلته كله.. ثم غادرت المدينة مواصلاً تنقلاتي وتجوالي.!!

وغبت عن هذه المدينة إلى ما شاء الله ثم اشتقت إليها وإلى أهلها فعدت إليها بعد فترة طويلة من الزمن فرأيت أن أحوالها قد تقهقرت.. وأن ذلك الرخاء قد تقلص.. وأن تلك المدينة الحانة الرانة قد بدأت تخيم عليها سحب الكآبة والجدب والعوز.. وقد وقعت على إحدى شرفات السور التي انقلبت إلى حديد..

ومكثت فترة من الزمن حتى رآني أحد السكان فلم أشعر بعد فترة وجيزة إلا بدجاجة يخرج بها أحد السكان ثم يذبحها ويشير إلي بأن هذه ضيافتي ونزلت من فوق السور وأكلت تلك

الدجاجة في أول يوم ثم غادرت المدينة متنقلاً من بلد إلى بلد متفكراً في هذه الدنيا وتقلباتها .!!

وبقيت في تنقلاتي هذه إلى ما شاء الله ثم دعتني نفسي للعودة إلى تلك المدينة التي سورها من حديد.. وشرفاته من ذهب.. وعدت إليها.. وحلقت فوقها عدة مرات.. فرأيت أنها قد تقهقرت إلى الوراء بسرعة مذهلة.. وأن ذلك النعيم والرخاء الذي كانت تعيش فيه هذه المدينة قد تقلص.. وخلف بعده الفقر والعوز.!!

ووقعت على السور ناظراً مفكراً معتبراً.. وقلت في نفسي سبحان من يغير ولا يتغير.!! كيف انتقلت هذه المدينة وأهلها من ذلك الخصب والرخاء والسعادة والهناء إلى هذا الفقر المدقع الذي تبدو مظاهره على السكان في كل ركن.. وفي كل ميدان.!!

ويواصل الغراب كلامه ونبي الله سليمان منصت إليه.. متعجب من هذه المدينة وأهلها قال الغراب: وبينما أنا في زيارتي الأخيرة على إحدى شرفات السور.. وإذا بأحد السكان يسير في أحد الشوارع فيراني.. ثم يقرب مني قليلاً قليلاً... وفي مثل لمح البصر لم أشعر إلا بحجر ينطلق من يده فيصيب عيني.!! فيفقأها.. وكان يقصد قتلي ليأكلني ويطرد بلحمي ويلات الجوع التي يعانيها.!!

لقد كان هذا الحجر الذي أصاب عيني مفاجأة غريبة ما كانت تخطر على بالي.. فأنا من عادتي الخوف والحذر و افتراض أسوأ الفروض للنجاة من شرور البشر الا أنني كنت آمناً مطمئناً

من سكان هذه المدينة لأنني لم أعتد منهم إلا الكرم والفضل والإحسان.. ولم يسيء إلي أحد منهم في يوم من الأيام.!!

ثم إن هذا الرجل لم ينحن ليأخذ الحجر من الأرض أمامي....!! والذي يظهر أنه كان قد أعده في جيبه.. قبل أن يراني.. ولهذا فقد جاءني الحجر ممن لا أتوقع إنه يسيء إلي.. كما أنها لم تظهر إمارات الغدر من هذا الإنسان لآخذ حذري منه.!!

لهذا وقع المحذور وفقدت نصف نظري.. وطرت من فوق سور هذه المدينة.. وأنا لا اكاد أرى طريقي من شدة الألم.. وهول المفاجأة الغادرة.. التي جاءتني من حيث كنت تعودت الكرم.. ومن حيث كنت أنتظر الإحسان.!!

وغبت يا نبي الله عن هذه المدينة ردحاً من الدهر لا أعرف عدد سنينه.. ثم إني أحببت أن أعرف إلى أين انتهت بهذه المدينة حوادث الدهور.. وعرفت أن أمر هذه المدينة في إدبار.. منذ أن ذهب منها الأخيار.. ولم يبق فيها إلا الأشرار.!!

وكنت عازماً في هذه المرة أن آخذ حذري.. فإن المؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين كما أنه لا يؤخذ بعد النذر إلا هتيم . وحلقت فوق المدينة فلم أر لها أثراً.. وهبطت من عليائي حتى قربت من الأرض.. ولكنني لم أر تلك المدينة .!!

لقد اختفت تماماً..وتراكمت فوقها الرمال.. حتى لا يظهر فيها أي أثر يدل عليها.. فعجبت أشد العجب.. وجعلت أنتقل من رأس كثيب إلى رأس كثيب لعلي أرى ما يدل على

المدينة.. ولكني جازم ومتيقن أن المدينة تحت تلك الرمال.!

وعندما يئست من وجود آثار لهذه المدينة طرت منها وقد أوجست في نفسي خيفة ووحشه.. وخشيت ان يحيق بي ما حاق بهم من عقوبة وعذاب!!

وختم الشيخ الغراب حديثه هذا لنبي الله سليمان بأن قال إن هذه هي أغرب قصة جرت لي في حياتي.. وقال سليمان عليه السلام للغراب هل تعرف الآن أين موقع هذه المدينة.؟!

فقال الغراب نعم إنني أعرف موقعها كما أعرف هذا الشخص الذي حملني إليك وأشار إلى ولده !!

وطار سليمان بن داود على بساطه الذي تحمله الريح وطار الغراب وتبعه البساط الذي سار يطير بسرعة الغراب.!!

وعندما توسطوا في الصحراء رأوا الغراب يحط على أحد كثبان من الرمال عالية.. وهبط البساط على نفس الكثيب الذي وقع عليه الغراب.. وعليه نبي الله سليمان ومن حوله حاشيته وأركان مملكته.!!

وقال الغراب إن هذا هو موضع تلك المدينة! ونظر نبي الله إلى ذلك المكان وإذا هو كله رمال فوق رمال.. وليس هناك أي أثر لمدينة أو أثر لحياة أو أحياء.!!

وأراد نبي الله أن يتأكد أكثر فأكثر.. فأعاد السؤال مرة ثانية للغراب قائلاً : هل أنت واثق من نفسك بأن هذا هو مكان المدينة.؟! فقال الغراب إنني واثق تمام الثقة ورقبتي هذه

رهينة عندكم إذا كنت غير صادق فاقطعوها..!!

ونظر نبي الله سليمان إلى تلك الأرض فإذا هي رمال قد ركب بعضها بعضاً حتى صارت كهضبات الجبال.!! الأمر الذي يجعل المرء لا يصدق أن تحتها مدينة كانت آهلة بالسكان.!!

ودعا نبي الله سليمان الرياح الأربع فحضرت بين يديه وقال للجنوب إنني أريد أن تهبي على هذه الرمال فتزيحينها عن مكانها إلى مكان بعيد.. فاعتذرت ريح الجنوب لنبي الله بأنها ضعيفة.. ولن تستطيع أن تحمل هذه الرمال من مكانها إلى مكان آخر.!!

فقبل نبي الله عذرها لأنه يعلم ضعفها وخورها في كثير من الأوقات والمناسبات.!!

وقال نبي الله للشمال مثل ما قال للجنوب فقالت الشمال لنبي الله إنني قوية عاتية.! وأخشى أنني إذا انطلقت أن لا أبقي في هذه الأرض رملة فوق رملة أو حجراً فوق حجر.!!

وقبل نبي الله عذرها لأنه يعرف قوتها.. ويخشى أن تزيح الرمال ثم تهدم بقايا المدينة المطمورة إذا كان هناك مدينة تحت تلك الكثبان.!!

وقال نبي الله للريح الشرقية مثل ما قال لأختيها فاعتذرت لنبي الله بعذر لم يحفظه الراوي إلا أنه اقتنع به نبي الله سليمان.!!

ولم يبق الآن إلا الريح الغربية وقال لها نبي الله مثل ما قال

لأخوات لها من قبل فأبدت استعداداً تاماً بتنفيذ الأمر.. وسألها نبي الله عن المدة التي تستطيع فيها إتمام هذا العمل.. فقالت إنه أربع وعشرون ساعة.. !

واشترط نبي الله على الريح أن تنقل الرمال فقط أما المباني والحيطان.. فإنه يجب أن تحافظ عليها محافظة تامة وأن لا تزيل حجراً من فوق حجر.!!

فأبدت الريح استعداداً.. وكتبت بذلك تعهداً.. وشرعت في عملها .. وطار سليمان بن داود فوق بساطه هو وحاشيته ومعه الغراب الشيخ وابنه.!!

وعندما جاء الغد وقرب الموعد الذي حددته الريح الغربية للانتهاء من مهمتها طار سليمان بن داود فوق بساطه ومعه الحاشية التي حضرت عند بدء هذه العملية.. ومعه الغراب الشيخ وابنه..

وعندما هبط البساط بنبي الله سليمان وحاشيته وجد الريح قد انتهت من مهمتها .. ورأى مدينة كاملة تصفق أبوابها الرياح.. ورأى ذلك السور العتيد الذي عمل من الحديد لحماية المدينة.. إلا أنه لم يحمها من قدرة الله التي تقهر كل قوي.. وتذل كل جبار.!!

وتعجب نبي الله سليمان من هذه المدينة واتساعها وقوتها.. كما تعجبت حاشيته أكثر مما تعجب هو ونادى نبي الله في المدينة. هل فيها من أحد من الأحياء فلم يجبه أحد ثم نادى ثانية وثالثة.. وعندئذ أجابته حية بأنها موجودة في بئر من

الآبار التي كانت مردومة بالرمال.

وذهب سليمان بن داود إلى جهة الصوت حتى وقف على حافة البئر الذي تستقر في قعره الحية وسأل نبي الله هذه الحية عن هذه المدينة وكيف فني أهلها ودفنتها الرمال.؟!

فقالت يا نبى الله إنني أنا التي قتلت سكان هذه المدينة بأجمعهم.. وعندما مات السكان وصارت النباتات هشيماً تذروه الرياح انهالت الرمال شيئاً فشيئاً حتى غطت المدينة بأجمعها وجعلتها كثباناً من الرمال لا أثر للحياة فيها.!!

وقال نبي الله للحية .. وكيف أهلكت مدينة بأجمعها.؟! فقالت الحية لقد ذهبت إلى البئر الوحيدة التي يوجد فيها الماء العذب.. والتي يستقي منها أهل المدينة بأجمعهم.. فنزلت إلى قاعها.. وتمددت في غار من الغيران القريبة من الماء.. وصرت أشرب من هذا الماء حتى يمتلىء جوفي.. وأترك ما شربت حتى يمتزج بسمومي.. ثم أقذف ما شربت في الماء حتى يتسمم فأي شخص يشرب من هذا الماء يهلك حالاً.!!

بهذا قضيت على سكان هذه المدينة .!! وسألها نبي الله عن اسمهاوعن الدوافع التي دفعتها إلى العمل الإجرامي الخطير.. فقالت الحية اسمي لس وأنا لا أعرف دافعاً محدداً.. إلا أنني كنت مدفوعة إلى عملي هذا بحكم طبعي.. وبحكم شعوري نحو بني البشر في أنهم لو وجدوني لقتلوني.. وإذاً فإن من حقي إذا استطعت قتلهم أن أقتلهم.!! إنه أمر منطقي لا غبار عليه.!!

وعندما انتهت المناقشة إلى هذا الحد سكت نبي الله

وسكتت الحية .!!

ثم قال نبي الله للحية اخرجي من هذه البئر لأرى قدرة الله في خلقك.. وأجابت الحية بأنها تخشى البشر ولا تأمن من شرورهم.. وأنها مستعدة لامتثال الأمر ولكن على شرط أن يعطيها النبي عهداً وميثاقاً بأن لا يمسها أحد بسوء .!!

وأمّنها نبي الله سليمان وقال لها اخرجي بأمان الله وعلى حكم شرع الله .!!

وفهمت الحية من هذا الكلام أماناً مطلقاً.. وبدأت تخرج من البئر.. وصارت تنطوي في أرض فضاء حول تلك البئر.. واستمرت تخرج وتنطوي إلى أن كادت أن تملأ ذلك الفضاء..

وسئم نبي الله من طول الانتظار.. حتى يتكامل خروج الحية من البئر.. وسألها هل بقي من جسمك شيء كثير لا يزال في البئر.؟! فقالت الحية لسليمان عليه السلام.. إذا رأيتم الشامة الزرقاء التي في ظهري فاعلموا أنه قد خرج نصفي.. ونظر نبي الله وإذا الشامة الزرقاء لم تخرج بعد.. واستمرت الحية في الخروج والتكور.. ونبي الله ينتظر خروج الشامة الزرقاء بفارغ الصبر .!!

وبعد فترة من الوقت خرجت الشامة الزرقاء من البئر.. تكورت مع جسم الحية في ذلك الفضاء الواسع.. الذي يحيط بالبئر.!!

وعندئذ رفع نبي الله سليمان سيفه وضرب الحية ضربة شديدة على تلك الشامة الزرقاء.. التي هي منتصف جسم الحية.. وبهذه الضربة ماتت تلك الحية.!! وعجب أحد رجال الحاشية.. كيف يؤمنها نبي الله ثم يقتلها .؟!

وسأل ذلك الرجل نبي الله وقال له يا نبي الله كيف تؤمنها ثم تقتلها.؟!

فقال سليمان : أخرج العدو بأمان الله .!! ثم أقتله بشرع الله.!! وقد أعطيناها الأمان بموجب حكم الله.. وحكم الله أن القاتل يقتل وهي تستحق القتل بشخص واحد فكيف وقد قتلت أهل مدينة بأكملهم .!! فاقتنع ذلك الرجل وسكت .!!

وأمر نبي الله بأن يقطع رأس تلك الحية.. فقطع.. وأخذت أنيابها.. ونصبت أنياب لس على باب من أبواب تلك المدينة... وصار السكان يتوافدون لسكنى تلك المدينة بعد أن زال عنها الخطر وأعلن أن المدينة قد صارت آمنة مطمئنة.!!

وعادت المدينة على حالتها السابقة من عمران ورخاء واستقرار.. وعندما كثر السؤال والجواب عن هذا الناب.. فصار الغريب يسأل ما هذا فيقال له ناب لس.. والجاهل يسأل عنه فيقال له ناب لس فصار ناب لس المنصوب على بوابة هذه المدينة وقصتها هي حديث الغادي والرائح والقريب والبعيد ثم ما زال ناب لس يتكرر على الألسنة كلما جاء ذكر هذه المدينة.. حتى عقلت بها هذه الكلمة وصارت لا تعرف إلا بها أي «نابلس».!!

إلا ان الراوي لا يدري هل كان مسرح هذه الأحداث.. هو نابلس المدينة التي في فلسطين أم نابلس أخرى.. قد طواها الزمان.. في طوايا النسيان .!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت .!!

★ ★ ★

سالفـــــة :

٢٠- الأم التي فرقت بين ولدها وزوجته

«رويت أصل هذه السالفة عن الصديق العزيز الأستاذ عبد العزيز العبد الله التويجري وكتبتها بأسلوبي الخاص»

كان الطفل الذي اقترح على الجدة سالفة هذه الليلة قد سمعها من قبل.. ولكنه لم يتمكن من حفظهما ولذلك فقد طلب إعادتها..

فقالت الجدة حباً وكرامة وشرعت قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الأسرة المكونة من امرأة أرملة وابنها الشاب وابنتها الشابة.. أما رب الأسرة وعائلها فقد انتقل إلى رحمة الله وقام ابنه الشاب مقامه وتولى رئاسة الأسرة والقيام بشؤونها.!!

وأراد هذا الشاب أن يتزوج من أسرة يعرفها هو.. ويعرف الشابة التي سوف يتزوجها فخطبها من أهلها فأجابوه وزوجوه وكان استشار أمه وأخته بعد أن تم كل شيء فلم يسعهم إلا

الموافقة على هذا الزواج.. الذي تم بدون احتفالات.. ولا مظاهر ولا دعوات .!!

وانتقلت العروس إلى بيت زوجها وأسرته واستقبلتها الأسرة بسرور وترحاب.. وسارت الأمور سيراً طبيعياً.. فالأخت ترعى الغنم والزوجة تقوم بشؤون البيت.. والوالدة تساعد من يحتاج المساعدة من أعضاء الأسرة..

أما الزوج الشاب فإنه يسافر في بعض الأحيان.. ولكن سفراته غير طويلة كما أنه إذا كان مقيماً في أسرته لا يكاد يستقر في بيته فهو دائماً في القنص والصيد.. وكان سعيداً بزواجه كل السعادة.. وقد استولت زوجته على كل قلبه وكل عواطفه وكل اهتمامه.. وليس معنى هذا أنه قد أهمل والدته وأخته .!! كلا إنه يقوم بواجبه نحوهما خير قيام.. ولكن الوالدة والأخت تحسان إحساساً داخلياً بأن هذه الزوجة قد ملكت ابنهما وأخذت بمجامع قلبه .!!

وقد حز ذلك في نفس الأم.. وأقض مضجعها لأنها تحمل هم ابنتها التي لم يتقدم لخطبتها أحد.. وتحمل هم نفسها حيثما تأوي إلى فراشها وحيدة في سواد الليل.. كما أنها تحمل غيضاً وحسداً لهذه الزوجة.. زوجة ابنها التي تعيش بجانب زوجها في وئام لا نظير له.. وفي سعادة تظهر آثارها على صفحات وجوههم .!!

إنها تحب ابنها وتحب له الخير.. ولكنها تحسد هذه المرأة التي تشاركه في هذا الخير.. وحملها الغيظ والحسد على أن تفكر في طريقة تفرق بها بين هذه المرأة وولدها.. إن هذه الفرقة قد تؤذي ولدها.. ولكنها سوف تشفي غيضها.. وتطفيء لهيب الحسد الذي تحمله بين جنبيها.. وبدل الزوجة زوجة أخرى قد

يسمح ولدها بأن تتولى اختيارها .!!

وفي ساعة من ساعات تفكيرها في الكيد لولدها والتفريق بينه وبين زوجته أنبها ضميرها.. وقالت كيف أجني على ولدي بسبب نزوة عارضة وحسد كامن لزوجته.؟!

وتراجعت قليلاً عن فكرتها واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم وتركت الأمور تسير على طبيعتها.. ولكن نفسها الشريرة عاودت الإلحاح عليها في الكيد لولدها وزوجته.. واستسلمت الأم لهذه الرغبة العارمة التي لا سبيل إلى مقاومتها.. خلت الأم بابنتها ذات يوم.. وقالت لها.. إنك ترين كيف استولت هذه الزوجة على مشاعر ولدنا وحبه وحنانه.. حتى صرنا بالنسبة إليها على هامش حياة ولدنا واهتمامه .!!

فقالت الفتاة لأمها وماذا تريدين.. قالت إنني أريد أن أفرق بين هذه المرأة وبين ابني.. فقالت الفتاة وكيف .؟! فقالت الأم إن تدبير ذلك لدي إذا وافقت على الفكرة من حيث المبدأ.!!

وترددت الفتاة قليلاً.. وقالت لأمها كيف نفرق بينهما وأنت تعلمين مدى حب أخي لزوجته .؟! إننا إذا فرقنا بينهما فسوف نهدم حياته ونحطم نفسه وقد لا نستفيد منه بعد ذلك كما أنه قد لا يستفيد من نفسه .!!

فقالت الأم دعي عنك هذه الأفكار فقد استعرضتها كلها في نفسي فوجدت أنه لا خوف مما ذكرت.. بل إن الخير لنا أن نفرق بينه وبين زوجته..

فوافقت الفتاة وهي غير مقتنعة تماماً.. ورسمت الأم خطتها الجهنمية.. عندما سافر ولدها في إحدى سفراته.!!

قالت الأم لابنتها إذا سرحت بالغنم فخذي معك ملابس

أخيك كاملة..فإذا انتصف النهار فالبسيها وغطي وجهك ودعي الغنم في شعبة من الشعاب.. وتعالي إلى بيت زوجة أخيك وادخلي عليها وكأنك رجل غريب.. وإذا دخلت فإنها سوف تفزع وتخاف فاكشفي لها عن نفسك.. وأنهي هذه اللعبة بالضحك.!! وقولي لها لقد أردت أن أسليك.. وأريك أنه لا فرق بين الرجل والمرأة إذا لبست ملابس الرجال .!!

وهكذا وقع.. فقد جاءت الفتاة متنكرة في ثياب أخيها في الساعة التي اتفقا عليها.. وكانت العجوز في هذه الساعة عند أحد جيرانها.. ودخل الرجل على زوجة ولدها ولفتت العجوز نظر جيرانها إلى هذا الرجل الغريب الذي يدخل على زوجة ولدها في غيبته وغيبة الأم والأخت .!!

هذه هي اللبنة الأولى في بناء المكيدة.. وبعد يومين أو ثلاثة تكررت نفس اللعبة.. وكانت العجوز عند جيران أخر ولفتت أنظار الجيران إلى الرجل الغريب الذي دخل على زوجة ولدها في غياب الجميع .!!

ووضعت العجوز لبنة ثانية في سبيل تحطيم هذه الزوجية السعيدة.! وتكررت اللعبة مرة ثالثة.. ولفتت أنظار جيران أخر إليها..

وجاء الشاب من سفرته وخلت به والدته منذ أن قدم وأخبرته بما جرى.. وقالت إنها لم تستطع أن تعمل شيئاً خوفاً من أن تتعقد الأمور وتنكشف الحقائق.. وأنها تركت معالجة هذه المشكلة لابنها .!!

ثم أردفت قائلة إن في إمكانك يا ولدي أن تتريث وأن تتحقق وأن تسأل جير اننا آل فلان وآل فلان وآل فلان.. وأن لا تتصرف تجاه هذه المرأة إلا بعد تأكد وتفكير وترو.!!

ووقع هذا الخبر السيء موقعاً مؤلماً من نفس الزوج.. إنه يحب زوجته.. ويتفاني في هذا الحب فكيف تخونه وتغدر به وتدنس شرفه الذي هو عنده أثمن شيء في الحياة .؟!

وفكر الزوج في هذه المشكلة العويصة.. ولم يتسرع بأي تصرف تجاه زوجته.. وإنما ذهب إلى الجيران واحداً واحداً يسألهم هل رأوا حول بيته أحدا.. وأخبره الجيران بأنهم رأوا رجلا متنكرا يدخل بيته في ساعات من النهار.. وهم لا يعرفونه.. ولا يعرفون شيئاً عن مقصده ولا عن تصرفاته.!!

وسمع الزوج هذه الأخبار السيئة التي يريد بعضها بعضاً.. ويأخذ بعضها برقاب بعض .!!

وقال الرجل لزوجته بهدوء وسكينة استعدي يا زوجتي العزيزة للسفر معي لزيارة أهلك.. واستغربت الزوجة أمر زوجها هذا فهي لم تطلب منه زيارة أهلها وهذا أمر يخصها وحدها!! لو كان القصد الزيارة فقط.. وقالت في نفسها إن في الأمر شيئاً.. سوف تكشفه الأيام .!!

وجمعت المرأة ما تحتاج إليه في السفر.. وحملها زوجها وتوجه بها إلى جهة أهلها دون كلام أو عواطف أو مؤانسة.. إنها معاملة لم تعهدها منه منذ تزوجته فما عدا مما بدا .؟! ووصل الزوج بزوجته إلى أهلها كزوار.. وأكرمه أهل المرأة واحتفوا به حفاوة بالغة .!!

وبعد ثلاثة أيام شكرهم وودعهم وسافر على أن يعود إليهم عند إتمام رحلته.. هذه.!!

وسافر الرجل تاركا زوجته عند أهلها وعاد إلى أهله وجماعته.. ولكن قلبه ليس معه إنه عند تلك الزوجة التي تركها

عند أهلها..

وبقي الرجل شهراً ثم بعث خطاباً لأصهاره وبداخله ورقة الطلاق من زوجته.. واستقبلت الزوجة هذا الأمر بغرابة بالغة.. إنها تعرف أنه يحبها.. وهي كذلك تبادله هذا الحب فما الذي جرى.؟! وضبطت المرأة أعصابها وتلقت الضربة بصبر وهدوء.!!

ومضت شهور.. وتقدم إلى خطبة المرأة المطلقة رجل آخر. وزوجه أهلها منه.. وانتقلت المرأة مع زوجها الجديد إلى أهله وبلده.. ولم يزدها هذا الزواج إلا تعلقاً بزوجها الأول الذي هو أبو عذرتها.. ولكنه هو الذي زهد فيها.. وطلقها طائعاً مختاراً.. وما دام لا يريدها فهي لا تريده.. فالحب لكي يؤتي ثماره لا بد أن يكون متبادلاً بين الطرفين أما الحب من طرف واحد فهو عقيم.. ومصدر شقاء للطرفين.. إلا أن الذي يحمل النصيب الأوفر من هذا الشقاء هو الطرف الذي يحب .!!

أما الزوج المطلق فإن والدته بعد نجاحها في التفريق بين ولدها وبين زوجته التي اختارها هو قالت له إنني سوف أبحث لك عن زوجة هي أحسن من زوجتك الأولى وأكرم عنصرا.. وأسمى خلقاً ونكأت أمه جراحه بهذا الكلام وذكرته بزوجته المحبوبة الوفيه.. وشم من رائحة كلام أمه أنها لم تندم على هذا الطلاق.. وإنما هي فرحة مستبشرة.. ووافق الابن على كلام والدته..

ودخلت الأم على ابنها في أحد الايام وأخبرته أنها وجدت له امرأة عاقلة ذات حسب ونسب وجمال.. ووصفت له من خصال هذه المرأة الشيء الكثير.. ووافق الابن على الزواج بها.. وذهبت إلى أهل المرأة فخطبتها.. واستقبل الأهل هذه الخطبة بالقبول..وزفت العروس إلى زوجها.. وعاش الرجل مع زوجته

الجديدة.. ولكن حبه وعواطفه مع زوجته الأولى.. أما هذه الزوجة فليس بينه وبينها إلا مجاملات.. لا غيرها .!!

ورزق الرجل من زوجته عدة أولاد فثبت هؤلاء الأولاد من مركز أمهم.. وسارت الأمور بين الزوجين عادية ليس فيها أي حرارة من الحب .!!

وكبرت العجوز وعرفت الجناية المؤلمة التي ألحقتها بولدها وأنبها ضميرها.. على تصرفها تجاه ولدها وزوجته السابقة.. وصار ذنبها يلاحقها ليلاً ونهاراً.. ومرضت ذات يوم.. وخافت أن تموت وأحبت أن تخبر ولدها بحقيقة زوجته السابقة وأنها تقية طاهرة.. وأن ما وقع كله بتدبير منها ثم تطلب منه أن يسامحها ويبيحها ويحللها من هذه الإساءة التي ألحقتها به.!!

وبينما كان ولدها ذات يوم مستلقياً على ظهره ومعه ولده الصغير يداعبه ويناغيه.. ويرفعه في الهواء ثم يتلقفه قبل أن يسقط على الأرض.. بينما كان هذا الابن على هذه الحالة.. وإذا بوالدته تدخل عليه.. تجر رجلها جراً من ثقل المرض.. وقلة الجهد.. وجاءت العجوز حتى جلست بجانب ولدها .!!

فاعتدل الولد جالساً ورحب بوالدته.. وقالت له الوالدة سامحني يا ولدي.. قال لوالدته أسامحك على ماذا يا أماه .!! فقالت العجوز.. سامحني وسوف أقول لك على ماذا.!!

فقال الابن إنني أسامحك من كل قلبي عن أي إساءة صدرت منك إلي.. فقالت العجوز وسامح أختك.. فقال وقد سامحت أختي أيضاً.!

فقالت العجوز إنني أنا الذي احتلت في التفريق بينك وبين زوجتك السابقة.. فقد عملنا كذا وكذا وكذا .!! وقد اتهمنا

المرأة بما هي بريئة منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب .!!

فلم يكن من الرجل إلا أن رمى الولد الصغير من بين يديه وقام إلى راحلته.. ووضع عليها طعامه وشرابه.. ثم سافر إلى حيث لا يدرون.. وواصل السير.. وصار يسأل عن مضارب القبيلة التي تزوجت فيها زوجته السابقة وانتقل من حي إلى حي.. حتى وصل أخيراً إلى الحي الذي تزوجت فيه الحبيبة .!!

وسأل عن بيت زوجها.. حتى دلوه عليه..وسار على راحلته حتى وصل بالقرب من البيت فأناخ راحلته.. ورآه صاحب البيت فعلم أنه ضيف فجاء يسعى إليه مهللاً مرحباً.. وأدخله في بيته وصار يعمل القهوة والشاي.. وزوجته تعمل الطعام للضيف الذي لا تعرفه.. ولا تدري من أي قبيلة يكون.!

وكان هذا الضيف لا يريد طعاماً ولا شراباً وإنما يريد أن يملأ عينيه من زوجته السابقة لعل تلك النار المشتعلة في جوفه تنطفىء.! ولكن الحبيبة لم تظهر.. انه لم ير شخصها ولم يسمع صوتها.. وبقي منتظراً مترقباً.. ولكنه لم يحس للحبيبة بعين ولا أثر .!!

وقدم المضيف لضيفه القهوة فامتنع عن تناولها.. فقال المضيف في نفسه لعل ضيفي ممن يفضل الشاي على القهوة.. وجهز له الشاي وقدمه إليه.. ولكن الضيف امتنع عن تناوله.. وقال المضيف لعل ضيفي جائع.. فهو يريد أن يأكل قبل أن يتناول القهوة والشاي .!

وذهب المضيف إلى زوجته فوجدها تصنع الغداء.. فاستحثها على إنجازه بسرعة.. وقال لها إنني قدمت لضيفي القهوة فلم يشربها.. وقدمت له الشاي ولم يشربه فأسرعي بالأكل فلعل ضيفنا جائع يريد أن يطعم قبل أن يتناول القهوة والشاي.!!

وأسرعت المرأة في إعداد الطعام وقدمه المضيف لضيفه... ولكنه امتنع كذلك عن تناول الطعام.. ولم يمد يده إليه.. وقال له مضيفه لماذا لم تأكل ولم تشرب فقال الضيف إنني آسف لعدم تناولي شيئاً من طعامكم أو شرابكم.. ولا شك أن عملي هذا غير لائق.. ولكنني كما ترا مريض وأنا في طريقي إلى الطبيب.. ولا أرتاح إلا إلى الجوع والظمأ.. وقد جئت اليكم لأرتاح في الظل ولآنس بحديثكم.. وقد استقبلتني مشكوراً أكرم استقبال وأجمله.. ولم تقصر في شيء مما تتطلبه الضيافة.!!

كان الضيف يتكلم بهذا الكلام ويرفع صوته به لعل الزوجة تسمعه.. وتعرفه من لهجته.. ومن طريقة كلامه..

وفعلاً سمعت الزوجة صوته فعرفته.. ولكنها شكت في صدق تصورها.. وجاء زوجها بالطعام لم يؤكل منه شيء.. وأخبرها زوجها بأن ضيفهم لم يتناول طعاماً ولا شراباً لأنه مريض وهو في طريقه إلى الطبيب .!

وعندما انصرف الزوج من عند زوجته نظرت إلى هذا الضيف الغريب الطباع الشاذ التصرفات.. وعندما وقع نظرها عليه عرفته.. ولم تملك نفسها بل قامت مسرعة وهرولت حتى وصلت بالقرب منه ونظر إليها ونظرت إليه.. ثم رمت نفسها في حضنه ضمته إلى صدرها.. كما أنه ضمها إلى صدره.. وغشي عليهما وراحا في غيبوبة مطبقة .!!

ونظر الزوج إلى ما حدث أمام سمعه وبصره فبهت .. ولم يستطع من هول هذه المفاجأة أن يقوم بأي تصرف..وطال العناق وطالت الغيبوبة عن الوجود .. لهذين الشخصين المتعانقين.. وعاد إلى الزوج بعض عقله وتفكره.. وذهب إلى

غرفة من غرف البيت وأخذ منها سيفاً.. استله من قرابه .!!

ثم عاد إلى المتعانقين فو جدهما في غيبوبتهما.. فلم يرد أن يقتلهما وهما بهذه الحالة من الغيبوبة لأن قتلهما بهذه الحالة لن يكون فيه نكال وآلام وعذاب.. ولكنه سوف يتركهما حتى يفيقا.. ثم يذيقهما كأس المنية بعد أن يوسعهما شتيمة وتقريعاً وتوبيخاً .!!

وبقي الزوج ينتظر إفاقتهما وهو على أحر من الجمر.. ورشهما بالماء عدة مرات وأفاقت المرأة وأفاق الرجل.. ونظر الزوج إليهما نظرة غيض وغضب وغيرة .!! ولكنهما ردا على هذه النظرة بنظرة حياء وخجل وانكسار فزال عن الزوج بعض غضبه.. ولكنه لا يزال مصمماً على قتل هذه الزوجه الغادرة.. وهذا الضيف المعتدي .!!

وهم يتنفيذ الفكرة.. ولكنه قال في نفسه إن مصير هما في يدي عاجلاً.. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا أتسرع في قتلهما.؟! لماذا لا أسألهما عن الدوافع والأسباب لتصرفها المشين فعملهما هذا ليس فيه خيانة ولا غدر.. فالخيانة تكون من وراء الظهر.!! والغدر يكون في غفلات الدهر .!! أما عمل هذين الشخصين فهو لا من هذا ولا من ذلك.. وإنما هو شيء جديد وغريب.. ولا شك أن وراءه أسراراً لم تنكشف بعد .!!

فليضبط إذاً أعصابه حتى ينكشف المغطى وتظهر الأسرار.. فليس من المعقول أن يقوم بهذا التصرف الذي ينافي الشرع والعرف ولا يتلاءم مع الشهامة والأخلاق الكريمة.. ليس من المعقول أن يقوما بهذا العمل الذي هذه صفته إلا ووراءهما دوافع خفية سوف تظهر بالتأني والتروي وأخذ الأمور بالحكمة والصبر.!!

وسأل الزوج أول ما سأل زوجته عن أسباب تصرفها الشاذ فقالت الزوجة ببساطة وسذاجة.. إنه زوجي السابق وأنا أحبه وهو يحبني وقد تفر قنا وأنا لا أدري لماذا تفرقنا ولم أملك نفسي عندما رأيته.. فتصرفت هذا التصرف الشاذ أمامك من غير اختياري.!!

والآن لك أن تصنع بي ما تشاء.. وسأل الزوج ضيفه عن قصته مع هذه الزوجة فأخبره بخبر زواجه بها والحب الذي كان متبادلاً بينهما ثم أخبره بما صنعت أمه من أسباب التفريق بينهما وكيف ندمت في أخريات حياتها.. وأخبرته بأن زوجته بريئة نظيفة شريفة.. وكيف رمى بأحد أولاده الذي كان في حجره وركب راحلته وسار يبحث عن هذه الزوجة الحبيبة التي ظن فيها السوء وهي بريئة.. وطلقها وهي لا تستحق الطلاق.!!

وقال الرجل باستخذاء وخجل إن هذه قصتي مع زوجتك وهذه هي الأسباب لتصرفاتنا الشاذة أمامك فإن شئت أن تنتقم منا فمن حقك أن تنتقم.. وإن شئت أن تعفو وتصفح فمثلك من عفا وصفح.!!

وجعل الزوج يفكر في الأمر ويقلب الرأي على وجوهه والسيف في يده مسلول والضيف والزوجة أمامه ينتظر ان مصيرهما الذي هو معلق بما يستقر عليه رأي الزوج المضيف.!!

وانتظر الزوج فترة طويلة في تفكيره والضيف والزوجة أمامه لا يكادان يبديان حراكاً .!!

وهدأ الزوج المضيف وقال لهما وأساريره تبشر بالخير:- لقد عفوت عنكما.. وطلقتك بالثلاث إكراما لهذا الحب المتبادل بينكما.؟ فاذهب أيها الضيف العزيز إلى أهلك.. وسوف أذهب

أنا بزوجتي إلى أهلها..وبعد أن تنتهي الأيام المعلومات عد إلى زوجتك إذا شئت .!! وعش معها كما تشاء.!!

وشكر الضيف مضيفه على كرمه وعلى تسامحه.. وعلى إيثاره كما أن الزوجة شكرته على عفوه عنها.. واعتذرت منه عن سوء تصرفها.. وقالت له لقد عاملتنا بشهامة وكرم لا يمكن أن ننساه لك مدى الحياة.!!

وشد الضيف رحاله عائدا إلى أهله بعد أن أطفى غلته ونال مطلوبه..

وسار الزوج بزوجته حتى أوصلها إلى أهلها.. ورد الأمانة إلى ذويها.. وأخبرهم بأنه طلقها طلاقاً بائناً لا رجعة بعده.. وسألوه عن الأسباب فقال اطمئنوا فالطلاق ليس عن خيانة.. ولا عن شيء يخل بالشرف.. وإنما هو طلاق صدر مني في ساعة من ساعات غضبي .!

وليس لي الآن في الأمر حيلة.. كما أن زوجتي ليس لها ذنب.! وإذاً فإنه القضاء والقدر الذي يسير البشر فيما يختارون وفي ما لا يختارون .!!

وعاد الزوج المحب إلى أهل المرأة خاطباً بعد انقضاء الأيام المعدودات.. فرحبوا به وزوجوه.. وعادت الأمور إلى مجاريها .! وانتصر الحب في النهاية .!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت .!!

★ ★ ★

سالفـــة :

٢١- شامان وعمانان ومكية

قالت الجدة عندما اجتمع لديها الأطفال إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة قصة رجل كثير الأسفار متعدد الأطوار.. له في كل شيء وطر .!! وفي كل بلاد مستقر .!!

فاشتاق الأطفال إلى سماع هذه السالفة وقالوا بصوت واحد نعم قصيها علينا..

فقالت الجدة حباً وكرامة ثم اعتدلت في جلستها وشرعت في سرد سالفتها قائلة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجل التاجر.. الذي تجارته لا تعتمد على الإيراد والتصدير.. وإنما تعتمد على السفر.. من بلد إلى بلد.. ومن مملكة إلى مملكة.. فيشتري ما يعتقد أنه رابح وينقله من بلده إلى بلاد أخرى فيبيعه.. ثم يشتري بثمنه شيئاً آخر وينقله إلى بلد أخرى.. وهكذا دواليك لا ينتهي من بضاعة إلا اشترى بضاعة أخرى.. ولا ينتهي من سفر حتى يعتزم سفراً جديداً.!!

وعلى الرغم من هذه الأسفار المتواصلة فقد اضطرته ظروف عائليه إلى أن يتزوج من ابنة عمه.. وكان قليل الإقامة عندها لا يأتيها إلا لماماً.. ولا يستقر عندها إلا أياماً..

وأراد الله ذات مرة أن تحمل زوجته وهو عندها.. وأراد أن يستقر عند زوجته ليشهد أول مولود يولد له.. وليساعد زوجته فيما تحتاجه عند الولادة.. ولكن شهوة السفر والرغبة في جمع المال لم يتركاه ليستقر عند زوجته ولو مؤقتاً حتى تضع حملها..

وحاول الرجل أن يضغط على نفسه.. ولكن هيهات أن يستطيع والمهم أنه عزم على السفر إلى الشام.. وأعد العدة لهذا السفر.. ورأته زوجته يستعد.. وحاولت أن تثنيه عن عزمه.. وأن تقنعه بالبقاء بالقرب منها في حالة الحمل والولادة.. لأنها لا تدري ماذا ولا كيف الولادة .!! وليس عندها في البيت إلا أخته العانس التي لا يغني وجودها عن وجود زوجها..

فاعتذر من زوجته وقال لها حاولت أن أقنع نفسي من قبل بالعدول عن هذا السفر ولكنني فشلت.. والآن سوف أترك عندك كل ما تحتاجين إليه.. ثم أتركك تحت رعاية الله وتدبيره.!!

وبكت المرأة بكاءاً مراً.. واستعملت سلاحها المؤثر ورمت بأخر سهم في كنانتها.. ولكن ذلك لم يغير من تفكير زوجها أو يفل من عزمه..!!

ويئست المرأة فتركت الأقدار تجري في أعنتها وسافر زوجها إلى الشام بعد أن قال لها إذا رزقت مولودا ذكراً فسميه شامان.. وإذا رزقت مولودة أنثى فسميها شامية .!!

وغاب الرجل في سفره غياباً طويلاً.. وهو ينتقل من بلد

إلى بلد ويبيع بضاعة ليشتري بضاعة أخرى.. وقد رزقت زوجته بمولود ذكر سمته شامان.. وشب الطفل ونما نمواً طيباً.. ومشى على قدميه .. وصار يتكلم ببعض الكلمات فينطق بابا وماما فصيحتين.. أما بقية كلامه وتعابيره فهي إشارات وكلمات لا معنى لها إلا عنده.. وعند أمه التي تعرف تعابيره وإشاراته..

ولم تكتب الزوجة إلى زوجها خطاباً تبشره بالمولود الجديد لأنها لا تعرف له مكاناً معيناً.. ولهذا فقد بقي خبر المولود الجديد مجهولاً لدى والده .!!

غير أن أبا شامان أدرك بحاسته السادسة أنه رزق مولودا.. واتجه حدسه إلى أنه ذكر وانشغل فكره بهذه الأفكار والتقديرات والتخمينات .!! فاشتاق إلى زوجته.. واشتاق إلى وطنه.. وباع ما لديه من بضائع.. شيء برأس ماله وشيء بربح بسيط وشيء بخسارة بسيطة والمهم أنه تخلص من تلك البضائع التي كانت قد شلت حركته .!! وعاقته عن العودة إلى بلاده..

وبعد أن صفى بضاعته.. اشترى بضاعة جديدة مما يصلح لبلده ويستعمل فيها بكثرة..

وعاد الرجل إلى بلده وزوجته وأخته.. وعندما وصل وجد زوجته بصحة جيدة وأخته كذلك.. ووجد ولده شامان يملأ البيت ضجيجاً وصراخاً وجلبة.. وفرح كل فرد في هذه الأسرة الصغيرة بهذا الاجتماع فالزوجة فرحة بعودة زوجها والزوج فرح بلقاء زوجته.. والطفل أكثر الاثنين فرحاً فهو يتمتع بعطف والده وحمايته إذا غضبت عليه أمه.. ويتمتع بعطف والدته

وحمايتها إذا غضب عليه أبوه.. أما الأخت فلا تسأل عن فرحتها العظيمة .

وطاب المقام للزوج الكثير الأسفار بين أفراد أسرته وأعجبته الإقامة في ذلك الجو المليء بالبهجة والسعادة وراحة البال..

وطالت إقامة الرجل عند زوجته وأخته حتى ظنت الزوجة أن زوجها قد تغيرت أفكاره.. وعزم على ترك أسفاره والاستقرار بجانب أسرته .. وزوجته..

ولكن المرأة لم تشعر في يوم من الأيام إلا بزوجها يجهز أدوات السفر وسألته زوجته عن قصده فقال إنه سوف يسافر إلى عمان فأخبرته أنها تحمل في بطنها جنيناً وفي يدها طفل وأن ظروفها تغيرت.. وطلبت منه البقاء عندها.. حتى تضع حملها.. ولكن الرجل لم يصغ إلى كلامها.. واستمر في استعداده وتجهيز أموره.!!

وعندما تكاملت أدوات السفر قال لزوجته وأخته إنني سوف أسافر إلى عمان وسأتركك في رعاية الرحمن.. فإذا وضعت الحمل فإن كان أنثى فسميها عمانيه.. وإن كان ذكراً فسميه عمانان.!!

ثم سافر وترك زوجته وأخته وطفله الصغير تحت رحمة الأقدار بعد أن هيأهم جميعاً ما يحتاجونه في غيابه..

ووضعت المرأة حملها فإذا هو غلام بهي الطلعة أقنى الجبين.. ففرحت به والدته فرحاً شديداً وسمته عمانان نسبة

إلى عمان.. وهي نسبة غير صحيحة حسب القواعد العربية.. ولكن هكذا كان العوام ينسبون إلى عمان .!

وطالت سفرة الزوج وكبر عمانان.. حتى صار يمشي على قدميه ويخرج مع أخيه.. ويلعب مع الأطفال في أسواق القرية ورحابها..

وسار الزوج ببضاعته من بلد إلى بلد حتى باع واشترى وأشبع ذلك النهم الذي يملأ شغاف قلبه.. ثم عاد إلى وطنه وأسرته التي هي في أشد الحاجة إليه.. ولقي الرجل زوجته وأولاده.. وفرح بهم وفرحوا به.. وامتلأ قلبه حباً وحناناً لهذين الطفلين الذي رزقهما من زوجته الوفية المخلصة .!!

وصار هذان الطفلان هم شغل والدهما الشاغل فلا يخرج إلا بهما.. ولا يدخل المنزل إلا معهما.. ولا ينام إلا إذا ناما.. ولا يأكل إلا إذا أكلا.. والمهم أن الرجل صار لا يفارق طفليه إلا نادراً فإذا فارقهما عاد إليهما سريعاً.!!

وفرحت والدة الغلامين بهذه الظاهرة الجديدة.. وقالت في نفسها لعل حب طفليه يحول بينه وبين مواصلة الأسفار.. والمخاطرة في المهامة.. والقفار.!!

ولكن الزوجة المسكينة فوجئت في يوم من الأيام بأن زوجها يعد عدة السفر.. بعد فترة طويلة من الإقامة عندها حتى أنها لطول إقامته حسبته قد أزمع الإقامة عندها طول الأيام وقالت له زوجته كيف تسافر وتتركني وحدي ومعي طفلان يمشيان على الأرض.. وفي بطني جنين لا أدري ماذا يكون .!؟

وقال الرجل لزوجته إن الله لن يضيعك فقد أعانك في المرات السابقة وسوف يعينك في المرات اللاحقة.. وأنت تعرفين أن الأسفار والبيع والشراء هو مصدر رزقنا..والطريق إلى كسب لقمة العيش وما تتطلبه الحياة من لوازم وحاجات .!!

فقالت الزوجة : إن لدينا من الرزق ما يقوم بشؤوننا.. وفي استطاعتك أن تفتح حانوتاً في بلدك وأن تقنع بالرزق القليل.. فقليل هناك خير من كثير عناك..

وخجل الرجل من زوجته ولم يستطع أن يقنعها بصواب رأيه.. ولهذا فقد قال لها إنني قد عدلت عن عزمي وأزمعت الإقامة عندك حتى تضعي.. ففرحت الزوجة واستبشرت . وهدأ بالها وزان بلبالها..

ومكث الزوج عند زوجته وأخته ما شاء الله من وقت.. وحان موعد الحج.. ورأى الناس يسافرون إلى مكة زرافات ووحدانا.. واستيقظت عنده رغبة السفر.. وحاول أن يتغلب على هذه الرغبة فقد وعد زوجته بالإقامة عندها حتى تضع حملها.. ولكن الرجل لم يستطع أن يقاوم تلك الرغبة الجامحة .!!

وبدأ يستعد للسفر.. ورأته زوجته وسألته عما طرأ عليه.. فقال اعذريني فإنني سوف أسافر هذه المرة لا لجمع المال.. وإنما لعمل من أعمال الآخرة وأداء ركن من أركان الاسلام وهو الحج.. فأنا صحيح الجسم.. وقادر على الزاد والراحله.. والأرواح يغدى عليها ويراح.. ولهذا فقد صممت على السفر غداً أو بعد غد.. ولعلي أعود قبل أن تضعي حملك.!!

ولم تستطع الزوجة أن تقول شيئاً.. لأنها رأت عزم زوجها وتصميمه وعلمت أنها لن تستطيع أن تثني عزمه عما أراد .!!

وعندها تكاملت أدوات السفر ودع الرجل زوجته وأخته وطفليه وقال لزوجته إنني لا أدري بما تحكم علي به الظروف.. وأخشى أن تضعي الحمل في غيابي.. لأن ذلك محتمل فالمسافر لا يعرف ماذا يصادفه.. ولا ماذا يعترضه من عقبات.. فإن وضعت حملك قبل قدومي إليك فإن كان ذكرا فسميه مكياً.. وإن كان أنثى فسميها مكيه..

وسافر الرجل في إحدى القوافل.. ووصل إلى مكة وبقي فيها حتى أكمل حجه.. وتذكر زوجته وأولاده.. وما وعد به زوجته من سرعة العودة.. ولكنه قال في نفسه كيف أحج.. ولا أزور مسجد رسول الله.. وأسلم عليه وعلى صاحبيه أبي بكر و عمر .!!

وسافر الرجل إلى جدة ومنها إلى المدينة المنورة.. وعندما وصل المدينة طابت له الإقامة فيها.. وجعل يبيع ويشتري.. ويأخذ ويعطي.. ونسي أهله ونسي أولاده ونسي الوعود التي وعد بها زوجته..

وولدت الزوجة فكان المولود أنثى فسمتها مكية كما اقترح والدها.. الذي يريد أن يجعل من هذه التسمية ذكرى سعيدة لأدائه فريضة الحج..

وكبر الأولاد وكبرت أختهم.. ووالدهم في غيبته سادر في بيعه وشرائه.. وأخذه وعطائه..

وعاد الرجل إلى بلده وإلى زوجته وأولاده فوجد أولاده قد كبروا قليلاً.. ووجد ابنته تسعى على قدميها ووجد زوجته في كامل الصحة والصفاء.. وصمم الرجل على الإقامة بين أفراد أسرته.. وترك الأسفار والروحات والجيئات..

فلديه من المال ما يقوم بشؤون أسرته.. ولذلك فلا داعي لأن يعني نفسه.. ويرهق أعصابه.. ويحرم نفسه من الاجتماع بأسرته.. ويحرم أسرته من الاجتماع به..

على هذا الأمر عقد العزم.. ولكنه لا حظ في زوجته ملاحظة جديدة.. ورأى ظاهرة لم يعهدها فيها من قبل.!!

لقد رأى أنها منصرفة بكلياتها وجزئياتها إلى أولادها وأنها لا تمنحه من العناية والعواطف.. مثلما كانت تمنحه سابقاً.. وحز ذلك في نفس الزوج وآلمه أشد الألم.. ولكنه ضغط على أعصابه.. وصبر على ذلك الإهمال الذي لم يسبق أن لقيه من زوجته .!!

وقال لعلها حالة عارضة تزول بزوال أسبابها..وصبر الرجل.. وطال صبره ولكن المرأة لا تزداد في هذا إلا تعمقاً.. فقد كبر الأولاد وكثرت حاجاتهم وكثرت مطالبهم.. وصارت شؤونهم تستغرق جهود والدتهم كما أن حبهم قد ملأ شغاف قلبها وسيطر على عواطفها.. فلم يبق لديها فضل لأحد.. إلا أنها مع ذلك تحاول أن لا تتجاهل زوجها و تحاول أن تكون له حاضراً كما كانت له سابقاً.!!

ولكن محاولتها فشلت.. ولم تستطع أن تعطيه كل ما يهواه

ويرضيه ولاحظت أخت الزوج هذه الجفوة التي دبت بين أخيها وزوجته.. وكانت تحسدها على زواجها الموفق وعلى ما رزقها الله من أولاد يتمتعون بصحة جيدة ونشاط كما أنها تغار منها فقد استبدت بحب أخيها وسيطرت عليه وعلى البيت سيطرة تامة..!! فكلمتها هي النافذة ورأيها هو الصواب.. وما تعمله هو الحسن.!! بينما هذه الأخت تعيش عانساً في بيت أخيها لم يتقدم لخطبتها أحد..

فدفعتها هذه العوامل إلى أن تفكر في طريقة تكدر بها هذا الصفاء. وتنغص بها هذه النعمة..

وحاولت في أول الأمر أن تكافح هذه الأفكار الشريرة وأن لا تبيح لنفسها سلوك هذا الطريق الوعر الذي لا تدري ماذا تكون عواقبه.

ولكن الفكرة ألحت عليها وعاودتها مرة تلو مرة.. حتى طغت عليها أخيراً ودفعتها إلى أن تضع خاتمها في جانب الصحفه الذي تأكل منه زوجة أخيها.. وتناول الاثنتان الطعام مع الأطفال.. أما الرجل فكان يأكل وحده.!!

وعندما أكلت الزوجة من ذلك الطعام ابتلعت الخاتم فاعترض في خلقها فلم يدخل ولم يخرج.. وحاولوا إخراج هذا الخاتم بعدة طرق فلم يستطيعوا كما أنهم لم يعرفوا ما هو هذا الشيء الذي سد حلق المرأة.. ولا كيف دخل إلى حلقها.. وقد سبب لها وجود هذا الخاتم أن عجم على لسانها فلا تستطيع الكلام .!!

وحاول الزوج علاج زوجته عدة مرات ولكنه لم ينجح وبقيت هذه الزوجة المسكينة خرساء. لا يعرف ما تريد إلا عن طريق الإشارة .

وبدأت هذه الزوجة تنكمش.. وبدأت ترى صدود زوجها عنها.. فازداد حزنها.. وازداد ذبولها.. وازداد انكماشها.. وأخيرا أرسلها زوجها إلى أهلها هي وأولادها وبقي عنده في البيت أخته.. التي رأت أن حيلتها نجحت نجاحاً باهراً.. وأنها استطاعت أن تشفي غليلها.. وأن تنفس عن نفسها.. وأن تكدر تلك السعادة التي تنغص عليها معيشتها .!!

وكان ضميرها يستيقظ في بعض الأحيان فيؤنبها.. ويخوفها من العقوبة.. إلا أنها كانت تتغلب على هذه الأفكار.. ومرت أيام تتلوها أيام دون أن تصاب هذه الأخت بأي أذى.. وأمنت واطمأنت.. وأنشدت هذا البيت من الشعر العربي القديم:

إذا لم يغبر حائط في سقوطه فليس له بعد السقوط غبار

وبقيت هذه الأخت تسيطر على أخيها بعد هجران زوجته وتسيطر على البيت بمافيه..

وقلق الرجل من طول الوحدة.. واستشار أخته في الزواج وقد لاحظت الأخت قلق أخيها.. ولاحظت الفراغ الذي يعيش فيه بعد أن ذهبت زوجته.. فحبذت الزواج وهي لا تريده.. وأظهرت لأخيها أنها تبحث له عن زوجة.. ولكنها أملت أن لا تستولي الزوجة القادمة على مشاعر أخيها وعواطفه.. كما

استولت الزوجة السابقة.!!

ووصفت الأخت لأخيها عدة نساء فاختار منهن واحدة.. فخطبها إلى أهلها فرحبوا به وأجابوه إلى طلبه..

وتمت الاستعدادات لهذا الزواج.. وتقررت ليلة الزفاف..

وسرت الأخبار بالزواج إلى الزوجة القديمة المهجورة وإلى أولادها. فتألموا وحزنوا.. ولكن ماذا يفيدهم الحزن فقد انصرف الرجل كزوج وانصرف كأب عن زوجته وعن أولاده انصرافاً كلياً.. فلا عطف ولا حنان.. ولا تلطف ولا سؤال.!!

وحز ذلك في نفوس الجميع..

وخرج شامان وعمانان ومكية ذات يوم يلعبون مع لداتهم.. في شوارع المدينة.. وانشغل الأولاد عن أختهم فضاعت.. وبحثوا عنها فلم يجدوها وعادوا إلى أمهم وإلى أخوالهم فأخبروهم بضياع أختهم فبحثوا عنها في كل مكان فلم يجدوها.. واستمر البحث إلى الهزيع الأخير من الليل .. وأمها في غاية القلق والحزن على ابنتها.!!

وأخيراً تتبعوا خطواتها.. فوجدوا أنها خرجت إلى الصحراء لقضاء الحاجة.. ثم التبس عليها الطريق فاتجهت إلى الصحراء بدل أن تتجه إلى المدينة.. وضلت في مجاهلها.. وتتبعها أخوالها مع أثرها.. واستمروا في تتبعها.. حتى وجدوها آخر الليل نائمة تحت جذع شجرة. وقد أعياها التعب وأرهقها الجوع.. وامتلأت قدماها بالشوك والرضوض.!!

فحملوها على الأكتاف.. وعادوا بها إلى البلد فلم يصلوها إلا قرب طلوع الفجر.. وأرسلوا واحداً منهم لأمها يبشرها بوجود

ابنتها.. وعندما جاءها البشير.. لم تصدقه وإنما ظنت أنها لعبة يريدون بها تخفيف مصابها..

وقالت في نفسها كيف تنجو من وحوش الصحراء وهي طيلة الليل تسير وحيدة.؟!

ولكن أخوالها لم يلبثوا إلا يسيراً حتى وصلوا والفتاة معهم.. وقد ارتاحت على أكتافهم.. وزالت من نفسها بعض تلك المخاوف والمتاعب فكانت تبدو في حالة لا تدعو إلى القلق.!! وعندما رأتها والدتها.. وكانت لا تصدق أنها سوف تراها صرخت من الفرح صرخة عظيمة هزت كيانها ونفخت حنجرتها ودفعت بنفس قوي حار.. وخرجت تلك الصرخة من حنجرتها.. وأخرجت معها ذلك الخاتم الذي كان يسد حلقها.. ورمت به بعيداً .. وتكلمت المرأة بعد خروج ذلك الخاتم المشئوم.. وضمت إليها ابنتها.. وجعلت تقبلها وتبكي وهي تضمها إلى صدرها.!!

وحانت ليلة زواج الأب الهاجر لزوجته وأولاده فألبست الوالدة أولادها أحسن اللباس وأزهاه وأعطتهم الخاتم.. وأوصتهم بكلام يقولونه لوالدهم عندما يلتقون به ويلتقي بهم.. ورسمت الخطة كاملة .

وذهب الأخوة مع أختهم.. وعندما تكامل الجمع ورأى الأولاد والدهم في وسط المجتمعين.. تكلم شامان قائلاً:- يا عمانان.؟!

فأجابه عمانان من طرف البيت المقابل رافعاً صوته نعم يا شامان..

فقال شامان..:

يا أخي احفظ مكية عن الصبيان..

وسمع الوالد هذه الأسماء.. وسمع هذه الوصية وكأنه كان نائماً فصحى.. أو في غيبوبة فشفي منها فقد تذكر أولاده وتذكر زوجته.. فقام مسرعاً وبحث عنهم حتى وجدهم فقبل كل واحد منهم.. ثم سألهم عن أخبارهم فأخبروه أن والدتهم شفيت وأن الخاتم خرج من حلقها... وأنها تتكلم حاضراً كما كانت تتكلم سابقاً.. وأروه الخاتم الذي كان يسد حلقها فأخذه الأب ونظر إليه فإذا هو خاتم أخته.. الذي لم يشك فيه.. وعلم بأن جميع ما جرى من قطيعة وفراق كله بتدبير أخته.. وبأسبابها.. فلم يكن من الرجل إلا أن خرج من حفل الزواج وأخذ أولاده معه وذهب معهم حالاً إلى أمهم.. وسلم عليها واعتذر منها.. وأرسل إلى أهل العروس معتذراً.. وطالباً منهم تأجيل الزواج إلى أجل غير مسمى.. وعاد بزوجته القديمة وأولاده النجباء إلى بيته.!!!

وكانت أخته في البيت فساءتها تلك المفاجأة.!! ورأى أخوها مظاهر الكرة والعداء الذي تكنه لزوجته وفكر في طريقة ينتقم بها من هذه الأخت الشريرة التي كادت أن تحطم كيان أسرته.. وأن تفرق بينه وبين أولاده وزوجته..

واستعرض الرجل عدة أمور منه ما هو بالغ القسوة.. ومنها ما هو رفيق .. ولكنه في نفس الوقت كاف لتأديبها.. وكف مكرها وشرورها.!!

واختار الرجل أخف الوسائل.. وذلك بأن يستأجر لها بيتاً

وحدها.. وأن يوفر لها جميع ما تحتاجه.. وأن لا تراهم ولا يرونها إلا في مناسبات خاصة وبعد مواعيد متفق عليها.!!

وسارت حياة الأسرة طبيعية بعد هذا الإجراء الوقائي اللطيف.

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

وصف الدنيا لمحمد العبدالله القاضي

من جاد ساد ومن يشح بحلاله
ما أدرك مرام ولا صعد مصعد عال
والفقر هدّم من براسه صعاله
والجود من ما جوده ان ثار بعقال
ولا يفتخر من جاد عمه وخاله
هي بالهمم لا بالرمم مثل ما قال
ومن قلب الدنيا براي لحاله
أخطأ وأصاب وله دليل بالأقوال
كم خير ما نال فيها سواله
وكم ثور هور ساعفت له بالإقبال
وكم عاقل به حاذق رأس ماله
عقله وكم بهلول قوم جمع مال
السبع رزقه من جيفها ختاله
وجند ضعيف مرغد رزقه أشكال

★ ★ ★

سالفــــة:

٢٢- حميدان الشويعر مع ولده مانع

قال الأطفال لجدتهم قصي علينا سالفة حميدان الشويعر مع ولده مانع فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا شخص اسمه حميدان الشويعر.. وهو على اسمه شويعر بل شاعر فحل له قصائد في الحكم وفي التهكم وفي الهجاء.. وقل أن تسلم مدينة أو قرية من قرى نجد من قدحه أو مدحه.!!

كما أن أقرب الناس إليه لم يسلم من هجائه وتهكمه - فولده مانع قد ذاق من هجاء والده الأمرين.. كما أن زوجة مانع قال فيها حميدان الشويعر مالم يسبق أن قاله والد في زوجة ولده.. وحتى نفس الشاعر لم تكن بمنجاة من هجوه وتهكمه ولذعات لسانه.!!

وسالفة حميدان مع ولده هي أن ولده مانع كبر وتزوج وصار رجلاً يشار إليه بالبنان في مدينة القصب.!! وقد نشأت بين مانع وبعض لداته من كبار أهل البلد مشادة أدت إلى الخصام فالصدام.. وقد ضرب مانع ضربة مباشرة في يده سببت تشوهاً

مستديماً وجعلتها كمغرفة الطعام.. أما مانع فلم يترك في خصمه أي أثر يذكر كما أنه لم يحاول الانتقام وأخذ الثأر فيما أتى من الأيام بل جبن عن خصمه ونكل .. وتقبل الهزيمة مع ما فيها من عار وشنار.!!

وكان مانع يشعر بالذلة والمهانة من جراء جبنه ونكوله.! ولكن ماذا يصنع.؟! إنه لا يريد أن يخاطر بحياته.. فالحياة لديه غالية فهو شاب ولديه مصدر للرزق.. وقد اقترن بزوجة جميلة أخذت بمجامع قلبه.. ولذلك فهو من أجل هذه يجبن .. ويحسب حساباً دقيقاً لعواقب الأمور..

ولذلك تقبل الهزيمة على ما فيها من مرارة .. خوفاً من أن يتجرع أمر منها.!!

ولكن والد مانع الذي هو حميدان الشويعر لم يعجبه هذا الوضع.. ولم يكن راضياً عن مسلك ولده مانع.. بل هو يرى أن يأخذ الثأر من خصمه فيترك فيه أثراً سيئاً وتشويهاً باقياً.. إلا أن مانع لا يوافق والده على هذا الرأي ولا يجد حماساً لتنفيذه..

وعاش حميدان وولده مانع في بلدتهم القصب وشعور الذلة والصغار تخيم على رؤوسهم.. أما الولد فهو راض عن الوضع على علاته.. وأما الوالد فهو ساخط ثائر يتململ.. ويتحين الفرصة لإثارة ولده.. وإيقاد نار الحمية والأنفة في قلبه.!!

وسنحت الفرصة لحميدان الشويعر عندما جاءت إليه امرأة بدوية تسأله هل لديه مغرفة طعام يبيعها.؟! فقال حميدان إنه ليس عندي مغرفة ولكنني أرشدك إلى شخص لديه مغرفة نادرة يريد بيعها.. فقالت البدوية ومن هو وأين أجده.؟!

فقال حميدان أنه يوجد في المكان الفلاني .. واسمه مانع. وذهبت البدوية إلى المكان الذي ذكره حميدان فوجدت قوماً

مجتمعين فيه وسألت عن مانع.. فأشار إليه القوم.. فقالت المرأة هل أنت مانع فقال نعم.. فقالت المرأة هل لديك مغرفة للبيع.

مانع - نعم كان لدي مغرفة ولكنني بعتها منذ قليل فمن أخبرك بخبر هذه المغرفة.؟!

البدوية - لقد سألت شيخاً كبيراً عن مغرفة للبيع فأخبرني باسمك وبوجود المغرفة لديك.!!

مانع - لقد صدق ولكن امرأة سبقتك إلى شرائها.!!

وذهبت المرأة .. ولكن آثار سؤالها لمانع لم تذهب.!! فقد أبقى هذا السؤال في وسط القوم أثراً سيئاً لا يمحوه إلا أخذ الثأر.. مهما كلف ذلك من تضحية.. ومهما كان فيه من أخطار.!!

وذهب مانع إلى والده.. وقال له لقد أوقدت في قلبي ناراً لن يطفئها إلا الموت أو الانتقام من الخصوم.!! فاستعد أنت وأسرتي لمغادرة البلد.. فإنها لن تطيب لنا السكنى في بلدنا بعد المعركة التي سوف تكون بيني وبين خصومي.!!

واستعد حميدان الشويعر للرحيل من بلده.. وحدد مانع ليلة لنشوب المعركة.!! وخرج حميدان هو وابنته في طريقهم إلى الجلاء عن بلدتهم القصب ولكنه قبل أن يترك بلده إلى غير رجعة أحب أن يعرف نتائج المعركة .. وهل هي لصالح ولده أم ضده..

ولهذا فإن حميدان عندما جاءت ليلة المعركة صعد إلى ربوة مشرفة على البلد وهي في نفس الوقت بعيدة عنها.. وقال لابنته تطلعي.. إلى مكان المعركة.!! وجعلت ابنته تنظر إلى المكان الذي أشار إليه والدها.!!

أما مانع.. فإنه قد درس الوضع من جميع نواحيه.. وقدر جميع الاحتمالات المتوقعة وعرف أين يجد خصمه وما هو الوقت الأنسب للهجوم.. وتوجيه الضربة القاضية المباغتة.

وأقبل الليل.. وأقبل الراعي بأغنام أهل البلد.!! فاندس مانع بين تلك الأغنام.. بعد أن لبس فوق ظهره جلد خروف.. وصار يمشي مع الغنم على أربع.. بحيث أن أي ناظر لا يشك لو نظر إليه أنه أحد الخراف.. وتفرقت الأغنام على البيوت فكل فرقة تذهب إلى بيت أهلها.. وسار مانع مع الفرقة التي سوف تدخل في بيت خصمه.. وفتح الباب لتلك الفرقة فدخلت.. ودخل مانع معها.. ولم يلاحظ أحد من أهل البيت وجود ذلك الخروف الغريب..

وانحبكت الحيلة وقرب ميعاد أخذ الثأر .. واستعد مانع للدخول في المعركة بكل ما تطلب من احتمالات وملابسات ومفاجآت.!!

أما والد مانع حميدان وأخته فإنهما لا يزالان فوق ذلك التل ينتظران نشوب المعركة .. ويتطلعان إلى نتائجها بقلوب واجفة.!! ونفوس قلقة وانفعالات متنوعة.!! وكان حميدان كليل البصر لا يستطيع أن يرى مكان المعركة ولا الأمارات التي سوف تحدث فيها.!

ولهذا فقد قال لابنته يا بنيتي انظري إلى مكان المعركة فإنهم بعد وقوع الحادث سوف يوقدون ناراً.. فإن استمرت النار في الاشتعال فاعلمي أن الضربة غير قاتلة.. وأن الخصم أصيب ولكنه لم يمت.. وأن رأيت النار اشتعلت ثم خمدت.. فاعلمي أن الخصم قتيل.. وأن أهله أهملوا النار وانشغلوا بالبحث عن القاتل.!!

وجعلت الفتاة تنظر إلى مكان المعركة وتعاليم والدها نصب عينيها..

وبعد لحظات ثقيلة من المراقبة والانتظار.. رأت الفتاة النار قد أوقدت.. ثم انطفأت.. وأخبرت الفتاة والدها بما رأت ..

فقال انطلقي بنا للهرب فإن مانع أخذ بثأره.. بل أكثر من ثأره.!! فقد قتل خصمه..!!

وسار حميدان مع ابنته باحثاً عن بلدة يلجأ إليها وتجيره من خصومه الأقوياء الذين لن يتركوا الأخذ بثأر قتيلهم مهما طال الزمان.!

ولكن عدة من البلدان تعتذر من تحمل هذا العبء ولا تقبل لجوء الشويعر إليها.. لأنها تعرف ما يترتب على إيوائه وإعلان حمايته من حروب وويلات وفتن.!! فخصومه أقوياء.! وخصومه.! لا يقبلون الضيم.. وخصومه لابد أن يطاردوه وأن يحاولوا تحطيمه وتحطيم من يقوم بحمايته.!!

وتنقل حميدان الشويعر بين المدن والقرى باحثاً عن ملجأ ولكن الأبواب كانت تقفل في وجهه.. وأخيراً وصل به المطاف إلى بلدة وثيثية بلدة الشاعر العربي الفحل جرير بن الخطفي.. وطلب منهم السكنى في بلدهم وطلب منهم حمايته من أعدائه.. فتقبل أهل وثيثية لجوءه إليهم.. وأعلنوا حمايتهم له.!!

فاستقر حميدان وابنته بين أظهرهم ورضي عن أهل وثيثة كل الرضا ومدحهم بأبيات من الشعر الخالد الذي يعلن فيه مفاخرهم.. ويشيد بكريم أصلهم وطيب أرومتهم:- زينب لأولاد العزاعيز ديره.. لهم في ذرى عالي تميم فروع وطاب المقام للشاعر حميدان في وثيثية واطمأن باله في جوار العزاعيز..

ولكن الشاعر الحساس لا تهدأ مشاعره.. ولا يقبل لنفسه ولا لمن يحب أي ظلم أو جور أو إهانة.!! وقد لاحظ حميدان أن أهل ثرمداء أو على الأصح أمير ثرمداء قد أذل أهل وثيثية.. واستغل ضعفهم وتخاذلهم أسوأ استغلال.. حيث يأخذ من طيب ثمار نخيلهم ويأخذ أطايب اللحم من أية ذبيحة يذبحونها..

ورأى حميدان الشويعر هذا الوضع الذليل الحقير الذي لا

يرضاه لنفسه ولا يرضاه لمن يحب.. فحرض أهل وثيثة على التمرد على هذا الوضع والثورة عليه مهما كانت العواقب فالموت في الدفاع عن البلد وثمارها خير من قبول هذا الوضع الحقير الذليل الذي يعيشون فيه.!!

وقال الشاعر أبياتاً من الشعر ليثير بها نخوة القوم.. وليوقظ بها عزتهم.. للدفاع عن كرامتهم.. ومن هذا الشعر الأبيات التالية:-

ديـرة للعــزاعـيـز سـقـم الحريـب
عـلـهـا الله بـوسـم وصـيف قـفـاه

عـمـهـم يـا نـديـبـي بـسـلام جميع
عـدمـا هـل وبـل وهـبـت هـواه

قل لهم شوري اللي مضى من قديم
بـالهم يخلـفـونـه يجيـهـم قـضـاه

احـربـوا واضربـوا دون حـدب الجريـد
واذكـروا قـول حـاتـم ولاشٍ سـواه

مـن ذبـح دون مـالـه وحـالـه شـهـيـد
وان حـيـا بـالـسـعـادة ولـه كـبر جـاه

جـدكـم رحمة مـاكـر للطـيـور
لهس.. كـل حـلاوي نـمـاه

وأظـهـر الله عـيـالـه وسـبـب لهم
شـور عـود فـهـيـم قـلـيل خـطـاه

افطـمـوا مـن فـطـم ديـد مـن قبـلـكـم
فـطـمـة الـورع عـن ديـده اللي غـذاه

ولم تحرك هذه الأبيات الثائرة الملتهبة أي ساكن ولم تثر نخوة القوم.. بل استمروا في تخاذلهم وتخوفهم من عواقب الأمور.!!

إنهم يرغبون أن يتحرروا من ذلك الوضع المهين.. ولكن

تفكيرهم في العواقب.. وتخوفهم من أن يخطوا خطوة تجر عليهم وبالاً لا قبل لهم به.. جعلهم لا يفكرون في القيام بأي عمل ضد الوضع الذي يعيشون فيه.!!

ولم ييأس الشاعر حميدان من القوم.. فهناك طرق متعددة لإثارتهم..وتحريضهم على التحرر من تلك الضرائب التي تؤخذ منهم لا لأمر يعود بالمصلحة على الجميع.. ولكنه لمصلحة فريق والإضرار بفريق آخر..

وفكر الشاعر حميدان في وسيلة يثير بها القوم وهو واثق من نفسه كل الثقة.. فهو كما وجد وسيلة لإثارة ولده مانع للأخذ بثأره فسوف يجد وسيلة لإثارة أهل وثيثية لصد ذلك العدوان الصارخ الذي يعيشون فيه.!

وبعد تفكير طويل رأى الشاعر ببعد نظره حلاً للمشكلة.. وهو ليس حلاً سريعاً.. بل هو حل طويل الأمد.. يحتاج إلى صبر ويحتاج إلى تأن.. ويحتاج إلى إيجاد جيل جديد..

ولا مفر من هذا الرأي.. لأن الحل السريع متعذر.. إذاً فلا حل إلا هذا الحل الطويل الأمد.!!

وذهب الشاعر إلى أمير وثيثية.. وأشار عليه برأي وهو أن يتزوج زوجة من بيت أصيل كريم في بلدة أخرى غير وثيثية.. ورحب الأمير بهذه الفكرة وأعجب بها أيما إعجاب إلا أن الشاعر قال للأمير:- إن أهل الفتاة سوف يقولون لك إنها عرجاء.. وإنها عوراء.. فاقبلها كما هي.. ولا يحول بينك وبينهما أي عيب يذكره أهلها.!!

ووافق الأمير على رأي الشاعر حميدان.. وسافر إلى البلدة التي فيها الخطيبة .. مع وفد من كبار أهل البلد.. ووصل إلى الأسرة المقصودة.!! وحل هو وجماعته ضيفاً عليهم.. فرحب القوم بالأمير

وصحبه .. وأنزلوهم أكرم منزل.. وأعدوا لهم ضيافة كبيرة.!

وجاء موعد تقديم الطعام ودعي الضيوف لتناوله.. إلا أن الأمير قال لمضيفه.. الذي هو أبو الزوجة المقصودة.. إننا لن نتناول ضيافتكم حتى تعدني بأن تعطيني ما جئتك من أجله.!! فقال المضيف إنني أعدك بإعطائك ما جئت من أجله مهما كان..

وتناول الضيوف طعامهم.. وخلا الأمير بمضيفه.. وقال له لقد جئتك خاطباً.!!

فقال المضيف على الرحب والسعة.. إن طلبك مجاب ورغبتك محققة.. ولكنه ليس عندي زوجة تليق بمقامك .. إن لدي إبنة ولكنها عوراء.. عرجاء.!!

وأجاب الأمير بأنه يقبلها كما هي حتى ولو كان فيها من العيوب أكثر مما ذكر..

وتمت الخطبة وزفت العروس إلى زوجها في احتفال بسيط وانتهت أيام الضيافة.. وسافر الأمير وصحبه وزوجته محمولة في هودجها مع الركب..

وأنجبت الزوجة طفلها الأول.. ثم أتبعته بثان.. ونما الشابان وكبرا.. وصارت أمهما تعتني بهما أكبر عناية كما أن والدهما كان يعلق عليهما أكبر الآمال.!!

أما الشاعر حميدان الذي كان هو أساس هذا الزواج فإنه كان يراقب الشابين مراقبة دقيقة.. ويتتبع نموهما بكل حواسه وعواطفه.!

وبلغ المولود الأول الخامسة عشرة وبلغ الثاني الرابعة عشرة وكان من عادة أم الشابين أن تسرح شعورهما وأن تدهنهما بالطيب. وكبر الأمير الذي هو والد الشابين.. وترك شؤون الإمارة لولديه.

وذهب الشاعر حميدان إلى أم الشابين ذات يوم.. ومعه إناء مملوء بخثاء البقر.. فقدم لزوجة الأمير هذا الإناء فأخذته وهي في غاية الدهشة.. وسألته قائلة ما هذا يا حميدان.؟!

فقال لها الشاعر أن الأولى بأولادك أن تمشطي شعورهم بخثاء البقر.. لا بأنواع الطيب.. فقالت المرأة ولماذا.؟! فقال حميدان مستثيراً في المرأة عوامل الغضب والثورة.!! لما هم فيه من الذل والمهانة.؟! وذلك لكي تفضي بهذه الأفكار إلى أولادها.!!

وأخذت المرأة ذلك الوعاء وقد فهمت ما أراده حميدان.. وجاء الأولاد إلى أمهم على عادتهم فأرتهم ما في الإناء الذي جاء به حميدان.. وأخبرتهم بما قال.. وأوضحت لهم ما يرمي إليه.!!

فذهب الشابان إلى الشويعر وبحثا معه الأمر فأخبرهم بما يريد.. وطلبا منه رسم الخطة فرسمها لهم رسماً دقيقاً واضحاً.. وافق هوى في نفوس الشباب.. ووافق منهما اقتناعاً وتفهماً.!!

وصمم الشابان على تنفيذ الخطة التي رسمها حميدان بحذافيرها.. ووقت ميقاتها.!! وعملت جميع الإجراءات التي يجب أن تسبق المعركة وجاء يوم الجمعة الذي تذبح فيه الجزور.. ويرسل فيه أمير ثرمداء خادمه لأخذ أطايب لحمها.!!

وجاء الخادم على عادته.. ولكنه بدل أن يعطي لحماً قتل وقسم نصفين ووضع كل نصف في غرارة من الغرارتين اللتين على جانبي الحمار.. وقال أهل وثيثية لحميدان من يسوق الحمار حتى يوصله إلى ثرمداء.. وقال حميدان أنا أرسل ابنتي لتؤدي هذه المهمة.!!

وساقت الفتاة الحمار.. حتى قرب من بلدة ثرمداء.. ثم تركته يمشي فوق الجادة بعد أن ضربته بالعصا مرتين أو ثلاثاً.!! فراح الحمار يسعى في الطريق متجهاً إلى أهله.. بينما عادت الفتاة

أدراجها إلى وثيثيه.!!

ومشى الحمار في الطريق حتى وصل إلى قصر الأمير الذي ألفه.. وكان الأمير في انتظار وصول الخادم مع وصول أطايب لحم الجزور.. ولكن الحمار في هذه المرة وصل وليس معه خادم.. واستغرب الأمير من وصول الحمار بدون وصول الخادم.؟!

وأمر الأمير بأن يوضع اللحم من فوق ظهر الحمار.. وجاء الخدم فأنزلوا اللحم وأخرجوه من الغرارتين ..وعندما شاهدوا جثة صاحبهم مقسومة نصفين لم يملكوا أنفسهم فصرخوا بأعلى أصواتهم.. عدة صيحات مخيفة مرعبة.!!

وفزع الأمير وأسرع إلى مكان الصراخ.. ورأى مثل ما رأوا وكاد أن يصرخ مثلما صرخوا .. ولكنه تمالك نفسه.. وكانت الصدمة عنيفة ولكن الأمير قد تعود الصدمات.. وألف الأحداث.. وتمرس بها دهراً طويلاً.!! الأمر الذي أكسبه قوة وصلابة وجلداً لا يملك مثلها غيره.!!

وأمر الأمير حالاً بأن تقرع طبول الحرب.. وقرعت تلك الطبول في ميادين البلدة وتجمع الشباب حولها يرقصون رقصات الحرب.. أما الشيوخ فقد فزعوا إلى الأمير مذعورين ليسألوه عن جلية الأمر.. وعندما تكامل كبار أهل البلدة وشيوخها عند الأمير أخبرهم بما حدث وعلق عليه بأنه امتهان لكرامتهم.. وإذلال لعزتهم.. وإذا لم يأخذوا بالثأر حالاً.. ويعيدوا الأمور إلى ما كانت عليه فإن قرى كثيرة من القرى التابعة لهم سوف تثور عليهم.. وسوف تعمل مثلما عملت وثيثية.!!

وبهذا يتقلص سلطان ثرمداء وتذهب عزتهم.. وتداس كرامتهم بالأقدام.. وهذا طبعاً ليس في صالح ثرمداء ولا أهلها.. لا في الحاضر ولا في المستقبل..

واستمر الأمير فترة طويلة من الزمن.. وهو يشحن أفكار قومه بالثورة وإعلان الحرب حالاً على أهل وثيثيه.. واقتنع الجميع بأنه لا مناص من إعلان الحرب وجمع الصفوف والهجوم حالاً على أهل وثيثيه لتأديبهم لأن في ردعهم ردعاً لأمثالهم عن التفكير في مثل هذه الأمور.!!

وخرج شيوخ البلد وقادة الرأى فيه.. وذهب كل واحد منهم إلى بيته وتقلد سيفه.. وحمل سلاحه.. ثم توافد الكبار مع أميرهم إلى الميادين حيث يوجد الشباب يدورون حول الطبول ويرددون أناشيدهم الحماسية.. ورقصاتهم الحربية.!!

عندما رأى الشباب شيوخهم.. وهم شاكي السلاح ازداد حماسهم..وعلت أصواتهم بالأناشيد ونشطت حركاتهم في الرقص..

سار الأمير بالقوم خارجاً بهم من البلد.. ولما تكاملوا خارج المدينة خطب فيهم الأمير خطبة حماسية مثيرة.. وأخبرهم أنهم معتدى عليهم والمعتدى عليه معذور.. ومنصور بإذن الله.. فصار الشباب معجبين بكلام الأمير.. ومتلهفين إلى لقاء العدو المعتدي.!!

ورتب الأمير صفوف قومه.. وألقى إليهم بالتعليمات التي يجب على كل واحد منهم أن يهتم بتنفيذها.. أما ما كان من أهل وثيثية.. فإنهم كانوا قد عرفوا ما سوف يترتب على صنيعهم.. وحسبوا لكل شيء حساباً .. وعرفوا أن الهجوم سوف يكون سريعاً.. وصاعقاً..

ولذلك فإنهم لم يباغتوا بهذا الهجوم.. فقد كان الشابان قد أعدا للأمر عدته.. وجمعا صفوف أهل البلد.. وخرجوا للقاء عدوهم.. في المكان الذي يرونه مناسباً للجلاد والطراد.. والكر والفر.. والتحم الجمعان.. وتقابل الأقران.!! وتنادى الفرسان..وتقهقر أهل وثيثيه قليلاً عن مواقفهم لكثرة خصومهم

وتفوقهم عليهم بالعدد والعدة.. وأيقن أهل ثرمداء بالنصر لهم وبالهزيمة لأعدائهم.!!

وفي هذه الأثناء لم يشعر الجمعان إلا بقوة ثالثة تتدخل .. وتكون بجانب أهل وثيثيه.. وهذه القوة تتألف من كراديس من الخيل البلق.. التي يركبها قوم ملثمون.. لا يعرفون الخوف ولا ينازلون قرناً إلا أطاحوا به في ميدان القتال.!!

وانقلبت موازين القوى.. وتغيرت النتائج بحسب هذا التغير المفاجيء.. وبدأ المتقهقر يستعيد ثقته بنفسه ويستعيد مواقعه.. وبدأ المنتصر يتقهقر أمام هذه القوة الجديدة التي لم يحسبوا لها حساباً.!!

وانتهت المعركة بانتصار أهل وثيثية القرية الصغيرة.. على أهل ثرمداء البلدة الكبيرة.!!

وتحررت وثيثة من ربقة التبعية لثرمداء ولم يعد هناك ضرائب ولا استغلال ولا إذلال.!!

وبقي الناس بعد هذه المعركة الفاصلة يتساءلون عن أسباب انتصار أهل وثيثية .. وهزيمة أهل ثرمداء .. بينما كان الوضع الطبيعي أن ينتصر أهل ثرمداء.. وينهزم أهل وثيثية.؟!

ويتداول المواطنون تعليلين مشهورين.. أحدهما أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة والثاني أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال.!!

فأما التعليل الخيالي.. فهو يعتمد على أسطورة شعبية شهيرة.. ملخصها أن امرأة من أهل وثيثية كانت ذات يوم سائرة في جوانب نخل أهلها.. ومرت بعرين من الأثل فسمعت صياح طفل رضيع تحت جذع إحدى الأثلات.. فمالت إليه.. وعطفت عليه.. ورحمته وأرضعته وهي تعلم أنه أحد أولاد الجان.. وتكرر مرور هذه المرأة من ذلك الطريق.. وتكرر إرضاعها لذلك الجني.!!

وكبر ذلك الرضيع وبلغ مبلغ الرجال.. وأخبره أهله بفضل هذه المرأة عليه.. وعطفها وشفقتها.. وأنها أمه من الرضاع وأنه يجب عليه برها ورد الجميل إليها في أي وقت تحتاج فيه إلى عون.. أو تقع فيه تحت ظروف قاسية.!!

وتحين الشاب الجني الفرصة.. حتى وجد تلك المرأة فأخبرها أنه من الجان.. وأنه الجنين الذي أرضعته عدة مرات وأنه يعتبرها والدة له ثانية.. وعرض عليها خدماته وأنه مستعد لأي طلب تريده منه.. لأنه يشعر بأنها قلدته جميلاً وفضلاً لا بد من مقابلته بمثله.!

وتذكرت المرأة ذلك الرضيع الذي أرضعته عدة مرات وكانت المرأة ليست في حاجة إلى أي شيء في ذلك الوقت كما أنها لا تشعر بأي مضايقة من أي أمر من الأمور..

ولهذا فقد شكرته على شعوره الطيب وعرفانه للجميل وقالت له:-

إنني أدخرك .. وأعدك للأمور والشدائد الصعاب التي لا قبل لي بها.!!

وقال الشاب الجني لأمه من الرضاع إذا احتجت إلى في أي وقت فأتي إلى جذع الشجرة التي كنت تجدينني تحتها رضيعاً.. ونادي علي باسمي الذي هو «سحلول» وسوف أسمع صوتك مهما كنت بعيداً في مشارق الأرض أو مغاربها.. وسوف ألبي دعوتك حالاً.

فكررت المرأة شكرها لولدها الشاب الجني .. وذهبت في طريقها كما ذهب ابنها في طريقه..

وجاءت تلك الشدة التى ابتلي بها قومها.. فقد أقبلوا على معركة حاسمة هي بالنسبة لأهل بلدها معركة حياة أو موت..

ورأت المرأة أن خصوم قومها يفوقونهم عدداً وعدة.. وأنه لا قبل لهم بهذه الحرب التي كتب عليهم أن يخوضوا غمارها.!!

ونشبت المعركة.. وتقارع الأبطال.. المقاتلون في المقدمة.!! والأطفال والنساء من خلفهم يمدونهم بالسهام.. ويمدونهم بالشراب والطعام.. ويبذلون ما يستطيعونه من عون للمقاتلين.. وينتشلون الجرحى والقتلى من ميدان الحرب لئلا يداسوا بالأقدام.!!

ورأت والدة سحلول بوادر الهزيمة على قومها.. وبدأ الضغط يشتد شيئاً فشيئاً.. وبدأت نتائج المعركة تظهر واضحة جلية وأيقنت المرأة بالهزيمة على قومها.. وتذكرت في تلك الساعات الحرجة الحاسمة ولدها من الرضاع.. وما عرضه عليها من خدمات .. ومساعدات.. وهذا أوان النفع ووقت المساعدة والعون.. الذي سوف يعم نفعه.. وسوف ينقذ أهلها وقومها وعشيرتها.!!

وانطلقت المرأة مسرعة كالسهم قاصدة جذع تلك الأثلة التي أرضعت فيها ذلك الرضيع.. والذي سوف يسمع صوتها من تحت تلك الشجرة مهما كان بعيداً..

ووصلت المرأة إلى جذع تلك الشجرة وخلعت خمارها «شيلتها» ومزقتها إرباً إرباً.. وجعلت تجرها على الأرض وتصيح بأعلى صوتها بهذه الكلمات:-

ولدي سحلول.. الفزع الفزع.. العون العون.! فإنني لم أرضعك ولم أعطف عليك إلا منتظرة رد الجميل في هذه الظروف وأمثالها.!!

وسمع سحلول صوت أمه.. وكان في مكان بعيد.!! ولكنه لا شيء بعيد على الجن.. فقد حضر في مثل لمح البصر ورأى

حالة أمه.. وما هي فيه من خوف وفزع..وسألها سحلول عما بها.؟! فقالت له إن قومي في خطر وهم الآن يحاربون في معركة خاسرة.. وقد رأيت بوادر الهزيمة عليهم لأن خصومهم أكثر منهم رجالاً وأقوى منهم نبالاً.!!

وأثارت تلك الحالة السيئة للمرأة بوادر الحمية والغضب في نفس «سحلول» ورأى أن هذه هي الفرصة الوحيدة التي يمكن أن يرد فيها بعض الجميل لهذه المرأة التي عطفت عليه وأرضعته لبنها..وغمرته بحنانها.!!

وقال سحلول لأمه اذهبي إلى قومك سريعاً وسوف تجدينني قد سبقتك أنا وقومي إلى ميدان المعركة.. وسوف ترين ما نصنع بالأعداء!!

وعادت المرأة إلى ميدان المعركة وهي واثقة كل الثقة بأن ابنها وقومه سوف يشتركون في هذه المعركة بجانب قومها وعشيرتها.. كما أنها واثقة كل الثقة بأن اشتراكهم في هذه الحرب سوف يقلب موازين القوى.. ويجعل المغلوب غالباً والغالب مغلوباً.!!

هذا ما كان من المرأة . أما ما كان من سحلول.. فإنه ذهب سريعاً ولبس لباس الحرب وامتطى صهوة جواده.. ثم ذهب إلى قومه وهو في أهبة الحرب.. ودعاهم إلى مشاركته وإلى عونه في حرب أعداء أمه.. وكان قومه كما قال الشاعر العربي القديم:-

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم
طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

وفي أسرع من لمح البصر كان قومه قد تقلدوا أسلحتهم وركبوا

خيولهم وجاءوا إلى صاحبهم مسرعين..وطار بهم سحلول إلى ميدان المعركة.. وجال الفرسان الجدد في الميدان عدة جولات.. فظهر الخلل في صفوف الأعداء .. وبدأوا يتقهقرون إلى الوراء.. فقد رأوا قوة لا قبل لهم بها.. ورأوا رؤوساً منهم تقطع ولا يرون قاطعها.. وفرساناً منهم تسقط في ميدان المعركة ولا يرون أقرانها .. وسمعوا همهمة وأصواتاً غير مألوفة لديهم.. فعلموا أنه قد اشترك في المعركة ضدهم قوم لا قبل لهم بمحاربتهم.. ولا أمل في الانتصار عليهم.!! فقبلوا الهزيمة مرغمين.. وعاد السالم منهم إلى بلده وهو يجر أذيال الهزيمة.!!

وكانت عودتهم إلى أهلهم مهزومين مثار الغرابة والعجب.!! فكيف ينهزم ذلك الجمع العرمرم.. أمام شرذمة قليلة.؟! هكذا يتساءل الذي لم يشتركوا في المعركة والذين لم يروا تلك القوى الخفية التي تعمل في صفوف الأعداء..!! والتي فتكت بهم فتكاً ذريعاً.. بينما هي لا ترى حتى يقابل عنفها بعنف.. وفتكها بفتك.!!

هذا هو أحد التعليلين لهزيمة أهل ثرمداء في حربهم مع أهل وثيثية.!!

أما التعليل الثاني الذي هو أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال فهو أن الشابين أمراء البلدة وأولاد المرأة العوراء العرجاء.. قد ذهبوا إلى أخوالهم.. وأخبروهم بما يعيشون فيه من ذل وصغار.. وأخبروهم بأنهم سوف يثورون ضد هذا العار..ولكنهم ليس لديهم القوة الكافية لحرب أهل ثرمداء الذين سوف يشنون عليهم الحرب لا محالة إذا منعوا مما كانوا يأخذونه من ضرائب وأتاوات في كل موسم من مواسم المحصولات.!!

واستعد أخوال الشابين بمساعدتهم في حربهم ضد أهل ثرمداء.! وأرسلوا معهما عدة كراديس من الخيل عليها فرسانها.!!

وجاءت كراديس الخيل إلى وثيثية خفية.. واختبأت في مقاصيرها وخرباتها.. منتظرة دقات ساعة الخطر.!!وقتل خادم أمير ثرمداء.!! فكان قتله هو الشارة التي أوقدت نار الحرب..وجاء أهل ثرمداء بقضهم وقضيضهم لأخذ الثأر.. وقابلهم أهل وثيثة في منتصف الطريق للدفاع عن أنفسهم.. وصد العدوان عن بلادهم.!!

وعندما اشتبك القوم في صراع مرير كانت قوى أهل ثرمداء تتقدم إلى الأمام.. وكانت قوى أهل وثيثيه تتقهقر إلى الوراء.. وفي هذه الأثناء... ظهرت كراديس الخيل البلق وعليها فرسان ملثمون.. ومدججون بالسلاح.!!

واشتركوا في المعركة فقوي جانب أهل وثيثيه.. وضعف جانب أهل ثرمداء .. فقد رأوا قوة لم يحسبوا لها حساباً ورأوا فرساناً أبطالاً.! اندفعوا إلى ميدان المعركة كالسيل الجارف.. فلم ينازلوا قرناً إلا صرعوه ولم يهجموا على قوة إلا زحزحوا صفوفها وأحدثوا فيها الخلل والرعب والتقهقر..

وكانت النتيجة هي هزيمة أهل ثرمداء.. الشجعان الذين ما كانوا يتوقعون هذ الهزيمة.!!

هذه خلاصة التعليلين.. الخيالي والواقعي.

ونحن هنا لا يهمنا أي التعليلين كان صحيحاً.. فلسنا نكتب تاريخاً .. أو نكتب حقائق.. وإنما نحن نكتب أساطير هي إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة.!!

والذي يهمنا في الدرجة الأولى هو بعد نظر حميدان الشويعر وصدق حدسه.. ومقدرته على الإثارة وإشعال نار الحروب.!!

وليست هذه هي ميزة هذا الشاعر الفحل الوحيدة .. وإنما يضاف إليها مزايا كثيرة.. فهو شاعر هجاء.. لم يعف نفسه ولا

أقرب الناس إليه من لواذع هجوه وقوارص تهكمه.

أما ولده مانع .. فهو أكثر من تعرض للتهكم الممض والنقد اللاذع.. هو وزوجته التي كان يحبها مانع ويعيش معها في وفاق تام.. وانسجام مستمر.!! ويظهر أن هذا الوفاق والانسجام قد أثارا حفيظة الوالد وحسده فصار ذلك مثار تهكمه.. في أشعاره التي تسيل رقة وغرابة ولا يملك قارئها نفسه من الضحك بملء شدقيه.!!

ومن هذه الأشعار التهكمية اللاذعة قول حميدان:-

مانع خيال بالدكة ... ظفر في راس المقصورة
وان صاح الصايح من برا ... توايق هو والغندوره
اليمنى فيها الفنجال ... واليسرى فيها البربورة
وإلى ظهر يم السكه ... تأخذ جوخته السنورة
تلقاه من الخوف يرهبن ... كنه احداة ممطوره
لو تفتش ثوبه تلقاه ... نجس ثوبه من هرهوره
ينخى بلسانه ويثاني ... والذلة سدت حنجوره
وعنده عذرا مثل الحورا ... نوره يشادي البنوره
كتف وردف ونهد زامي ... وشاخه في شبر مشبوره
تلقاها من طيب المعلف ... مثل الحمانه مزكوره
في البيت تعيزل وتبيزل ... ما قال الجصة ممخوره
وتعبا المثلوث من الجهمة ... من ليل يرعد تنوره
وتبج الكحلة من بكره ... تبي به حك الخنتوره
وعنده رجل ثور جيد ... أجم يرعى في هوره
أقصى ما يبعد للطايه ... والمطبخ ورده وصدوره
لا قالت عجل جا يركض ... دايم ما يظهر من شوره

أما ما قاله حميدان في وزوجته خاصة وأولاده عامة

فمنها هذه الأبيات اللطيفة الغريبة:

ترى الشايب عند عياله	وأم عياله مثال العزبى
لو يطلبهم ردة لقمه	قالوا مخلي وشاها الصلبي
كلوا فيده وعادوه	عقب فالتمسك السبب
احفظ مالك تجى غالي	حتى يلاقونك بالعتب
أحد يجاوب بلبيه	وأحد يقال له وش تبى
حتى أم عيالي زهدت بي	نسيت شبابي وطربي
فقدت مني شٍ ما طريه	على بهومي ... وعلى ركبي
أشوف عظامي توجعني	وظهيري من حد حقبي
وهاجوسي يسري بالليل	من خوفي موت بطلبي
الدنيا عامرها دامر	ما فيها خير يا عربي
صدرت وطويت العده	ويعقّبني من كان يبي

أما ما قاله في المدن والقرى والأشخاص .. والأقوام فهو كثير ومشهور معروف.. يتداوله المواطنون في كثير من المناسبات ويتندر به بعضهم على بعض.. قد أثارت أشعار حميدان كثيراً من الناس ضده.. حتى أنهم أولوا بعض شعره وفسروه.. بأنه يعني به أكبر أمير في نجد في ذلك الزمان.

وسعى السعاة بالشويعر لدى هذا الأمير .. وأقنعوه بأنه يعنيه بأبيات هجو تتهمه بالجبن والبخل وهما خصلتان تتنافيان مع الزعامة والشرف فغضب الأمير.. وأهدر دم هذا الشاعر وأعلن عن مكافأة سخية لمن جاء بالشويعر حياً أو ميتاً.!!

وبلغ حميدان هذا الوعيد والتهديد.. فاختفى عن الأنظار وصار يتنقل من بلد إلى بلد.. وهو متنكر.. حتى وصل إلى عاصمة الإمارة حيث يقيم الأمير .. وتلطف حميدان حتى وصل إلى زوجة الأمير.! ولم يقصد غيرها لأنه يعرف سلطان النساء على

ذوي النفوس الكريمة.! فهن يغلبن الكريم ويغلبهن اللئيم.!!

وعرفها الشاعر بنفسه! وعرفها بما يحاك ضده! وعرفها أيضاً بأنه جاء إليها خاصة ملتجئاً طالباً الأمان.! وأنه لم يلجأ إلى فلان أو فلان من كبار رجال الأسرة الحاكمة.. لأن ثقته بها أكبر من ثقته بهم.!!

وقال فيما قال لزوجة الأمير إن لديه قصيدة اعتذارية يريد أن يلقيها بين يدي الأمير..وهذه القصيدة كفيلة بأن تسل من قلب الأمير كل عوامل الغيض والغضب.!! واستثار الشاعر في نفس تلك الزوجة عوامل الغيرة والحماية فأدخلته في بيتها.. وخبأته في مكان حصين.. وصممت على أخذ الأمان له من زوجها الذي تعرف قدرها عنده كما أنها تعرف كيف تبلغ مرادها لديه .!!

وجاء الأمير ليلاً وكانت قد تنظفت وتعطرت ولبست أبهى زينتها.. فبدت خلابة جذابة تستهوي الناظرين .. وتثير كوامن العواطف والرغبات..

رأى الأمير ما أبهجه وأثاره وأراد من زوجته ما يريده الرجل من المرأة.. ومد يده إليها مداعباً.. ولكنها كفت يده بلطف وقالت له إن لي طلباً أريده منك مستعجلاً.. وأحب أن تعدني به الآن.! فقال لها زوجها إن طلبك مجاب.. ولك عندي كل ما تحبين وما تريدين.! ما عدا حميدان الشويعر.. فإنني لا أريد للنساء أن يتدخلن في شؤون الرجال.!! .

ولكن المرأة قالت لزوجها إنني أريد منك وعداً ليس فيه استثناء. ومن هو حميدان الشويعر حتى تستثنيه.؟! إنني أريد وعداً بإعطائي ما أريد بدون استثناء.. ولم يجد الأمير بداً من إعطاء زوجته وعداً بإعطائها ما تريد بلا استثناء.!!

وجاء الصباح.. وطلبت الزوجة من الأمير أن يعلن عفوه

عن حميدان الشويعر.. ولم يجد الأمير بداً من إجابة طلبها.. فأعلن العفو عنه وقالت له إن لدى حميدان قصيدة يعتذر فيها ويتنصل مما رمي به.! وهو يريد إلقاها بين يديك..

فوافق الأمير على ذلك.. وقال إذا جلست جلسة الضحى فليدخل علي متنكراً .. وليطلب مني إلقاء قصيدته دون أن يفصح عن اسمه.. وسوف آذن له.. ثم أعفو عنه بعد إلقاء القصيدة وعلى رؤوس الأشهاد.!!

وأرسلت زوجة الأمير إلى الشويعر تخبره بما كان.. وتأمره بأن يستعد للدخول على الأمير لإلقاء القصيدة بين يديه.. والتنصل مما بلغه من الاخبار الملفقة.. الكاذبة.!!

ودخل الشويعر على الأمير وسلم عليه واستأذنه في إلقاء قصيدته بين يديه فأذن له وشرع حميدان في قصيدته قائلاً:-

بالوقت ذا كثر الوشاة وصوروا
تصاوير مالا صار بالزور طامسه
يقولون ما لا صار مني ولا جرى
شياطين ما تلقى بهم من توانسه
تعد الردى مني ولا تنقل الثناء
كتاتيب سو عن شمالي مراوسه
إلى زل مني كلمة ما علقتها
وإلى حاضر هذا لهذا ينادسه

ثم استمر الشاعر في إلقاء قصيدته.. يعتذر فيها ويتنصل مما رمي به.. ويهجو أولئك الوشاة.. ثم يمدح الأمير ويبالغ في المدح.!! ويثنى على خصاله الحميدة ويعدها واحدة إثر واحدة

ثم يقول معقباً على تلك الخلال الحميدة:-

تـراك شـط الـنـيـل مـنـتـاب نـقـعـه
إلى طـاح فـيـهـا فـارة قـيـل نـاجـسـه

يـا شـيـخنا اقبل عذر من جاك طايح
إلى الله ثم إلـيك والـكـف يـابـسـه

وأنـا طـايح طـيـحـة جـدار مـتـسـانـد
رفـيع الـبـنـا مـا تـوحـي إلا تـقـابـسـه

وأنـا زابـن زبـنـة دريـك مـن الـظـمـا
يـاقـف على الـرقـعـي شـفـايـاه يـابـسـه

ويختم الشويعر قصيدته بهذا البيت:-

تـمـوت الأفـاعـي وسـمـهـا في نـحـورهـا
وكـم جـريـس عـاش وأنهار جـارسـه

وعندما انتهى الشاعر من القاء قصيدته أعلن الأمير عفوه عن الشاعر.. وصفحه وغفرانه.!!

ونجا الشويعر من تلك المكيدة ..وعاش عمراً مديداً.. حتى اشتكى انحناء الظهر.. وآلام المفاصل.. وأرق الليل ثم أدركه ما يدرك الأحياء من النوى.. ومات ولكنه خلف وراءه أشعاراً رائعة.. وأفكاراً سامقة.. وتجارب عميقة .. وأوصافاً عريقة.. ما زال الناس يذكرونها في مناسباتها.. ويتغنون بها في أوقاتها.. ولله وحده البقاء.. منه المبتدىٰ وإليه المنتهى.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغيرة دملت.!!

★ ★ ★

سالفـــــة:

٢٣- بنت التاجر وابن السلطان

قالت الجدة للأطفال عندما اجتمعوا لديها إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة قصة بنت التاجر مع زوجة ابن السلطان فقالوا نعم قصيها علينا..

فقالت الجدة هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك التاجر الذي يعتمد في تجارته على الأسفار البعيدة.. ونقل البضائع من مكان إلىٰ مكان وكان لهذا التاجر زوجة رزق منها بنتاً جميلة ذكية فأحبها والدها واهتم بتربيتها وتأديبها وتهذيبها... والمحافظة عليها.!!

وكبرت الفتاة وأراد الله على والدتها فتوفيت فحزن الزوج على زوجته.. وبقي مدة طويلة لا يسافر ولا يبيع ولا يشتري.. وإنما هو مقيم في بيته وعند ابنته.!! وأخيراً ضاق ذرعاً بالإقامة وقد تعود الأسفار فاستشار ابنته.. واستأذن منها في السفر.. فلم تمانع..!!

فقال لها والدها إنني سوف أضع عندك في البيت كل ما

تحتاجينه.! ثم أغلق عليك الباب وأتركك في البيت وحدك وسوف أضع عندك مختلف الكتب فاقرأي وكلي واشربي واهتمي بتنظيف بيتك وترتيبه وإياك أن تكلمي أحداً.!! أو تفتحي الباب لأحد.!!

فقالت له ابنته سمعاً وطاعة.. فسافر في رعاية الله وسوف أنفذ جميع وصاياك .!!

وسافر والد الفتاة بعد أن أغلق على ابنته الدار.. وبقي في سفره مدة طويلة.. وبقيت الفتاة التي اسمها فاطمة بين جدران هذا البيت الحصين وقد أغلق عليها والدها الباب وأخذ المفتاح معه.. وضاقت فاطمة بالحياة الروتينية التي كانت تعيشها فخرقت أحد الحيطان..

ونظرت من خلال ذلك الثقب الذي خرقته .. وإذا بها ترى قصر السلطان.. وجعلت فاطمة تجيل بصرها في القصر وما حوله.. وإذا بها ترى ابن السلطان في حديقه القصر ومعه زوجته.. وهما يأكلان الطعام.!!

وكانت الزوجة لا تأكل إلا قليلاً.. ولا تشرب إلا قليلاً أيضاً فإذا قال لها زوجها لماذا لا تأكلين قالت إنني شبعانه.!! وإذا قال لها لماذا لا تشربين قالت له إنني رويانه.!!

ويسكت ابن السلطان فلا يحاول أن يحرج زوجته بأسئلة قد تسبب بينه وبينها خلافاً..

وعندما انتهى ابن السلطان من تناول طعامه خرج من القصـر لبعـض شؤونه.. ودخلت زوجته في غرفتها الخاصة..



الفتاة فاطمة تجذب الحبل والزبيل إليها.. وقد جلس ابن السلطان
في وسط الزبيل.. وهو في صورة امرأة عجوز

وفتحت دولاباً.! فخرج منه رجل.. لم يكد يرى زوجة ابن السلطان حتى صفعها على خدها الأيمن ثم صفعها على خدها الأيسر ثم قال لها موبخاً:-

لماذا تتركينني حبيساً طيلة هذه المدة فتخاذلت المرأة أمامه.!! وحاولت أن تسترضيه وأن تعتذر إليه بأن زوجها تأخر في الخروج اليوم على خلاف عادته.. وأنها فتحت الدولاب حالما خرج زوجها..

وهدأ الرجل بعض الشيء.. وجاءت بالطعام بالشراب... وجلست مع هذا الرجل تأكل معه وتشرب.. وتحاول أن تزيل ما بنفسه من غضب.!!

ونظرت ابنة التاجر فاطمة إلى ما يحدث أمامها من خيانة وغدر.!! فلم تملك نفسها.. بل اندفعت وأخذت حجراً ثم سددته إلى إحدى عيني تلك الزوجة الخائنة.. ففقأتها.. ونظروا إلى الاتجاه الذي جاء منه الحجر.. فرأوا أنه جاء من جهة قصر التاجر.. وجاء ابن السلطان ليجد زوجته وقد فقئت عينها.!!

فغضب غضباً شديداً.. وقال كيف حدث هذا.؟!

فقالت له زوجته .. إنه حجر جاءنا من قبل هذا البيت وأشارت إلى البيت الذي ليس فيه إلا الفتاة.. فقال ابن السلطان إن هذا البيت خال.. ومقفل من الخارج.. وصاحبه مسافر.. وليس فيه أحد.!

فقالت الزوجة إن الحجر جاءنا من قبل هذا البيت.. فإذا

كان ليس فيه سكان من الأنس فهي من سكانه من الجان.!!

واهتم ابن السلطان بالأمر وانشغل باله بالحادث فقد كان يحب زوجته.. على الرغم من غدرها وخيانتها التي لا يعلم ابن السلطان عنها شيئاً.!!

وأخيراً رأى ابن السلطان أن يبحث عن الحقيقة بنفسه وقرر أن لا يخبر أحداً من الناس لأن الأمر حساس ويتعلق بزوجته.. وهو لا يريد أن تكون زوجته حديث الناس.. لهذا فقد لبس ثياب امرأة عجوز وأخذ عصا يتوكأ عليها.!!

ثم خرج في ساعة من ساعات استقرار الناس في بيوتهم من قصره.. وصار يطوف حول بيت التاجر ويردد هذين البيتين من الشعر:-

أدور أدور وأتـعـين وشـوف مـن بـالمـكـان
ومـن يـا تـرى ضـارب عـين زوجـة ابـن الـسـلـطـان

واستمر يكرر هذه الأبيات عند كل ركن من أركان ذلك القصر.! وأخيراً أطلت عليه الفتاة فاطمة.. وقالت يا جدتاه اقربي من هنا.! فإنني سوف أدلي إليك حبلاً.. وأرفعك إلى فإن عندي من حادث زوجة ابن السلطان خبر.!!

وجاءت العجوز إلى النقطة التي أشارت إليها فاطمة .. ولم تشعر العجوز إلا بزبيل ينحدر إليها من أعلى السور فجلست فيه وجذبتها فاطمة إلى أعلى السور ثم أخذتها عندها ورحبت بها وأكرمتها .!! وأخبرتها أنها تقيم في هذا القصر وحيدة.. وأن والدها قد سافر منذ وقت طويل في تجارته وترك عندها كل ما تحتاج إليه.!!

وقالت فاطمة إنني منذ يومين ضقت بالفراغ الذي أعيش فيه.! وأنه دفعها الفضول إلى أن تطل على قصر السلطان .. فرأت ابن السلطان وزوجته يأكلان .. ثم رأت تلك الزوجة الخائنة مع ذلك الرجل الغريب..فلم تملك نفسها.. من الغضب .. وأخذت حجراً وسددته إلى عين تلك المرأة الغادرة الفاجرة.. فأصاب ذلك الحجر هدفه .! وفقأ عينها.!!

هذه خلاصة الخبر الذي تسألين عنه يا جدتاه.. أنا ليس عندي مانع من أن يبلغ هذا الخبر إلى ابن السطان ليكون على بينة من أمره.! وليتصرف مع تلك الزوجة تصرفاً يردعها .. ويعيدها إلى صوابها.!

وشكرت العجوز فاطمة على تلك المعلومات القيمة التي أدلت بها.. وقالت إنني سوف أذهب الآن.. وسأعود إليك ما بين وقت وآخر لمؤانستك ما دمت وحيدة.. فرحبت فاطمة بالعجوز وقالت لها إذا أردت زيارتي فارفعي صوتك بأي كلام لأسمعك وأدلي إليك بالزبيل فتصعدين إلي.!!

وخرج ابن السلطان من تلك الدار كما دخل إليها وجاء مسرعاً إلى قصره.. بعد أن خلع ملابس العجوز ولبس ملابسه العادية.!! وقصد زوجته.. وعندما رآها قال لها أعطيني مفتاح هذا الدولاب.! وهو الدولاب الذي تخفي فيه حبيبها.!!

فقالت المرأة - وقد أسقط في يدها - إنه ضائع وأنا أبحث عنه منذ مدة فلم أجده.!!

ولكن ابن السلطان تغيرت ملامحه من الغضب.. وقال لزوجته إذا لم تعطيني مفاتيح هذا الدولاب فسوف أقتلك حالاً.!!

ورأت الزوجة أمارات الجد والتصميم في وجه زوجها فأعطته المفاتيح.. ففتح الدولاب فوجد حبيبها جالس فيه فأخرجه..

وقطع رأسه أمامها.. ثم وضع الرأس مع الجسد في صندوق وأقفل عليهما.. وقال لزوجته خذي ما تريدين من هذا القصر.. واستعدي للسفر إلى أهلك.!!

وأخذت المرأة كل ما تريده من ذلك القصر وأعدت قافلة حملت هذه الزوجة وأغراضها.. وحملت معها ذلك الصندوق الذي فيه الحبيب المقتول.!!

وقد أمر ابن السلطان بأن لا تسلم مفاتيح ذلك الصندوق إلا لوالد زوجته..

وسارت القافلة حتى وصلت إلى بلد الزوجة .. فاستقبلها أهلها بامتعاض وفتور .. وسلم الرسول مفاتيح الصندوق لوالد الفتاة.. فظن باديء ذي بدء أن بداخله هدايا خاصة من ابن السلطان فذهب بتلك المفاتيح وفتح الصندوق.. فإذا هو يفاجأ بتلك الجثة التي قد فصل رأسها عن جسدها.!!

ووجد فوق هذه الجثة ورقة كتب عليها.. لقد أدبت هذا الفاجر ونال جزاءه العادل.. أما ابنتكم فقد تركت تأديبها إليكم.!! ودارت الدنيا بوالد تلك المرأة.. وكاد أن يغمى عليه ولكنه كان جلداً صبوراً فمرت الصدمة الأولى دون أن يحصل له أي سوء..

ودعا الرجل أكبر أولاده.. وأطلعه على خبر أخته فغضب الأخ غضباً شديداً.. وقال لوالده ماذا ترى يا والدي العزيز.؟!

فقال الوالد إنني أرى أن نحفر لها حفرة في طرف من أطراف الحديقة ثم نواريها فيها وهي حية.!!

وقام الابن حالاً .. وحفر الحفرة ثم ألقى بأخته في وسطها وأهيل عليها التراب.!!

أما ما كان من ابن السلطان فإنه صار يتنكر في ثياب تلك العجوز ثم يذهب في ساعات انكفاف حركة الناس فيدور حول

القصر الذي تسكنه فاطمة ويهينم بكلمات إذا سمعتها فاطمة أنزلت الحبل والزبيل.. ثم جذبت العجوز إليها.. وجلست تحادثها.. وتؤاكلها وتشاربها ثم تستأذن وتخرج من القصر كما دخلت فيه عن طريق الحبل والزبيل.!

وقدم والد فاطمة من السفر ودعاه ابن السلطان إليه فخاف خوفاً شديداً.. وظن مختلف الظنون.. وذهبت به الأفكار السوداء كل مذهب.!! فتارة توسوس له نفسه بأن ابن السلطان يريد أن يأخذ منه قصره..وتارة يخطر على باله أن ابن السلطان يريد بعض ماله.. ومرة ثالثة يجول بفكره أن أحداً من الأشرار كذب عليه ونسب إليه ما لم يصدر منه.!!

والمهم أن موعد المقابلة حان.. وذهب التاجر إلى تلك المقابلة وهو يرتجف خوفاً.. ولكنه يحاول أن يغطي ذلك الخوف بأنواع من الوقار والصمت والتظاهر بالهدوء والطمأنينة.!!

ووصل التاجر إلى ابن السلطان فسلم عليه بأدب واحترام وقابله ابن السلطان مقابلة كريمة وأجلسه بجانبه.. وأديرت أكواب القهوة والشاي.. وعندما انتهت تلك الأمور الأولية التي يستقبل بها كل قادم جديد قام ابن السلطان من مجلسه العام.. وأخذ بيد التاجر.. وخلا به في غرفةخاصة.. وقال له إنني أريد أن تزوجني ابنتك.!!

وعندما سمع التاجر هذا الطلب انزاح عن كاهله عبء ثقيل كان ينوء تحته.. وأفرخ روعه.. وقال لابن السلطان إنني أنا وما أملك لله ثم لك.. ولكن ابنتي ليست في مستوى

مكانكم العالي.! وأخشى أن لا تبلغ درجة الرضى التى يجب أن تتوفر لمقامكم السامي.!

إلا أن ابن السلطان قال له إن الشجرة الزكية لا تنبت إلا زكياً.. وقد رضيت بها زوجة وأرجو أن يكون اختياري موفقاً.. فوافق الأب على هذا الزواج وجيء بالقاضي والشهود فأبرم عقد الزواج.. وبدأ الاستعداد حالاً لليلة الزفاف.!!

وذهب التاجر إلى ابنته فاطمة وجعل يسألها هل كلمت أحداً أو كلمها أحد في غيابه فقالت أبداً.!! وقال لها هل رآك أحد أو اجتمع بك إنسان فقالت فاطمة كيف يدخل علي أحد والباب مقفول.. ومحاط بأسوار منيعة.. فسكت الوالد.. وجعل يفكر في أمر ابنته وأمر ابن السلطان وكيف علم بوجودها.!!

وتمت الاستعدادات للزواج وزفت فاطمة إلى زوجها ابن السلطان في فرحة وابتهاج لا يحيط به الوصف وكان كل من الزوجين سعيد بالآخر.. ومنسجم معه تمام الانسجام.!!

ودعا ابن السلطان ذات يوم خاله أو والد زوجته وقال له لقد اقترحت على والدي عظمة السلطان أن يجعلك أميناً خاصاً لمالية الدولة.. وقد وافق والدي على هذا الاقتراح لأنني وصفتك له بأنك تاجر ناجح.. واقتصادي عريق.. وخادم مخلص.!!

فشكره التاجر على تلك الثقة.. وقال لابن السلطان إنني لا أحب أن أخيب آمالك في.. ولهذا فأنا أتحمل هذه الأمانة وأقوم بهذا العبء الذي أرجو أن أوفق فيه إلى إرضاه الله ثم إرضائكم وإرضاء ضميري الذي لا يريحه إلا أخذ الحق وإعطاءه.!!

وتسلم التاجر زمام الشؤون المالية في الدولة العلية.. فسار سيرة حسنة حببت هذا التاجر إلى الناس أكثر من ذي قبل كما جعلت الشعب يشكر السلطان على حسن اختياره وعاش الجميع في سبات ونبات ورزقوا العديد من البنين والبنات..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

في وصف الأولاد لمحجم الصفري

خطوى الولد مثل البليهي إلى ثار
زود على حمله نقل حمل السيفه
يشدي هديب الشام حمال الأخطار
يا زين مشيه لا تمدرى رفيفه
وخطوى الولد مثل النداوي إلى طار
صيده سمين ما يصيد الضعيفة
ترجي العشا من مخلبه وقع طيار
حسه على صيد الخلا له وحيفه
وخطوى الولد ينبش على طفوه النار
بوسط العرب يشدي الرحول الهديفه
وخطوى الولد يا مال قصاف الأعمار
لا نافع نفسه ولا منه خيفه



سالفـــــة:

٢٤- اللّقاط ابن اللّقاط.!!

قالت الجدة للأطفال إنني سوف أقص عليكم الليلة سالفة أحد أبناء السلاطين .. الذي أراد أن يتزوج بنت سلطان آخر.!! فقال الأطفال قصيها علينا.. فقالت الجدة حباً وكرامة..

وشرعت في سالفتها قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي .. وإلى هنا هاك السلطان الذي متولي على بلاد المشرق وإلى هنا هاك السلطان الآخر الذي متولي على بلاد المغرب وكانت دولة كل من السلطانين ثابتة الأركان وثيقة البنيان وقد رزق سلطان المشرق مولوداً ذكراً فاحتفل بمولده وقامت الأفراح بهذا السبب في جميع أنحاء مملكته .!!

أما سلطان المغرب فقد رزق مولودة أنثى.

وكبر المولود حتى صار شاباً .. وتطلع إلى ما يتطلع إليه الرجال.. واهتم والده بهذا الأمر وبحث لولده عن شريكة الحياة..وكانت بنت سلطان المغرب قد كبرت أيضاً وكانت فائقة الجمال حتى تحدث بجمالها الركبان وانتشر الحديث عنها بين القاصي والدان.!!

وكانت هذه الفتاة مع جمالها الفائق ذكية عاقلة.. متزنة التصرفات ولهذا فعندما يجيء الخطاب لخطبتها يقول السلطان لهم إن أمرها موكول إليها.. وهي صاحبة الشأن في اختيار قرين حياتها.!!

وقد علم سلطان المشرق بهذه الفتاة.. وعلم بجمالها وذكائها.. وكمال عقلها.. فجهز ولده وأرسل معه هدايا وتحفاً لسلطان المغرب.. وأرسل معه أيضاً خطاباً رقيقاً يخطب فيه الفتاة لولده.!!

وقدم ابن سلطان المشرق على سلطان المغرب وحل ضيفاً عليه.. وقدم إليه الهدايا.. كما قدم إليه الخطاب الرقيق الذي بعثه معه والده.!!

وقال السطان للشاب إن ابنتي عاقلة وشأن، الزواج يخصها في الدرجة الأولى.. وقد تركت لها مطلق الحرية في اختيار شريك حياتها ولهذا فإنني سوف أخبرها بقدومك من بلادك لخطبتها.. وسوف أرد لك جوابها.!!

ودعا السلطان ابنته وأخبرها بالخاطب الجديد.. فقالت إنني أقبله..ولكن على شرط أن ينجح في الامتحان الذي سوف افرضه عليه.!!

وسألها السلطان عن الامتحان.. وفي ماذا.. فأخبرته .. ودعا السلطان ذلك الشاب وأخبره بشرطها.. في الزواج منه والامتحان الذي سوف يتعرض له فإن نجح فيه.. فاز بها.. وإن فشل فلا سبيل إلى هذا الزواج.!!

وقبل الشاب هذا الشرط .. واستعد للدخول في الامتحان الذي سوف تفرضه الفتاة.!!

وأعدت الفتاة غرفة خاصة بالقرب من غرفتها .. وطلبت ابن السلطان .. وقالت له إنني أريد أن تسكن في هذه الغرفة لمدة سبعة أيام.! وبعدها يكون الكلام.!!



الأمير بعد أن تنكر وتعلم الموسيقى يدخل على ابنة السلطان
ليسمعها ألحانه العجيبة بطلب منها.!!

فقبل ابن السلطان هذا الكلام وسكن في تلك الغرفة.. وصار لا يغادرها ليلاً ولا نهاراً وأكله وشربه يأتيه فيها بإشراف إبنة السلطان.!!

وكانت إبنة السلطان تراقبه في حركاته.. وسكناته وقوماته وقعداته.. كما تراقبه أكثر فأكثر عندما يتناول طعامه.. وكانت غرفة الفتاة تشرف على غرفة الأمير بحيث أنها تراه ولا يراها.. وتعرف كل دقيقة وجليلة من تصرفاته.. بينما هو لا يحس بهذه المراقبة ولا يشعر بها.!!

وأمرت الأميرة بأن يعطي ابن السلطان في اليوم ثلاث وجبات فطور وغداء وعشاء.. وأن تكون هذه الوجبات مكونة من نوع واحد من الطعام هو الرمان.!!

ولبى الخدم أمر الأميرة .. فصاروا يقدمون له فطوره رماناً.!! وغداءه رماناً .! وعشاءه رماناً.. وصبر الشاب على هذا الطعام الواحد وصار يلتهمه بشهية ورغبة..كيف لا وهو السبيل الوحيد للزواج من تلك الأميرة البارعة الجمال الرائعة الدلال.؟!

ومر اليوم الأول بسلام.. ولم تلحظ الأميرة على خطيبها أي تصرف شاذ.. أو حركة لا تعجبها.. وجاء اليوم الثاني واستمرت الفتاة في المراقبة والتدقيق لعلها تجد فيه عيباً .. ولكنها لم تجد.. وانتهى اليوم الثاني بسلام أيضاً..

وجاء اليوم الثالث والرابع.. إلى اليوم السادس والأمور سائرة على ما يرام فلما جاء آخر اليوم السابع.. وقدم العشاء لابن السلطان كالمعتاد من حب الرمان.. جعل يلتهمه بشهية.. وعند النهاية من الطعام سقط منه حبة من حبات الرمان.. ومن حرص الشاب على تنفيذ الرغبات والطلبات أهوى إلى تلك الحبة والتقطها من فوق البساط وأكلها.!!

ورأته ابنة السلطان وكأن الشاب لم يعجبها من كل الوجوه.!

فجعلت التقاط تلك الحبة سبباً.. في سقوطه في الامتحان.!!

وجاء السلطان إلى ابنته في الليلة الثامنة.. وسألها عما قررته بشأن الشاب.. فأخبرت والدها أنها لا تريده.. وسألها عن السبب فقالت:- «كيف أقبل اللقاط ابن اللقاط.. الذي يلقط حبة الرمان من فوق البساط.!!».

وجاء الأمير إلى السلطان.. منتظراً الموافقة وعقد الزواج .. ولكن السلطان قال للأمير مثل ما قالت له ابنته.!!

وانصرف الأمير من عند السلطان .. وقد يئس واسودت الدنيا في نظره.. ولم يدر ماذا يصنع.!!

وانتظر فترة من الزمن يفكر في أمره.. إنه لا يمكن أن يعود إلى والده وهو يجر أذيال الفشل.. ولا بد من إيجاد وسيلة للوصول إلى هدفه المنشود .!! وفكر الشاب في الأمر ملياً .. وقلب الرأي على وجوهه.. ولاح له رأي.. إذا وفق فيه فسوف يصل إلى مبتغاه.! وهو أن يعرف هواية الفتاة.. هل هي القراءة أم الكتابة.. أم ركوب الخيل أم الشعر أم الموسيقى.. لأن فتاة مثلها لديها الكثير من أوقات الفراغ لا بد لها من هواية تقضي فيها وقتها أو بعض وقتها.!!

وتعرف الأمير على أحد رجال القصر.. وأكرمه وأعطاه مالاً.. وطلب منه أن يخبره عن هوايات ابنة السلطان.!! فقال الرجل إنني لا أعرف عن الأميرة شيئاً لأنها في قسم الحريم. ونحن رجال القصر لا نعرف عن قسم الحريم شيئاً.!! ولكنني سوف أكلف إحدى قريباتي التي تخدم في القصر بالبحث عن هواية الأميرة.. ثم أنقل ذلك بدوري إليك.!!

وغاب الرجل عن الأمير يومين أو ثلاثة.. ثم جاء إلى الأمير فأخبره أن هواية الأميرة الموسيقى.!!

ففرح الأمير بتوصله إلى هذه النتيجة.. وأعطى الخادم كسوة ونقوداً حتى أرضاه.!!

وكان عند الأمير بعض مبادىء الموسيقى.. ولكنه ليس بارعاً فيها.. فسأل عن أحسن موسيقار في البلد حتى اهتدى إليه.. وجاء به عنده واتفق معه على أن يعلمه الموسيقى .. وأن يعطيه مبلغاً من المال كبيراً.. وقبل الموسيقار ذلك العرض.. وشرع في تعليم الأمير.!

ولم تمض فترة طويلة من الوقت حتى برع الأمير في الموسيقى.! وصار أحسن من أستاذه .. وانتهى دور التعلم وإعداد الوسائل.. وجاء دور العمل .. وتنكر الأمير في ثياب رثة.. وتقمص أسمالاً تنبئ أنه فرد عادي غريب في البلد.. جاء ليتكسب من وراء فنه الذي لا يجاريه فيه أحد.!!

وأخذ آلة الموسيقي .. وجعل يضرب على نغم مؤثر أخاذ ومر من جانب غرفة الأميرة فسمعت هذا اللحن .. فانجذبت إليه من حيث لا تشعر.. ورأت الرجل الذي صنع اللحن.!!

ثم جاء اليوم الثاني فجاء ذلك المسكين بموسيقاه.. كالمعتاد.! أنصتت الأميرة إلى تلك الألحان المؤثرة التي كان يصنعها .. وجاء اليوم الثالث.. ومر الشاب على عادته.. يضرب على آلته لحناً جديداً فسحرت الأميرة بتلك الموسيقى وأرسلت جاريتها إلى ذلك الفقير المسكين فطلبت منه أن يدخل عند الأميرة ليضرب لها ألحاناً.. ولتعطيه بعد ذلك مكافأة.!!

ودخل الأمير عند الأميرة وضرب لها ألحاناً أعجبتها وأطربتها ونظرت إلى الشاب فإذا هو جيمل الشكل وافر العقل سليم االتفكير.! فأعجبت به أيما إعجاب..وطلبت منه أن يعود إليها ليسمعها ألحانه كل يوم.!! وتتابعت اللقاءات.. وكان كل لقاء يزيد من تعلق الأميرة بهذا الشاب.!!

وأخيراً قالت الأميرة للشاب من أي بلد أنت فقال من بلاد الشرق.. وأنا خادم من خدم سلطان المشرق.. قد ضاق بي الرزق وأنا شاب في مقتبل العمر.. أمامي زواج.. وأمامي تكوين أسرة.!!

ولهذا فقد استأذنت من سلطاني .. وتذرعت ببعض الأعذار التي بررت بها سفري فأذن لي.!!

فقالت الأميرة.. هل لك في أن تتزوجني .. وأعيش معك كما تعيش .. وأقاسمك لقمة العيش مهما كانت شحيحة.؟!

وأظهر الشاب شيئاً من الدهشة والاستغراب .. وقال إن هذا هو أقصى ما أتمناه.. ولكن أين مقامي من مقام ابنة السلطان.؟!

فقالت الأميرة دعك من هذا فإن والدي ملكني زمام نفسي.! وأنا مع هذا لن أخبره بهذا الأمر.. بل إنني سوف أتزوج بك سراً.! وأسافر معك إلى بلدك سراً.. وأعيش معك كما تعيش. وأشاركك في السراء والضراء.!!

فقال الشاب.. ولكن كيف أسافر بك إلى بلادي وأنا لا أملك إلا جملاً.. ملآناً وبره شوكاً..!

فقالت الأميرة إنني مستعدة للركوب على هذا الجمل.. وسوف أتحمل وخزات الشوك.. وأصبر على آلام السفر ومشقاته.!! وأمام هذا الاصرار من الأميرة قبل الشاب عرضها.!! وقال إنني موافق.. وعليك أن تهيىء لنا أمرين:-

الأول عقد الزواج سراً.. والثاني التسلل خفية من القصر بحيث لا يشعر بهربنا أحد..!!

وهيأت الفتاة كل الوسائل للهرب مع هذا الشاب الموسيقار وأركبها ذلك الجمل الذي وصفه لها.. فصار الشوك يخزها إذا مالت على ظهر الجمل يميناً أو شمالاً بسبب حركة سير الجمل وطبيعة الأرض التي يسير فيها وصبرت الفتاة صبر الكرام.. ولم تظهر

تألماً ولا تأففاً.. فقد أخبرها الشاب بهذا الأمر فأقدمت عليه راضية به متحملة لآلامه.!

ووصل الشاب وزوجته إلى عاصمة سلطان المشرق وبحث الشاب عن كوخ قرب قصر السلطان.. فاستأجره..وأسكن زوجته فيه.. وسكن معها وأعد الزوج بقايا أطعمة ناشفة.. وصار يأكل منها هو وزوجته.. وصار الزوج يروح ويجيء إلى زوجته ويأتي إليها بما يتظاهر أنه كسبه من قوت جاف أو مال قليل.. لا يكفي لسد حاجاتهم الضرورية.!!

ولم تظهر الزوجة أي ضيق أو تأفف بهذا الوضع الذي تعيش فيه .. وحياة التقشف التي تحياها.!!

وكان ابن السلطان يأتيها في ثياب الفقراء.. فكانت لا تشك في أنه خادم من خدم قصر السلطان..

ومرت الأيام تباعاً وحياة الزوجين تسير على وتيرة واحدة وظهرت أعراض الحمل على الزوجة الشابة.. وأبدت لزوجها أنها في حاجة إلى نقود.. لشراء بعض الحاجات الضرورية للمولود القادم.!

فقال لها زوجها.. ومن أين لي بالنقود.؟! إن كل ما يأتيني من رزق قليل آتي به إليك يوماً فيوماً.. وإذاً فلا وفر عندي ولكن لدي رأي.. قد يكون فيه حل للمشكلة فقالت الزوجة وما هو.؟! فقال:- إن السلطان سوف يتزوج في الأيام القريبة.. وسوف يكون احتفال لعرض ملابس العروس يحضره كل من أراد من أفراد الشعب.!!

وعليك أن تذهبي في هذا اليوم فإن ثوب العروس قد زين بأشرطة من حبات اللؤلؤ.. فإذا وفقت إلى اختلاس شريط من تلك الأشرطة كان في ذلك سد حاجاتنا لفترة طويلة من الزمن.!!

واقتنعت الفتاة بهذا الرأي مضطرة.. وجاء يوم العرض فذهبت في جملة من ذهب.. وكان الأمير ابن السلطان يلبس

ثياب الأمراء.! ويراقب زوجته.. حيث أنه يعرفها.. أما هي فلا تعرفه في تلك الثياب الفخمة التي يلبسها.!!

ومرت الفتاة بثوب الزفاف البراق وانتهزت فرصة قربها من الثوب فأمسكت بعدة حبات من اللؤلؤ فقطعتها.. وأخفتها في فمها.. ومرت دون أن يشعر بعملها أحد ما عدا الأمير الذي كان يراقبها مراقبة دقيقة.!!

وكان هناك مراقبون يراقبون ثوب الزفاف خوفاً عليه وخوفاً على ما فيه.. ونظروا إلى الثوب بعد أن مرت الفتاة الأميرة من عنده ومر بعدها عدة فتيات وصاح المراقبون بأن حبات من اللؤلؤ قد سرقت من الثوب ففتشت الفتيات اللاتي مررن.. فلم يوجد معهن شيء وفتشت الفتاة الأميرة فلم يجدوا معها شيء.!!

ولكن الأمير كان يراقبها ويعرف أين وضعت اللؤلؤ.. وتقدم الأمير حتى وقف أمامها.. فلم تعرفه في ثياب الأمراء.. ونظر إليها في ارتياب ثم صفعها على خدها الأيمن صفعة قوية.. تناثرت حبات اللؤلؤ على أثرها أمام الحاضرين.. فأخذوها وأعادوها إلى مكانها.. وخجلت الفتاة خجلاً شديداً.. ولم تعرف كيف تعتذر.. ولا كيف تدافع عن نفسها وأرادوا قيادتها للسجن.. ولكن الأمير قال لخدمة وأعوانه دعوا الفتاة تذهب في حال سبيلها فقد أخذنا منها ما سرقته.! ونالها من العقاب والفضيحة ما يكفي لتأديبها..وتسللت الفتاة من بين الحاضرين.. وهي تشعر بالذل والهوان.!!

وذهبت إلى بيتها المتواضع فدخلت فيه وأغلقت الباب على نفسها .. ورمت بجسمها المتهالك ونفسها المحطمة فوق فراشها واستسلمت لهواجسها وأفكارها.. التي شرقت بها وغربت.. وجعلت تلقي اللوم على نفسها وعلى عواطفها الشاذة التي ترفض أميراً وتتزوج حقيراً.. وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.!!

وما زالت في تلك الهواجس والأفكار حتى دخل عليها زوجها فخفف عنها مصابها..وسلاها وداعبها.. ووعدها بالخير وقال لها إن مع العسر يسراً.. ومع اليوم غداً وسوف تنفرج الأزمة بعد الشدة .. وستشرق الشمس بعد أفولها.!!

وطاب خاطر الأميرة.. وعادت إليها ثقتها بنفسها وتتابعت الأيام.. ورزقت الأميرة بغلام ففرح به أبوه وفرحت به أمه فرحة مضاعفة.!!

ومرت أيام النفاس بسلام وأرادت الأميرة أن تنظف نفسها.! وأن تتخلص من أدران الحمل والوضع.. وما يتبعهما.. وقالت لزوجها إنني أريد حماماً.!!

فقال لها زوجها.. إن في البلد حماماً جديداً.. افتتح في هذه الأيام.. وهو أنظف حمام وأحسنه.. وعليك أن تذهبي إليه.!

فوافقت الأميرة على رأي زوجها.. واختارا الوقت الذي تذهب فيه إلى الحمام.. وسار الزوج بزوجته نحو الحمام.. وأدخلها فيه.. وأغلقت على نفسها الباب وشرعت في مهمتها.!!

ولكن الأمير ذهب مسرعاً فخلع ثياب الصعاليك ولبس لباس الملوك ثم عاد مسرعاً إلى الحمام الذي فيه زوجته.. فقرع عليها الباب لتفتح.. ولكنها كانت مشغولة وعارية فكيف تفتح له الباب.؟!

وواصل قرع الباب ولكنها لم تفتح.. وأخيراً قبض الأمير على قفل الباب فكسره.. ودفع الباب.. ودخل إلى الحمام بلباس الأمراء.! فأخذت الفتاة ملابسها بسرعة وانزوت في جانب من جوانب الحمام فلبستها.. ودعاها الأمير لتمثل أمامه فجاءت وهي صاغرة.. ووقفت أمامه وهي ترتجف من الخوف.. وقال لها الأمير:-

كيف أدق عليك الباب عدة مرات.. ولا تفتحينه .. ولم تستطع الفتاة أن تجيبه على تساؤله.. وإنما بقيت جامدة كالصنم ورأى الأمير

حيرتها وارتباكها وخوفها.. فأراد أن يذلها ويخيفها أكثر فأكثر.!!

فسل الأمير سيفه وقال لها إن جزاءك القتل بهذا السيف ولكنني رحمة بك.. سوف أريق الماء الذي في هذا الكأس على البلاط.! وعليك أن تشربيه من فوق البلاط ..وأن لا تبقي منه شيئاً على الأرض.

وعندئذ تكلمت الفتاة وقالت يا صاحب السمو أشربه من فوق البلاط.؟! وقد اختلط بالأوساخ والمكروبات.؟! فقال الأمير ليس أمامك إلا هذا الحل أو ضرب رقبتك بهذا السيف..ولوح الأمير بالسيف المسلول في يده.!!

وعندئذ رأت الفتاة أنه لا مناص من شرب الماء من فوق البلاط.!! وأراق الأمير كأس الماء وأهوت الفتاة إليه ترشفه من فوق البلاط.! وهي في غاية الذل والهوان.!!

وعندما أتمت الفتاة ارتشاف جميع الماء.. رفعت رأسها إلى الأمير.. وهي ذليلة حقيرة.. خائفة.. لا تدري ماذا سيحدث لها بعد هذا.!!

وعندئذ أعاد الأمير سيفه إلى غمده وتبلجت أساريره وانقلب إلى شخص لطيف مسالم..وقال لها وهو يضحك:-

أرأيت أن اللقاط ابن اللقاط الذي لقط حبة الرمان من فوق البساط.!! هو الذي أرغمك على شرب الماء من فوق البلاط.؟!!

ونظرت الأميرة إليه.. وحدقت فيه النظر.. فإذا هو زوجها بلحمه.. ودمه..

وشفى الأمير نفسه.. فقد أذلها كما أذلته.. فهذه بتلك وخرج الزوجان من تلك التجارب المريرة متعادلين فلا غالب ولا مغلوب.!

وأخذ الأمير زوجته.. وأدخلها في القصر السلطاني واختار لها أوسع الأجنحة.. وأبهاها وأجملها فأسكنها فيه وأحاطها بالخدم والحشم الوصيفات.؟!

وأراد زوجها أن يهدم ذلك الحفش الذي كان يسكن فيه هو وزوجته عندما كان موسيقاراً.. ولكن زوجته اقترحت عليه بأن يبقيه.. كذكرى لذلك الحب البريء الذي لم يخضع لمال ولا جاه.! ولا مؤثرات خارجية.!!

وبقي ذلك الحفش رمزاً لتلك المعاني السامية.!! وكانت الأميرة تزوره في بعض الأوقات.. لتتذكر الماضي وآلامه اللذيذة.. وكفاحه المرهق.. ثم تعود إلى القصر السلطاني وتذكر نعمة الله عليها.!! وعاش الأمير والأميرة في وفاق.. طيلة أيام عمرهما.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

وصية والد لولده لبركات الشريف

احفظ دبشك اللي عن الناس يغنيك
اللي إلى بان الخلل فيك يرفاك
واعرف ترى مكة ولاها أن آخيك
لو تطلبه خمسة دواوين ما أعطاك
لا تنسدح يا بني وتبغيني أعطيك
جميع ما يكفيك ما حاصل ذاك
أدب ولدك أن كان تبغيه يشفيك
لو زعلت أمه لا تخليه يرهاك
واحذر سرور بغبة البحر يرميك
ولا عنده أفلس من تجزعك وبكاك
وإلى نويت احذر تعلم بطاريك
كم واحد تبغى به العرف وأغواك
واحذرك عن طرد المقفي حذاريك
عليك بالمقبل وخل من تعداك

سالفـــة:

٢٥- شيخ القبيلة الذي سحرته زوجته!!

«رويت هذه السالفة عن شخص لا أعرف اسمه وإنما تحدث بها في مجلس أبي عبدالكريم فضيلة الشيخ حمد الحقيل»

قالت الجدة للأطفال عندما اجتمعوا لديها إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة سالفة عجيبة غريبة عن شيخ القبيلة الذي ادعى أولاده عليه بأن زوجته قد سحرته.!!

فقال الأطفال بصوت واحد نعم قصيها علينا..

فاعتدلت الجدة في جلستها وشرعت في سرد سالفتها قائلة:

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي..وإلى هنا شيخ هاك القبيلة الذي متزوج من إحدى بنات عمه وقد رزق منها ستة أولاد ذكور.. كبروا وصاروا رجالاً وعضداً وساعداً لوالدهم في المهمات.. زينة وشرفاً في جميع المناسبات.!!

كما أن هذا الشيخ كان شجاعاً كريماً محبوباً يرحل قومه معه إذا رحل وينزلون إذا نزل.. ولا أحد يخرج عن رأيه.. أو يشذ عن جمعه.!!

وكان من عادة هذا الشيخ وأولاده أنه إذا نزل منزلاً جعل بيته في مرتفع من الأرض.. وحفت بيته بيوت أولاده.. ثلاثة عن

يمينه وثلاثة عن شماله..

وكبرت زوجة الشيخ وابنة عمه حتى صارت عجوزاً .. بينما الشيخ لا يزال قوياً يفيض بالمرح.. ويفيض بالحيوية.!!

واستشار الشيخ خفية بعض من يثق به في الزواج من زوجة ثانية فأشار عليه.. بالزواج من فتاة جميلة يعرفها.. وهي من قبيلة أصيلة عريقة في الشرف والعروبة.!!

وصمم الشيخ على الزواج ولكنه كتم أمر هذا الزواج خوفاً من أن تفسده زوجته القديمة وأولاده منها..

وفكر الشيخ في طريقة مفاجئة وحاسمة في هذا الزواج ووجد الطريقة حيث اختار ذات يوم عشرة من أفراد القبيلة ليس فيهم أحد من أولاده أو أقاربه الأدنين.. وأشاع بأنه سوف يغير بهم على قبيلة مناوئة.. غارة خاطفة وسوف يعود سريعاً.!!

وسار الشيخ ورفقته العشرة حتى وصلوا إلى مضارب ذلك الحي الذي وصفت فيه الفتاة التي يريد خطبتها..وحلوا ضيوفاً على والدها الذي هو شيخ قبيلته أيضاً.!!

فهلا بهم ورحب .. وأوقد النار وأكثر الحطب.. وقدم لضيوفه القهوة والشاي.. ثم قدم لهم بعد ذلك الذبائح.. في وليمة عامرة.. وبعد أن انتهى الطعام خلا الشيخ بمضيفه .. وقال له:

لقد جئتك خاطباً ابنتك.. فقال والد الفتاة أهلاً وسهلاً.. إنني لم أربها إلا لك ولأمثالك.. ودعوا بالمطوع حالاً وعقد عقد الزواج.. ودخل الشيخ بزوجته في ليلته تلك ثم أصبح الصباح.. واستأذن الشيخ في الرحيل.. وأخذ زوجته معه وعاد بها إلى مضارب قومه وعشيرته.!

وأنزل زوجته في بيت في طرف من أطراف الحي.. وعلم أولاد الشيخ بهذا الزواج.. وأخبروا والدتهم وكثر الهمس بين الأولاد



شيخ القبيلة يمثل أمام القاضي بطلب من أولاده .. ودعواهم أن زوجته سحرته وأثرت على عقله وتصرفاته.!!

وأمهم.. وتحركت في الأم عوامل الغيرة والمنافسة.. وبدأت تتزين وتكحل عينيها وتمشط شعرها.. وتلبس حليها.. وتريد من زوجها.. أن يجعل لها ليلة.. وللأخرى ليلة ثانية.. بينما كانت قبل هذا الزواج لا تنام بالقرب من زوجها.. وتعتذر بأنها كبرت ولم يبق عندها رغبات ولا شهوات..

واستجاب الشيخ لرغبة زوجته وابنة عمه.. وصار يقسم لياليه بالعدل والقسطاس بين زوجتيه، وكان الشيخ يعتذر لزوجته القديمة ويطيب خطارها ويحاول أن يطفيء من نار غضبها وغيرتها ما استطاع.! ولكن عوامل الغيرة والمنافسة كانت على أشدها.. واستمرت تلك المنافسة بين الزوجتين فترة قصيرة من الزمن ثم انتهت في صالح الزوجة الجديدة لأن المتنافستين غير متكافئتين.!!

وهدأت الأمور.. وسارت الأحوال وتقبلت الزوجة القديمة وأولادها ذلك الأمر الواقع.. على ما فيه من مرارة وألم.!!

واستولت الزوجة الجديدة على قلب زوجها ومشاعره وملكت عليه زمام أموره.. فصار لا ينزل في منزل إلا بأمرها.. ولا يرحل إلا بأمرها.!!

واشتد الأمر على الأولاد.. وازدادت حسرتهم وازدادت آلامهم.. ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً خوفاً من أن يغضبوا والدهم.!!

وضبطوا أعصابهم .. وتركوا الأمور تسير كما قدر لها.. ولكنهم لم يشعروا في يوم من الأيام إلا بالزوجة الجديدة تجعل

وسم قبيلتها على إحدى الإبل الأصائل التي لوالدهم..وحز ذلك في نفوس الأولاد أكثر فأكثر.. وقالوا فيما بينهم إن هذه الفتاة الغريبة قد سحرت والدنا.. حتى صار يسير على رغباتها.. ويحقق طلباتها ولا يخرج عما تريد.!!

فقال أكبرهم وماذا تريدوننا أن نفعل.. إننا لا نستطيع أن نصنع شيئاً..لأننا لا نريد أن نغضب والدنا.. ولا أن نشمت أعداءنا.. وسكت الأولاد على مضض.. ومرت هذه الحادثة بسلام.!!

ولكن الأولاد لم يشعروا ذات يوم إلا بالزوجة الجديدة تجعل وسم قبيلتها على ذود بأكلمه هو ذود المجاهيم.. وهو أكرم ذود عندهم وأغره.. فقد طلبت الزوجة الغريبة من زوجها هذا الذود فأعطاها إياه وسمح لها بأن تضع وسم قبيلتها على كل واحدة منه.!!

ورأى الأولاد الستة ما صنعت زوجة والدهم.!! فكادوا أن يفقدوا صوابهم.. ولكنهم تواصوا بالصبر.. وذهبوا إلى أخيهم الكبير واشتكوا إليه الحالة وقالوا إن الأمر بلغ مبلغاً لا يحسن السكوت عليه لقد سحرت هذه الفتاة الغريبة والدنا.. وهيمنت عليه هيمنة تامة.. وقد كان لا ينزل إلا بأمرها ولا يرحل إلا بأمرها فقبلنا هذا الأمر وسكتنا عليه.. ثم وضعت وسم قبيلتها على أكرم ناقة لدينا.. فقبلنا ذلك الأمر وصبرنا عليه.. والآن تضع وسم قبيلتها على ذود بأكمله .. وهذا أكرم ذود لدينا وأشرفه.؟!

لقد نفد الصبر ولم يبق في قوس الاحتمال منزع وليس لدينا شك في أن هذه الزوجة الغريبة قد سحرت والدنا.. حتى صارت بواسطة هذه السحر تتحكم فيه وتملي عليه أوامرها.!! وتسيره كما تشاء وتهوى.. وقد بلغ الأمر مستوى لا يحسن السكوت عليه..

فقال الأخ الأكبر إنني معكم في رأيكم في أن والدنا ليس سوياً.. وتصرفاته ليست سليمة.. ولا شك عندي أن هذه الزوجة الغريبة قد صنعت له شيئاً حتى صار لا يخرج عن رأيها.. ولا يرد لها طلباً.!!

ولكن ما هو الطريق إلى علاج هذا الوضع.؟! إننا إن كلمنا والدنا أغضبناه.. وقد يزداد في اندفاعه وتصرفاته هذه .. وإذاً فماذا نصنع.؟!

فقال أصغرهم إن الرأي عندي.. فقال الإخوة الباقون وما هو الرأي فقال هو أن نذهب إلى أمير منطقتنا.. وأن نشكوا عليه والدنا.. ونقص عليه تصرفاته .. ونخبره بأن هذه الزوجة الغريبة قد سحرته.. ونطلب إحالتنا نحن ووالدنا وزوجته الجديدة إلى القاضي الشرعي ليحكم في الأمر ويفصل في القضية.!! وشكا الأولاد والدهم وزوجته .!! وشك الأمير في الدعوى.. وتردد في قبول شكوى الأولاد ضد والدهم.!

ولكن الأولاد ألحوا على الأمير وأكدوا له صدق دعواهم.. وقالوا إن الشرع لا يرد عنه أحد حتى فيما يتعلق بالآباء والأبناء.. وشكوانا ليست لوالدنا.. وإنما الشكوى منصبة بكل

تقلها على تلك الزوجة الغريبة التي فعلت الأفاعيل وقلبت أدمغة الرجاجيل.. وصارت تصرفاتها مثار الشكوك والقال والقيل.!!

وأرسل الأمير رسولاً يستدعي الشيخ وزوجته الغريبة وجاء الشيخ ومعه زوجته.. وهو لا يدري بدعوى أولاده.. وعندما وصل وسلم على الأمير قال له إن أولادك قد قدموا دعوى ضدك أو ضد زوجتك أو ضدكما الاثنين.. وأنا الآن سوف أبعثكم إلى القاضي لينظر في الدعوى.!!

فاسترجع الشيخ وقال لا حول ولا قوة إلا بالله. !! أولادي يشتكونني.؟!

وذهب الجميع إلى القاضي وجلسوا في حلقة حواليه.. ونظر إليهم القاضي وقال من المدعي.. فقال الأولاد الستة بصوت واحد نحن.!!

وسأل القاضي مرة ثانية قائلاً:-

ومن المدعى عليه.؟!

فقالوا أيضاً إنه والدنا وزوجته فلانة.!! وسأل القاضي عن الزوجة فقال الشيخ إنها هنا عند الباب فأمر القاضي بأن تحضر.. وأن تسمع ما يوجه إليها من تهم وأن تدافع عن نفسها.. وتبرئها من تلك التهم.!!

وحضرت الزوجة وتكلم القاضي فقال:

أنيبوا عنكم أيها الأخوة أحدكم وليكون المتكلم منكم واحداً فأنابوا كبيرهم.!!

وسأله القاضي عن دعواه فقال إنني أنا وإخوتي نتهم زوجة والدي بأنها سحرته.. وسيطرت على عواطفه حتى انقاد لها كما يقاد البعير بالزمام.!!

فقال القاضي وما هي الأدلة على كلامك...

فقال الأخ الأكبر لقد كان والدنا سديد الرأي صائب التفكير.! معقول التصرفات حتى جاءت هذه الزوجة فصارت تسيره كما تشاء.. فلا يرحل إلا بأمرها ولا ينزل إلا بأمرها.. وأخيراً أعطاها أكرم إبله وأغلاها.. وفوضعت وسم قبيلتها على تلك الإبل وهي ذود المجاهيم.!!

هذه دعوانا على والدنا وعلى زوجته الجديدة..

والتفت القاضي إلى الوالد فقال له ما رأيك في هذا الكلام.؟!

فقال الشيخ إن الدعوى موجهة إلى زوجتي في الدرجة الأولى.! وأنا في هذه الدعوى قد وقعت بين نارين.. أولادي الذي أحبهم.!! وزوجتي التي أحبها أيضاً.!!

لهذا فسوف يكون موقفي في هذه الدعوى كشاهد.! لأن الدعوى موجهة في الدرجة الأولى ضد زوجتي.. ولن أتدخل في هذه الخصومة إلا عندما يوجه إلي فضيلة القاضي سؤالاً أو استفساراً.!!

وسأله القاضي هل سحرته زوجته كما يقول أولاده.؟!

فقال إنه لا يشعر بشيء من هذا.!! ولكن المسحور قد لا يعلم أنه مسحور.. كما أن المجنون قد لا يشعر أنه مجنون.. فالسحر شيء خفي لا يعرف إلا بآثاره.!!

فقال القاضي.. ما جوابك عن ذود الإبل التي أعطيتها زوجتك الجديدة.؟!

فقال الشيخ أما ذود الإبل فنعم أعطيتها إياه لأنني بخستها حقها في المهر عند الزواج فأردت أن أعوضها عما فاتها.. وأنا في الواقع أعطيتها الذود ولكنها هي والذود لي.. فالذود يرد ويصدر علينا.! فكأن شيئاً لم يكن.!!

وانتهى القاضي من أسئلته للشيخ وجاء دور الزوجة فوجه

إليها القاضي هذا السؤال فقال:-

لقد سمعت ما قاله أولاد زوجك.. وما وجهوه إليك من تهمة.؟! فهل هو صحيح أنك قد سحرت زوجك حتى صار ينقاد لما تريدين انقياداً أعمى.. فلا يصدر إلا عن رأيك.. فماذ تقولين في هذه التهمة.؟!

وأنصت القاضي في انتظار جواب الزوجة.. وترقب أولاد الشيخ ما ستقوله هذه الزوجة أيضاً.!!

وتكلمت الزوجة فقالت.. نعم لقد سحرته... ورفع القاضي رأسه .. وتحفز الأولاد ورفعوا رؤوسهم.. وقالوا فيما بينهم وبين أنفسهم لقد انتصرنا.. فقد اعترفت بالتهمة..ولم يبق إلا الحكم عليها.!!

فقال القاضي وكيف سحرتيه.؟!

فقالت الزوجة.. نعم سحرته.. بأفخاذي الدافئات ونهودي الواقفات.. وملكت عواطفه بخدي الأسيل وطرفي الكحيل وشعري الطويل.. إن جاء إلى البيت وجدني.. وإن دعاني أتيت أو طلب مني شيئاً لبيت لا يسمع مني إلا ما يحب..ولا يرى مني إلا ما يهوى.. إن غضب لاينت.. وإن سكت تكلمت.. وإن أنعم شكرت.. وإن قصر صبرت.!!

بهذه الخلال وأمثالها سحرته.!! فإن كان في عملي هذا ما يخالف الشرع.. أو يقدح في الشرف فاحكم أيها القاضي عليّ بما أستحقه.؟!

وبعد أن سمع أولاد الشيخ كلام الزوجة انكمشوا وعلموا أن الحكم لن يكون في صالحهم...

ونطق القاضي بالحكم قائلاً:-

لعمرك إن هذا لهو السحر الحلال الذي يبحث عنه جميع الرجال. قوموا أيها الأولاد فليس لكم دعوى على شيخكم ولا على زوجته.!!

وقام الخصوم من مجلس القاضي.. وركبوا فوق رواحلهم وساروا صفاً وحداً وفي طريق واحد.!!

وشعر الشيخ بمرارة الهزيمة على أولاده فطيب خاطرهم وشعر الأولاد بإساءتهم إلى والدهم وزوجته... فبدأوا يكفرون عن خطيئتهم.. وعلم الوالد من مجريات الدعوى أن أكثر ما أغضب أولاده.. وحز في نفوسهم هو إعطاء الزوجة ذلك الذود من المجاهيم.. ولهذا فقد فرق على أولاده إبلاً من كرائم الإبل التي يملكها.!!

وبهذا سل سخائم صدورهم.. ورضوا عن والدهم.. ولم يحاولوا في يوم من الأيام أن ينغصوا عليه تلك العلاقة الطيبة بزوجته الجديدة تلك العلاقة المشحونة بالحب والوفاق.. التي يعيش فيها شيخهم..!!

وسارت الأمور على هذا المنوال.. ولكن كل حال إلى زوال.. وكل اجتماع إلى افتراق.. وسبحان من لا يحول ولا يزول.!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

★ ★ ★

سالفـــــة:

٢٦- أبو زيد الهلالي وأمير وشيقر حديد

«رويت هذه السالفة عن ابن العم الشاب المهذب الأستاذ محمد بن علي الوهيبي وكتبتها بأسلوبي الخاص»

كان في الأطفال الذين جاءوا عند جدتهم طفل قد سمع قصصاً عن أبي زيد الهلالي فقال لجدته قصي علينا سالفة من سوالف أبي زيد فقالت الجدة حباً وكرامة ثم اعتدلت في جلستها وشرعت في سرد السالفة قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي... وإلى أبو زيد الهلالي نازل هو وجماعته في المستوي ما بين الوشم والقصيم.. وكان معهم ذياب بن غانم الفارس المشهور ونفد الطعام.. وأرادوا أن يمدوا وشيقر.. أي يرحلوا إليها لشراء ما ينقصهم من الأطعمة.. ولكن بعضهم قال لبعض كيف نشتري طعاماً وليس معنا نقود.؟!

وتكلم أبو زيد فقال إن أمير وشيقر الذي يدعى حديد

رجل غني لديه جميع ما نريده من الأطعمة.. وهو لا يعرفني فبيعوني عليه (وكان أبو زيد أسود اللون).. واشتروا بثمني ما تريدون من الأطعمة.. ثم ارحلوا واتركوني عنده وسوف أحل مشكلتي... أو أتركها للزمن يحلها.!!

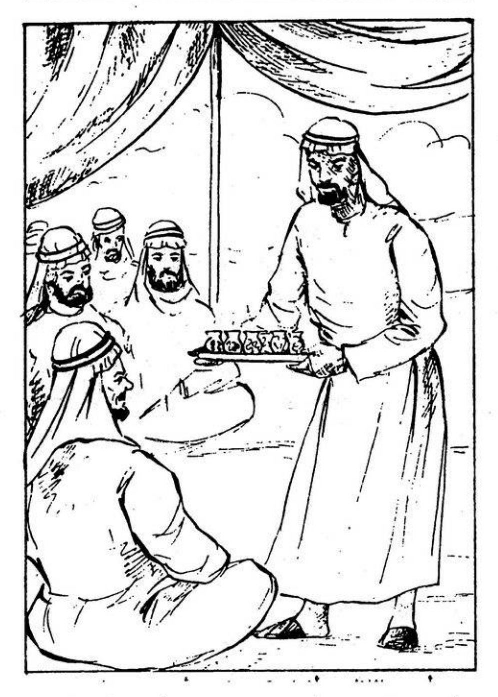
وعارض بعض الجماعة وقالوا كيف نبيع أميرنا وفارسنا بحفنات من طعام.؟! إن هذا لا يليق .. وقد يجعله الناس مغمزاً لنا..وعيباً يتحدثون به عن بني هلال كلما ذكروا.!!

ولكن أبا زيد قال إن الضروريات تبيح المحظورات وليس هناك حل غير هذا الحل لهذه المشكلة.. ومن راقب أحاديث الناس أتعب نفسه.. وليس أمامنا الآن إلا هذا الرأي الذي هو بيعي على حديد.!!

ونظر القوم بعضهن إلى بعض.. فلم يتكلم منهم معارض.. وشد القوم رحالهم وقصدوا وشيقر.. وحلوا ضيوفاً على أميرها حديد.. فأكرمهم ورحب بهم وقدم لهم واجب الضيافة ثم إن ذياب بن غانم قال لحديد:

أيها الأمير الجليل إن أهلنا وأولادنا في المستوي وليس لديهم شيء من الطعام.. ونحن ليس لدينا شيء من النقود لنشتري به طعاماً .. ولكن لدينا عبداً مملوكاً نريد بيعه عليك بثمن معلوم... وسوف نشتري بثمنه تمراً وحنطة من عندك.؟!

فاشترى منهم حديد أبا زيد بثمن معلوم.. وأعطاهم بقيمته تمراً وعيشاً .. وحمّلوا رواحلهم.. وذهبوا إلى أهليهم وخلفوا أبا زيد وراءهم يرسف في أغلال الرق والعبودية.!!



أبو زيد الهلالي بعد أن باعه قومه وقبضوا ثمنه.. يصنع القهوة والشاي لسيده وضيوف سيده

وقال حديد لأبي زيد بعد أن انصرف أصحابه إلى أهليهم ما اسمك؟ فقال أبو زيد اسمي مسعود فقال حديد: يا مسعود هل تعرف أن تروس الماء وتسقي به النخل والزرع؟ فقال مسعود: إنني لا أعرف شيئاً مثلما أعرف الرياسة وكان لحديد حديقة غناء تسقى من بئر عظيمة يخرج الماء منها كارتان.. كارة من جهة الشرق وكارة من جهة الغرب.!!

فأرسل أبو زيد إلى هذه الحديقة لكي يروس الماء .. وجاء الليل.. واشتغلت الكارتان في إخراج الماء.. وتوجيهه إلى المزارع وأبو زيد هو الذي يروسه.. أي يسقي به النخل والزرع. ويعدله من هذا إلى هذا ومن هذا إلى ذاك..

وتتبع أبو زيد الماء حتى وصل إلى منتهاه.. ونظر يميناً وشمالاً فرأى مطينة كبيرة قد أخذ منها تراب سور الحديقة كله فوجه الماء إليها... ثم توسد عصاه العجراء التي لا تفارق يده.. ونام.!

وعندما طلع الفجر توقف صرف السواقي فقام مسعود من نومه وتوجه إلى زملائه العمال... وسألوه كيف كان عمله ولعله أسقى زرعاً كثيراً.. فقال مسعود لقد انتصف الحوض.!!

وسمع العمال هذا الكلام فدهشوا.!! كيف يكون عملهم طيلة ليلة كاملة في حوض واحد مع أن العادة أن يسقوا جزءاً كبيراً من البستان وانطلق العمال إلى مكان السقي.. وعندما وصلوه نظروا.. فإذا سهرهم كله قد ضاع في المطينة.!!

ولم يقو أحد منهم أن يقول لمسعود كلمة واحدة خوفاً من

القهوة والشاي لهم ولضيوفهم.!!

واستلم مسعود أدوات القهوة والشاي.. واستراح من أعمال الفلاحة الشاقة التي كان سوف يكلف بأعمالها.. وكان عمله للقهوة والشاي في غاية الروعة والإتقان.. مع النظافة.. واللطافة في كل وقت وآن...

ورضي الأمير حديد كل الرضا عن مسعود في عمله الجديد.!!

وفي ذات يوم جاء ركب من بني هلال وصاروا ضيوفاً عندالأمير حديد.. وعلم مسعود بقدومهم.. وعلم بأنهم من فخذ بعيد عنه..ولكنهم يعرفونه تمام المعرفة... وكلف مسعود أحد مساعديه بالقيام بعمل القهوة..

وجلس أبو زيد في طرف المجلس.. وجاء بنو هلال فدخلوا على الأمير حديد.. فوجدوا حديداً في صدر المكان فاستقلبهم ورحب بهم.. ونظر أحد بني هلال في جوانب المجلس فرأوا أبا زيد الذي هو مسعود فعرفوه وقاموا فسلموا عليه.. ورد عليهم السلام.. وجلس كل في مكانه وجهزت القهوة والشاي.!!

وأديرت أكوابها على الأمير وضيوفه . وقدم الفنجال الأول للأمير حديد كما هي العادة.. ولكنه أثر به أكبر ضيوفه.. وقدمه إليه فقال هذا الضيف إنني لا يمكن أن آخذ الفنجال قبل الأمير أبو زيد.. ولم يسع الأمير حديد إلا أن يجامل ضيوفه ويعطي الفنجال الأول لأبي زيد الذي هو مسعود العبد المملوك

للأمير حديد.!!

وانتهت مدة الضيافة وذهب بنو هلال في طريقهم وعرف الأمير حديد كل شيء... ودعا مسعوداً فاعتذر منه.. وقال له لماذا لم تخبرني باسمك لأعاملك المعاملة التي تليق بك..!! إنك لست عبداً.. بل أمير وضيف معزز مكرم.!!

ولك الآن مطلق الحرية.. إن شئت أن تقيم عندنا أو شئت ان تذهب إلى قومك وعشيرتك إلا أن لي شرطاً واحداً وهو أن تعاهدني أن لا يأتيني منك ضرر أنت وجماعتك.. فقال أبو زيد أما أنا فأعاهدك أنه لا يأتيك مني ضرر ولا خيانة ولا غدر.!!

أما بنو هلال فأنا لا أضمنهم.. فهم كثيرون.. وليسوا تحت أمري.. فرضي حديد بأن يعاهده أبو زيد بأن لا يأتيه منه ضرر هو وحده.. أما بقية بني هلال فيترك موضوعهم لمناسبة أخرى.!!

وجهز الأمير حديد أبا زيد وأعد له أربعاً من الإبل محملة بالأطعمة.. وأرسل معه خادماً يخدمه ويساعده إلى أن يصل إلى أهله.!!

وخرج أبو زيد بتلك القافلة الصغيرة متوجهاً إلى أهله وعشيرته في المستوي...

وعندما وصل أبو زيد استبشر بوصوله جميع أهالي الحي... لأنه كان بحق زعيماً محبوباً يحبه الصغير ويحبه الكبير.. ويحبه الذكور ويحبه الإناث.. لأنه شجاع.. ولأنه كريم.. ولأنه

متواضع.!! ولأنه شهم يؤثر قومه على نفسه.. ويتعب نفسه في سبيل عشيرته ولهذا فقد كان يوم وصوله يوم عيد مشهود. !!

وقد قابل أبو زيد تلك العوطف الجياشة من أهله وعشيرته بعواطف الكرم والبذل والسخاء.. ففرق الأطعمة التي معه على المحتاجين من أبناء عشيرته.. وأضاف إلى أربع الإبل التي أعطاه إياها حديد أربعاً أخرى ونحر الجميع لقومه.. وأبناء عشيرته.!!

ونعم الجميع بسعادة لا حدود لها.. وأراد الخادم أن يرجع إلى بلده..فأعطاه أبو زيد تلك العجراء كهدية وذكرى لأنه طلبها منه كما طلب أن يرسم عليها وسمه ففعل.. وعاد الخادم إلى سيده حديد فأخبره بما رأى وقص عليه ما سمع.!!

وبقي أبو زيد بين جماعته في حفاوة وتكريم وأقبل الصيف وقل المرعى في الأرض التي ينزلونها.. واتفق الجميع على الانتقال إلى الدهناء والصمان ففيها من المرعى مالا ينفد في الصيف.. ولا ينفد في الشتاء.. وفي طريقهم لا بد أن يردوا وشيقر.. وأن يستقوا من الماء وأن يشتروا بعض ما يحتاجونه من أطعمة وملابس...

وورد بنو هلال مياه وشيقر في طريقهم مسالمين .!! وليس في نيتهم إثارة أي فتنة أو شر وكان معهم جار يقال له عمار الهتيمي.. وهو يسير مع بني هلال كواحد منهم...

وقفزت إحدى نياق عمار هذا في أحد المزارع وجعلت ترعى من الزرع الذي أوشك على الحصاد... ورآها صاحب

الزرع فكاد يفقد صوابه.. وكان بالقرب منه سيف فأخذه وانطلق إلى تلك الناقة التي ترعى في زرعه فعقرها.!!

وجعلت الناقة تحن وترغي.. فسمعها صاحبها.. وجاء يتبع الصوت مسرعاً فرأى ناقته معقورة فغضب غضباً أفقده صوابه وعدا إلى عاقرها.. وأخذا السيف من يده وقطع به يد الفلاح التي عقرت ناقته ثم رمى سيفه عنده وذهب في حال سبيله.!!

ورأى جيران الفلاح صاحبهم وقد قطعت يده ونزف دمه فمات فصاحوا صيحة الفزع والاستنفار... وتجمع أهل وشيقر تحت راية أميرهم حديد الذي علم بمقتل أحد رعاياه.. وكان الأمير حديد رجلاً شجاعاً مقداماً لا يهاب الموت ولا يتوانى عن منازله الفرسان.!!

وتجمع بنو هلال تحت قيادة أبي زيد الهلالي وذياب بن غانم .!! والتقى الجمعان.. وتقارع الفرسان.!! وكانت الحرب سجالاً تارة تميل الكفة لصالح أهل وشيقر وتارة تميل لصالح بني هلال وحاول كل فريق أن ينال النصر على أعدائه.!!

وتقدم الأمير حديد بكل قوته وثقله إلى الجناح الذي يقوده أبو زيد.. وجعل يقتل في بني هلال ويفتك بهم فتكاً ذريعاً.. هذا وأبو زيد يتقهقر أمام حديد ولا يشتبك معه في قتال .. وظن بنو هلال أن أبا زيد جبن عن لقاء حديد.. وانهزم أمامه خوفاً من سطوته وما علموا بالعهد الذي أخذه حديد على أبي زيد.!!

وامتلأت أرض المعركة بالقتلى من الفريقين.. وحمي الوطيس.. وبدأ فرسان كل فريق يعتزون ويتشجعون .. ويشجعون رفاقهم واختل الجناح الذي يقوده أبو زيد من جراء عدم اشتبكاك أبي زيد بحديد.. وتقهقر أبو زيد تقهقراً مريعاً.. حتى خشي بنو هلال من الهزيمة.. التي ظهرت بوادرها واضحة للعيان.!!

ورأى ذياب ما حدث في جناح أبي زيد.. وعلم أن في الأمر سراً.. فأناب عنه في جناحه أحد فرسان بني هلال.. وتقدم ذياب حتى صار وجهاً لوجه أمام حديد.. وتصاول الفارسان وتقارعا بالسيف والسنان.. وكان كل واحد منهما كفواً للآخر ونداً له.!!

وبدأت الحرب تقرب من نهايتها فإما أن يكون النصر لبني هلال.. وإما أن يكون لأهل وشيقر.. والنصر مربوط الآن بنتائج النزال الذي يخوضه الفارسان الأمير حديد من جانب أهل وشيقر.. والأمير ذياب بن غانم من جانب بني هلال..

واشتد الصراع بين الفارسين. وتطلع كل فريق إلى ذلك الصراع الهائل.. الذي عليه يتوقف مصير المعركة.. وبه يحوز النصر أحد الفريقين وصار كل فريق يشجع فارسه.. ويندبه .. ويوجه إليه كلمات الحماسة والأقدام.!!

وخشي ذياب أن يلتحم مع خصمه العنيد بين جماعته فيساعدونه. فتكون النتيجة لصالح أهل وشيقر.. وفكر في مكيدة يخرج بها من ذلك المأزق..واهتدى إليها سريعاً.. فعندما

هجم عليه الأمير حديد بكل قوته تظاهر ذياب بالانهزام.. وأسرع حديد في أثره يريد القضاء عليه.. ولكن ذياب استمر في تقهقره وانهزامه..

ولم يشك أحد من الفريقين في أن حديداً سوف يدرك ذياباً ويقتله.. ثم تنتهي هذه المعركة لصالح أهل وشيقر.. ولكن الذي حدث غير ذلك فقد استطرد ذياب للأمير حديد حتى أخرجه من بين جماعته.. وعندما صار الفارسان بالقرب من رحين وهما كثيبان من الرمل عاليان.. حرف عليه فرسه وضربه بالشلفى حتى نثر حلق درعه .. ثم هجم ذياب على حديد هجمة أخرى فضربه بالسيف ولكنها كانت ضربة غير قاتلة.!!

وصار الأمير حديد بعد هاتين الضربتين يقف موقف المدافع عن نفسه لا موقف المهاجم لخصمة.!!

وقد علم الأمير حديد بأنه أمام فارس لا يجارى ولا يبارى في الكر والفر.. والهجوم والانهزام.!!

واتجهت جميع الأنظار إلى الصراع بين الفارسين ولم يطل الانتظار.. فقد هجم ذياب على خصمه هجمة عنيفة زعزعت ثقته بنفسه.. وجعلته في وضع متخاذل لا يملك الانهزام فينجو بنفسه.. ولا يملك القوة ليدافع عنها.. وإذاً فلا مفر له فليقاتل حتى الموت فذلك أشرف له.. وأحسن أحدوثه من أن يقتل وهو مهزوم.!!

وبدأت الحلقات تضيق حول عنق حديد.. وبدأ ذياب يوالي هجماته على خصمه العنيد حتى أرهقه .. وأفقده السيطرة على نفسه وعلى أعصابه..

وعندئذ هجم عليه الهجوم الأخير.. فضربه بالسيف ضربة قوية.. أطاحت به من فوق فرسه وقد انفصل رأسه عن

جسده... وسقط في ميدان المعركة صريعاً لليدين وللفم..

ورأى هذا المنظر كل من الفريقين المتقاتلين فكبر بنو هلال وصاحوا صيحة النصر حتى زلزلوا الأرض بأصواتهم.!!

أما أهل وشيقر فقد تراجعوا إلى الوراء.. ودخلوا في بلدهم واحتموا بأسوارها وقلاعها.. وكانوا كما يقول المثل الشعبي إلى طاح شيخ القوم طفيت نارهم.!!

وانتهت تلك المعركة العنيفة التي لم يخطط لها.. وإنما كانت وليدة الصدف السيئة التي تفاجئ القوم في بعض الأحيان وتجرهم إلى مثال تلك المعارك جراً.. فلا يملكون أنفسهم عن الاشتراك فيها.. وإبلاغها نهايتها.!!

وكان من عادة بني هلال أن يسجلوا تلك المعارك وأحداثها في أشعار وقصائد تروى ويتناقلها الخلف عن السلف.. وذلك لأن الشعر أقرب إلى الحفظ.. وهو أبقى أثراً وأخلد ذكراً وأكثر تأثيراً على العواطب البشرية...

كما أن من عاداتهم الحميدة أن يسجلوا مفاخر خصومهم وأن لا يبخسوهم حقهم.. وأن يعلنوا مفاخرهم أيضاً ومواقفهم المشرفة على رؤوس الأشهاد.. وهذا طبعاً من مصلحة بني هلال .. لأنه ليس فخراً أن تنازل جباناً فتهزمه ولكن الفخر أن تنازل بطلاً فتقهره.

وعلى هذا النهج من طريقة بني هلال فقد سجل شاعرهم أحداث هذه المعركة في قصيدة شعرية لا تزال تتناقلها الرواة.. جيلاً بعد جيل .. مستشهدين بها على الأحداث والوقائع التي

جرت بين بني هلال وبين من يحاربونهم .. من أبطال الرجال.!!

وهذه القصيدة قد تكون طويلة .. مليئة بالمفاخر والمحامد طافحة.. بالأمجاد والبطولات .. ولكن الذي أبقى لنا الدهر منها هو هذه الأبيات التالية:

قال شاعر بني هلال يصف تلك المعركة الحامية الوطيس... ويذكر مزايا كل فريق:-

وردناك يا عد يسمى وشيقر
وصدرنا ضمايا والشراب وجيد
وهد لنا من نايد المال بكره
وعقرها من لا رايه عليه سديد
وجازاه عمار الهتيمي بمثلها
وقطع ساعده في الحال بالسيف وكيد
وصاحوا وصحنا واشتبكنا بجمعهم
وصارت الطرحا بينا مالها عديد
إلين حدُّونا لجينا بسلامه
والين حدبناهم لجو بحديد
حديد يحد الخيل بذويرع القنا
يعدي على فرساننا ويزيد
ثم اطرد قدمه ذياب بن غانم
وذبحه تحت هاك العدام وحيد
طعنه بشلف صنعة ابن جبارة
تودع حلاقين الدروع بديد

وعند هذا انتهى الراوي من روايته.. وتوقف عند هذا الحد.. ولكن الأحداث لم تنته.. بل بقيت تتوالى كالسلسلة التي لا يعرف أين طرفاها.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

قال الشاعر عبدالله بن صقيه في تقلبات الدهر

اللي يحسب أن الفخر كثرة المال
أو زين لبس ثيابه البيض والسود
لا بد ما تأخذه بقعا بالأمهال
واللي يصيد الناس لا بد مصيود
يسعد بها لين أقبلت شرب فنجال
وإلى أدبرت تاطا مصادير وورود
أحد تسله بالغرابيل سلال
وتحدث بكبده من تقلابها لهود
وأحد تجانب له تحده على الجال
وأحد تضيمه لين توزيه بلحود
خوانة تأخذ من الحافي نعال
بوارة شيب بها كل مالود



سالفـــــة:

٢٧- نبي الله نُوح مع عَوج بن عُنق

«رويت هذه السالفة عن الابن خالد بن عبد الكريم الجهيمان وكتبتها بأسلوبي الخاص».

قالت الجدة للأطفال إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة قصة قديمة كل القدم.. غريبة كل الغرابة .!! فاشتاق الأطفال وطلبوا من جدتهم أن تسرع في الشروع في السالفة فشرعت الجدة قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى فيه واحد من العمالقة اسمه عوج بن عنق.. وكان يعيش في زمن نبي الله نوح عليه السلام.. وكان عوج بن عنق طويلاً وعريضاً.! حتى أنهم يقولون إنه يأخذ السمك من أعماق المحيطات .. ويشويه في عين الشمس ثم يأكله.! وكان يستطيع أن يقتلع جبلاً من أساسه فيحمله على رأسه ثم يطبق به على مدينة فيهدم جميع بيوتها.. ويهلك جميع من فيها...

وأرسل الله نبيه نوح إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله

وحده.! وإلى ترك عبادة الأصنام.. ولكن قوم نوح لم يستجيبوا للدعوة.. ولم يتركوا عبادة الأصنام.. واستمر نبي الله نوح في دعوتهم وارشادهم ما يقرب من ألف عام.. ولا تستغربوا من هذا العمر الطويل فإن الأولين كانوا يعيشون آلاف الأعوام.. ولكن أعمار البشر بدأت تنقص شيئا فشيئاً إلى أن صار معترك أعمار أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي ما بين الستين إلى السبعين عاماً.!!

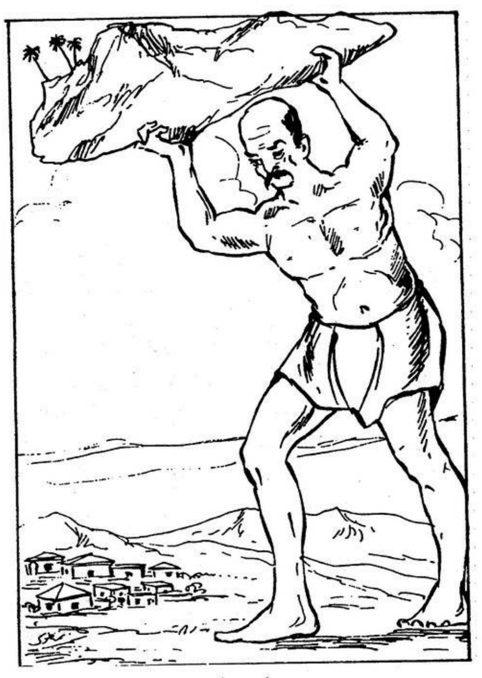
ازداد قوم نوح إصراراً على كفرهم وعصياناً لنبيهم وعندما يئس منهم نوح عليه السلام دعا عليهم ربه بأن يهلكهم.. وأن لا يبقي على الأرض منهم دياراً.!!

فاستجاب الله دعوة نبيه نوح.. وأوحى إليه بأنه سوف يغرق كل من في الأرض إلا نوحاً ومن آمن معه وما سيأخذه من أزواج الحيوان.. وأن عليه الآن أن يبني سفينة تحملهم على وجه الماء الذي سوف ترسله السماء بارداً وسوف تخرجه الأرض حاراً.!!

وبدأ نبي الله نوح في الإعداد والاستعداد للنجاة بنفسه وبمن آمن معه.!!

وفكر في الأخشاب التي سوف يصنع منها السفينة فلم يجد فيما حوله أخشاباً صالحة لهذا الشأن.. وسأل عن الأخشاب الصالحة فأخبر بأنها لا توجد إلا في مكان بعيد جداً.. ومن الصعوبة بمكان نقلها.!!

وفكر نبي الله نوح في الأمر ملياً .. ووجد الحل .. وأرسل رسولاً إلى عوج بن عنق العملاق المشهور وطلب منه أن يحضر الأخشاب من غابة بعيدة ذكر له صفاتها.!!



عوج بن عنق يحمل جبلاً كاملاً ليطبق به على أهل قرية اغضبوه في أمر من الأمور.!!

فقال عوج بن عنق إنني مستعد بإحضار كل ما تطلب ولكن على شرط .. فقال نبي الله نوح وما هو الشرط فقال عوج بن عنق.. الشرط هو أن تطعمني حتى تشبعني فقبل نبي الله نوح هذا الشرط..

وقال لعوج بن عنق كم يكفيك من رغيف .؟! هل يكفيك رغيف واحد فقال لا يكفي واثنان وثلاثة وأربعة إلى عشرة ولكنها لا تكفي.!!

وأعطاه نبي الله أربع عشرة رغيفاً ولكنها لا تكفي.!!

وأعطاه نبي الله نوح خمس عشرة رغيفاً.. فقال عوج بن عنق أنها لا تكفيني.. والشرط الذي بيني وبينك أن تشبعني فقال نبي الله نوح إنني على شرطي.. وسوف أطعمك حتى أشبعك.. ولكن عليك أن تتبع ما أقوله لك.!!

وبدأ عوج بن عنق يلتهم الأرغفة واحداً أثر واحد حتى أكل معظمها.. ورأى نبي الله نوح أنه لا يشبعه شيء.. إذا سار على هذا المنوال.. فقال له اذكر اسم الله على الطعام .. فسمى عوج بن عنق على بقايا الطعام فأكل منها حتى شبع وترك بقاياها كدليل على الشبع.!! وبعد هذه الأكلة المشبعة ذهب عوج بن عنق إلى تلك الغابة التي وصفها له نبي الله نوح وقطع منها أخشاباً عظيمة حسب المواصفات التي ذكرها نبي الله نوح ونقلها على أكتافه العريضة حتى وضعها في المكان الذي أمر بوضعها فيه.!

ونفذ عوج بن عنق الاتفاق .. ونقل جميع ما تحتاجه السفينة من أخشاب إلى المكان الذي خصص لصنع السفينة...

وانتهى صنع السفينة في الوقت المحدد.. وأمر الله السماء

فأمطرت وأمر الأرض فنبعت.. وتظافرت السماء والأرض على تكوين ذلك الطوفان العظيم الذي أهلك الحرث والنسل.. ولم ينج منه إلا من أراد الله نجاته.

وحمل نبي الله نوح أهله فقد أمر بحملهم معه.. وحمل من آمن من قومه.. وحمل من الحيوان من كل نوع ذكراً وأنثى.!!

وسبحت السفينة في ذلك الطوفان العظيم الذي بدأ يرتفع شيئاً فشيئاً.. ويبدأ يغطي وجه الأرض .. وكان لنبي الله نوح ولد عاق.. وعواطفه وأفكاره ودينه كلها تخالف والده ودعاه أبوه ليركب معهم فأبى وقال له والده إذا لم تركب معنا فسوف يكون مصيرك إلى الهلاك.. فقال له.. إنني سوف أصعد إلى قمة جبل عال.. لا تصل إليه المياه.

وألح نبي الله على ابنه في أن يركب معهم.. فالماء سوف يغطي العالي والواطي ولن ينجو من الغرق إلا من ركب في السفينة ولكن الابن العاق أصر على رأيه .. وجعل يخوض المياه التي بدأت تتزايد شيئاً فشيئاً حتى صار ابن نوح يعوم عليها.. متجهاً إلى الجبل الذي ظن أنه سينجيه من الغرق.!!

وأراد نبي الله نوح أن يتبع ابنه وأن يلح عليه في الركوب للمرة الثالثة أو الرابعة.. ولكن الأمواج المتلاطمة حالت دونه ودون ابنه .. وذهب الابن في دواماتها حتى قضت على حياته.!!

وقد حمل نبي الله نوح في سفينته من جميع الحيوانات من كل نوع ذكراً وأنثى كما ذكرنا سابقاً.. وعندما جاء الحمار ليركب تعلق إبليس اللعين في ذنبه.. وركب السفينة.. واختفى بداخلها دون أن يشعر به أحد.!!

وسارت السفينة في ذلك الطوفان بسم الله مجراها ومرساها.. وعلا الماء على أرفع مكان على وجه الأرض.. وهلك كل من بقي فوق اليابسة من إنسان وحيوان.. وانتظمت أمور أهل السفينة.. وقام كل ذي حرفة بالخدمات التي من اختصاصه.. وبدأت الفئران في التخريب لأنه طبعها وديدنها وصارت تحفر في أخشاب السفينة لتعمل لأنفسها مخابيء وبيوتاً.. وخشي من في السفينة أن تنخرق سفينتهم فيغرقوا في الطوفان.. ففزعوا إلى نبي الله نوح يوضحون له الخطر ويطلبون منه أن يدعو الله بأن يغير من طباع الفئران فلا تحفر أرض السفينة أو يهلكها قبل أن تهلكهم.

ودعا نوح ربه بأن يكف عنهم أخطار الفأر.. وأن يقي أهل السفينة من شروره.. فأوحى الله إلى نبيه بأن يعطي الأسد سعوطاً مخصوصاً. فأعطاه نوح إياه فعطس.. فنشأت من عطسته قطة بدأت تتبع الفئران وتأكلها حتى قضت على معظمها.. وأوقفت أخطارها..!! ثم أوحى الله إلى السماء بأن تتوقف عن المطر وإلى الأرض بأن تبلع ما فيها من الماء.. وبدأ الطوفان يهبط شيئاً فشيئاً حتى خرجت أعالي الجبال.. واستقرت سفينة نوح على جبل يسمى الجودي.. وخرج أهل السفينة إلى رأس الجبل.. وبدأوا ينتشرون في أطرافه. وبقوا ما شاء الله على رأس الجبل.!!

وأراد نبي الله نوح أن يعرف هل ابتلعت الأرض الماء أم أنه لا يزال له بقايا .. وبحث عن رسول فلم يجد لهذه المهمة أفضل من الغراب.. فأرسله وقال له انظر إلى الأرض هل بلعت ماءها.. وهل من الممكن أن نسير على ظهرها.؟!

فذهب الغراب في مهمته.. وعندما أقبل على وجه الأرض رأى جيفة ميتة فوقع عليها.. وبقي حولها يأكل من لحمها ويستظل بهيكلها .. ويتنعم بروائحها الزكية التي طال حرمانه منها.. ونسي الغراب الرسول والرسالة.!!

وطال انتظار نبي الله نوح.. ولكن الغراب لم يأت .. فدعى الله عليه بأن يعاقبه على إهماله .. وكان لونه أبيض فانقلب إلى أسود.. وكان يسير سيراً مستقيماً.. ولكنه أصيب باختلال في أعصاب رجليه وبتصلب فيها حتى صار لا يستطيع السير إلا قفزاً أو شبه القفز.!!

وأرسل نبي الله نوح الحمامة لتقوم بمهمة الغراب فذهبت الحمامة مسرعة.. ورفرفت فوق الأرض ورأت أنها جافة.. صالحة لسكنى البشر.. ورأت أن أوضح دليل على ذلك أن تقطع غصن زيتون وأن تذهب به إلى نوح كدليل على صدق قولها..

وهكذا وقع.. وجاءت الحمامة بغصن الزيتون إلى نبي الله نوح فاستبشر به.. وفرح بجفاف الأرض ودعا الله للحمامة بأن يزينها بزينة تبقى لها ولأولادها أبد الدهر!! فزينها بذلك الطوق الذي في رقبتها.. ذلك الطوق الزاهي البراق الذي يشبه قوس قزح والذي يحسدها عليه كثير من الطيور.!!

وهبط نوح إلى الأرض .. وتفرق أولاده.. ومن معه من المؤمنين في جوانب الأرض.. كل يختار من الأرض ما يعجبه ويحقق رغباته.!!

وبنيت القرى.. وعمرت المدن وتكاثر السكان وكان عوج ابن عنق هو الوحيد من الكفار الذي نجا من الغرق فإن ماء الطوفان لا يصل إلى مسالك أنفاسه وقد نجا من تلك الكارثة العامة لحكمة يعلمها الله.!!

وقد لحق المؤمنين منه أذى كثيراً.. حيث أنه يتصرف تصرفات ضارة.. يعتمد فيها على قوة عضلاته.. لا على قوة الحق.. وسنن العدالة.. فاشتكى المؤمنون ما يلقون من عوج بن عنق.. وطلبوا من نبي الله أن يدعو عليه ربه ليهلكه.!!

فوعدهم نبي الله نوح بذلك.. وتأخرت الدعوة .. أو تأخرت إجابتها.. وتطور الخلاف بين عوج بن عنق. وبين سكان إحدى القرى حتى أغضبوه واستثاروا كوامن حقده وغيظه.. فانطلق إلى الصحراء.. واقتلع جبلاً كاملاً من جذوره .. رفعه على رأسه وجاء به يسعى ليطبق به على تلك القرية بمن فيها..!!

وعلم أهل القرية فذهب وفدهم مسرعاً إلى نبي الله نوح يخبرونه بما حدث.. وأسرع نوح فدعا ربه بأن يهلك عوج بن عنق، فسلط الله عليه طيوراً خلق لها مناقير من حديد وجاءت إلى ذلك الجبل الذي يحمله عوج بن عنق فخرقته مما يلي رأسه.!!

ونزل الجبل من الرأس إلى الرقبة حتى صار مثل الطوق في رقبة عوج بن عنق وأمر الله ذلك الجبل بأن يضيق .. وامتثل الجبل أمر ربه فصار يضيق شيئاً فشيئاً حتى كتم أنفاس عوج بن عنق وسقط على الأرض مغشياً عليه..

وما زال ذلك الجبل يضيق حتى فصم رأس ذلك الجبار عن جسده.. فمات.. واستراح الناس بعد موته.. وشعروا بالأمان والاطمئنان.!!

وكان ذلك العملاق.. وهو آخر العمالقة.. وبعد موته فني هذا الجنس وكفى الله المؤمنين شرورهم التي لا تقاوم.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت...

سالفـــــة:

٢٨- كسرى مع عالم يعرف لغة الطير.!!

«رويت هذه السالفة عن شريط مسجل لدى الدكتور عبدالعزيز الخويطر لإحدى قريباته المسنات.»

قالت الجدة للأطفال إنني هذه الليلة سوف أقص عليكم سالفة يرويها الأحفاد عن الأجداد .. ويتوارثها السلف عن الخلف منذ قديم الزمان.. وهي قدتكون حقيقة واقعة وقد تكون خيالاً نسجه خيال حكيم ليضرب به المثل وليختط به مناهج العمل.!!

وقال الأطفال نعم قصي علينا هذه السالفة فقالت الجدة حباً وكرامة وشرعت في سالفتها قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك المملكة الواسعة الرقعة المترامية الأطراف.. وكانت هذه المملكة يحكمها سلاطين يتوارثون الملك كابراً عن كابر.. ومملكتهم مزدهرة.. وجانبهم مرهوب .. وأمور دولتهم ثابتة الأركان.. وموطدة البينان...

وفي فترة من فترات التاريخ انتقلت مقاليد السلطنة إلى

سلطان قد ألف الدعة والسكون.. واللهو والعبث والمجون.. وقد أحاطت به حاشية من نفس هذا الطراز يحفون به من كل جانب ويزينون له ما هو فيه ويبعدون عنه جميع الناصحين المخلصين من رجال مملكته.!

وقد شعر الأمراء والولاة بالوضع الذي يعيش فيه سلطانهم من إعراض عن شؤون مملكته.. وعدم الشعور بمسئوليته وترك الأمور للأمراء والنواب يعملون في الرعية ما يشاءون ما داموا يؤدون للسلطان ما اعتاده من أنواع الأموال والهدايا والتحف في كل عام.!!

واستمر السلطان على هذا النهج حتى خربت البلاد وتضرر العباد.. وهلك الزرع وجف الضرع كل ذلك بأسباب الظلم والجور الذي تلقاه الرعية من نواب السلطان وأمرائه.!!

وقد حاول عدة رجال مخلصين في عدة مناسبات إبلاغ هذه الحالة إلى السطان.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إليه.!!

واشتدت الحالة السيئة بالرعية وتعاظم البلاء.!! وسلطانهم سادر في لهوه وعبثه لا يدري بما تعيش فيه الرعية..

وتململ الناس وضاقوا بهذا الوضع الذي ينتقلون فيه من سيء إلى أسوأ..

وكانت إحدى إمارات هذا السلطان قد نفد صبرها فهرعت إلى أحد رجالها الحكماء.. وأوضحت له الوضع السيء الذي تعيش فيه وطلبت منه أن يتوجه إلى السلطان وأن يبلغه بحالة الجور والطغيان الذي تعانيه رعيته وأن يطلب منه تغيير هؤلاء الحكام وإبدالهم بمن هو أحسن منهم ومراقبة الأمراء الجدد وعقوبة من تجاوز حدود العدالة والإنصاف منهم.!!



الرجل الذي يعرف لغة الطير أمام السلطان.. يقص عليه من أنبائها.!! ويحدثه عن أسرار أحاديثها

وقال لهم هذا الحكيم أنه لا سبيل للوصول إلى السلطان بسرعة ولكن أعطوني وقتاً أفكر فيه.. وألتمس الطريقة التي أستطيع بها أن أصل إلى السلطان.. والنهج الذي أستطيع أن أؤثر به عليه.!! ووافق المواطنون على هذا الرأي وتفرقوا على أن يجتمعوا عند الحكيم بعد بضعة أيام.!!

وعاد المواطنون إلى ذلك الحكيم في الموعد المحدد وعندما تكامل جمعهم لديه قال لهم لقد اهتديت إلى طريقة ناجحة للوصول إلى السلطان ولإقناعة بسلوك طريق يحد به من جور الولاة وعسفهم وطغيانهم.. ولم يسأل المواطنون هذا الحكيم عن الطريقة التي اكتشفها فهم ليسوا من الفهم والعمق بالدرجة التي يستطيعون فيها أن يناقشوه في آرائه ليضيفوا إليها شيئاً جديداً يساعد في حل قضيتهم.. ولهذا فقد شكروا الحكيم ودعوا له بالتوفيق في مهمته.!!

وقال لهم الحكيم إن الخطة التي رسمتها تحتاج إلى مال.. إلى كيس من ذهب وكيس من فضة.. ولبى المواطنون هذا الطلب وجمعوا للحكيم ما طلب من مال هم في أشد الحاجة إليه.. ولكنهم اقتطعوه من قوتهم وقوت أولادهم أملاً في إصلاح وضعهم الذي يعيشون فيه.!!

وقال الحكيم للقوم اختاروا منكم اثنين لأفضي إليهم بسر هذه النقود وليذهب الباقون إلى أعمالهم .. وتفرق المواطنون بعد أن اختاروا شخصين حسب طلب الحكيم.!!

وقال الحكيم إنني أريد منكما أن تدفنا كيس الذهب في المكان الفلاني وتضعا فوقه هذه العلامة التي لا يعرفها إلا أنا .!!

ثم تدفنان كيس الفضة في المكان الفلاني وتضعان فوقه هذه العلامة.. وليكن ذلك سراً خفياً لا يعلم به أحد لأن هذا السر إن اكتشف فسد تدبيرنا كله... وذهب بجهودنا أدراج الرياح...

وذهب الاثنان بصرة الذهب وصرة الفضة فدفنا كل واحدة منه في مكانها.. ثم جاءا فأخبرا الحكيم وعندئذ بدأ الحكيم في شد رحاله إلى رحاب السلطان وعندما وصل إلى العاصمة اختار منزلاً قريباً من قصر السلطان..!!

وبعد أن استقر في المدينة وأزال عنه وعثاء السفر ومتاعبه.. لبس أحسن ملابسه فصار مظهره يوحي بالمهابة والوقار والحشمة وسار حتى وقف بباب السلطان وقال للحاجب إنني غريب جئت من بلاد بعيدة بقصد السلام على مولانا السلطان ولأزف إليه بشرى برؤيا تخصه شخصياً.!!

وقال الحاجب للحكيم اكتب رؤياك هذه وتأويلها في ورقة وأعطني إياها لأقدمها للسلطان .. فقال الحكيم:

إن هذه الرؤيا لها ظروف وملابسات ويحتاج من يسردها إلى كثير من الرموز والإشارات التي قد لا يستطيع القلم أن يسجلها.. ولهذا فإنني أطلب مقابلة السلطان لأقص عليه الرؤيا شفهياً.. وأشرح له رموزها وخفاياها. وما يندرج في طواياها.

وكان هذا السلطان كما كنا قلنا قد ضرب حوله سياجاً قوياً للحيلولة بينه وبين رعاياه فلا يصل إليه أحد مهما كانت مكانته...

إلا أن الحاجب قد أثرت عليه شخصية الحكيم.. ولهذا فقد ذهب للسلطان وأخبره بخبر هذا الوافد الغريب.. كما أخبره

بجميع ما دار بينه وبين هذا الغريب من حديث..

وصادف الحاجب ساعة رضا من السلطان كما أن كثيراً من رجال الحاشية لم يكونوا حاضرين لديه.!!

فأذن السلطان لهذا الحكيم بمقابلته ليقص عليه ما رأى من أحلام.!! وليخبره بتأويلها.!!

وتقدم الحكيم إلى السلطان فسلم عليه بأدب ووقار وتكلم فأحسن الكلام.. هذا والسلطان مصغ إليه منصت لحديثه...

وطال الحديث بين الحكيم والسلطان ولم يذكر الحكيم قصة تلك الرؤيا.!!

وسأله السلطان عن الرؤيا.. فقال له الحكيم يا عظمة السلطان إنه لا رؤيا عندي ولكنني تذرعت بهذه الحيلة للوصول إلى عظمتكم.. ولكن لدي ما هو أحسن من الرؤيا.!!

فقال السلطان وما هو.؟!

فقال الحكيم لقد ألهمني الله معرفة منطق الطير.. فلا يخفى علي شيء من معاني نعيقها وصفيرها.. وهديرها.. والطير يا عظمة السلطان ترى ما لا نرى.. وقد أعطاها الله القدرة على قطع المسافات البعيدة في الوقت القصير كما أعطاها النظر الحاد حتى أن الهدهد يرى طبقات الأرض السفلى ويعرف ما فيها من ماء وكنوز.!!

وتعجب السلطان مما سمع .. وقال للحكيم إننا نريد أن تبقى عندنا فترة من الزمن لنتحقق من دعواك ونسبر طواياك.!!

وبقي الحكيم بجانب السلطان.. وبينما كانوا كذلك إذ بغرابين يمران من فوق رؤوسهم ويرسل أحدهما نعيقاً متواصلاً لزميله... فقال السلطان للحكيم ماذا يقول هذا الغراب.؟!

فقال الحكيم يا عظمة السلطان إنه يقول إن بالمكان الفلاني كنزاً من الذهب.!!

وأرسل السلطان جماعة من ثقاته.. ليحفروا الكنز ويحضروه إلى عظمته.!!

وغاب بغاة الكنز فترة من الزمن ثم عادوا يحملون الكنز بين أيديهم.!!

وانتهى ذلك اليوم بنجاح باهر للحكيم .. وذهب كل إلى منزله.. وأنزل الضيف في منزل خاص معززاً مكرماً..

وجاء اليوم الثاني وجلس السلطان مع حاشيته والرجل الحكيم بينهم في انتظار مرور طير آخر ليترجم لهم الحكيم لغته ويوضح لهم معاني كلماته..!!!

وبعد زمن قصير جاء غرابان يطيران لا ندري هل هما الغرابان اللذين مرا بالأمس أم غرابان آخران.!!

ونعق أحدهما لزميله عدة مرات وهو يطير - فقال السلطان للحكيم ماذا يقول هذا الغراب.؟!

فقال الحكيم إنه يقول إن بالمكان الفلاني كنزاً من فضة.!!
وأرسل السلطان جماعة من الحاشية وبعد فترة قصيرة جاءوا والكنز بين أيديهم.!!

وبعد هاتين النبوئتين أو الامتحانين صدق السلطان وجميع حاشيته بأن الرجل الذي بين ظهرانيهم حكيم مجرب يعرف لغة الطير.. ويعرف إشاراتها... فعظم في عين السلطان كما عظم في عين كل فرد من أفراد الحاشية.!!

لهذا طلب السلطان من هذا الحكيم أن يكون من جملة حاشيته وجلسائه ومستشاريه.. فرحب الحكيم بهذا الشرف

العظيم والثقة الغالية التي منحها إياه عظمة السلطان.. واستمر هذا الحكيم بجانب السلطان يحضر مجالسه العامة.. ويشارك في الأحاديث التي تجري في مجلسه.

وأعجب السلطان بهذا الحكيم وبحسن حديثه .. وبعد نظره.!! وصواب تقديراته...

وبينما كان السلطان ذات يوم في مجلس عام.. مر من فوق رؤوسهم غرابان للمرة الثالثة... وصار أحدهما ينعق لزميله نعيقاً منكراً.. فقال السلطان للحكيم ماذا يقول هذا الغراب.؟!

وسنحت الفرصة الآن للحكيم لكي يقول ما يريد قوله من آراء الإصلاح على لسان الغراب.. وأعاد السلطان القول في أن يعرف من الحكيم ماذا قال الغراب.. هذا والحكيم مطرق برأسه مستغرق في التفكير.!!

ورفع الحكيم رأسه وقال يا عظمة السلطان إن هذا الغراب ينعق لزميله بكلام يتعلق بي شخصياً.. لا علاقة لأحد فيه.. إذا أراد عظمة السلطان أن يعرف ماذا قال الغراب بشأني فإنني أطلب من عظمته أن يكون الحديث بيني وبينه خاصة.!!

وقام السلطان من مجلسه حالاً وأخذ بيد الحكيم وانفرد به في غرفة حصينة خاصة.!! وعندما استقر بهما المجلس قال الحكيم للسطان يا عظمة السلطان إن هذا الغراب تحدث لزميله بحديث يخصكم شخصياً ويعم جميع مملكتكم الزاهرة العامرة إن شاء الله.!!

ونظر عظمة السلطان إلى الحكيم نظرة جد واهتمام وقال ماذا قال الغراب.؟!

فقال الحكيم لقد قال إن شؤون المملكة إذا استمرت الأمور

على ما هي عليه سوف تتقهقر وتنتقل من سيء إلى أسوأ وسوف تكون مدنها وقراها مأوى للبوم والغربان بعد أن تكون خراباً يباباً.!!

وتحفز السلطان وتوترت أعصابه.. وقال ماذا حدث في مملكتي حتى تؤول أمورها إلى ما ذكر هذا الغراب.؟!

فقال الحكيم إن الغراب يقول إن الولاة يظلمون الرعية ويسومونهم سوء العذاب ويحكمونهم بالهوى لا بالشرع ويتصرفون في الشؤون العامة حسب ما تملي عليهم مصالحهم .!! ولا أحد يستطيع أن يصل إلى السلطان ليزيل ظلامته ويعاقب الولاة المنحرفين.!!

وسمع السلطان ما قاله الحكيم بيقظة وتفهم .!! وتعجب من هذا التدهور في شؤون مملكته.. وكيف يحدث مثل هذا ولا يعلم عنه شيئاً.؟!

وقال السلطان للحكيم وما رأيك في مناهج الإصلاح وتفادي الأخطار.. والسير بأمور المملكة في معارج الرقي والاستقرار والازدهار.؟!

فقال الحكيم أيها السلطان العظيم إن هذا أمر خطير يحتاج إلى كثير من التفكير والتروي فأعطني يا عظمة السلطان وقتاً لتدبر الأمر.. وتقليب الرأي على وجوهه حتى نهتدي إلى طريق يضمن المصلحة ويحقق المطلوب.!!

وأعطاه السطان الوقت اللازم للتفكير.. وخلى الحكيم بنفسه بضعة أيام وهو يفكر ويقدر ويرسم خطة ثم يعدل عنها إلى خطة أخرى حتى اهتدى أخيراً إلى رأي يرضي السلطان ويحقق المصلحة.. ويجعل الولاة والأمراء يعدلون عن كثير من ألوان

العسف والجور الذي يمارسه كل واحد منهم في إمارته أو ولايته.!!

وجاء الحكيم إلى السلطان.. وقال يا عظمة السلطان إنني أعلم حق العلم حبك للعدل.. ونشدانك الإصلاح كما أعلم أن مصدر الشر هو من استبداد الولاة والأمراء وممارستهم ألواناً من الظلم والحيف التي لا تبلغ عظمتكم.!!

ولهذا فإنني أرى أن يعلن في جميع ولايات المملكة أن بابكم مفتوح لكل متظلم أو مبخوس الحق.. والتأكيد في نفس الوقت على الولاة بأن يلزموا جانب الحق والعدالة وأن أي واحد منهم ينحرف عن هذا الطريق فإن عقابه سيكون شديداً ورادعاً.!!

واقتنع السلطان بهذا الراي وأصدر تعليماته بأن يعمم على أجزاء مملكته بفتح بابه للمتظلمين والمتضررين وعمم على الولاة بهذا الاجراء. ووجه إليهم تعليمات مشددة بلزوم جانب العدالة والإنصاف والرفق بالرعية.. وأخذ الحق منهم بطرق لا تضرهم.. ودفع حقوقهم كاملة غير منقوحة.!!

وسارت تلك الأخبار السارة في جميع أجزاء المملكة وصار لها صدى من الرضا والقبول من جميع المواطنين أما وقعها على الحكام والأمراء فقد كان سيئاً للغاية فقد بدأوا يتخوفون ويتضجرون.. وبدأوا يتحرون الحق والعدالة .. ويتحببون إلى الرعية.. ويبذلون لهم حقوقهم كاملة غير منقوصة.!!

أما ما كان من السلطان فإنه وضع جرساً على بابه ووضع عند الجرس أمناء وحراساً أوصاهم بأن أي مظلوم عليه أن يقرع هذا الجرس.. وعلى الأمناء والحراس أن يراقبوا هذا الجرس فإذا قرعه أي مظلوم فإن عليهم أن يأخذوه ويدخلوه إلى السلطان

ليسمع شكواه .. ولينصفه ممن ظلمه.!!

ومر أول يوم وثاني يوم وثالث يوم والجرس لم يقرع.!! وجاء اليوم الرابع.. وبلغ السلطان بأن صوت الجرس يدق.. وأمر بأن يؤتى بالشخص الذي دقه بين يديه ليسمع شكواه بنفسه وليزيل مظلمته.!!

وأطل الحراس فلم يروا أحداً.

وجاء اليوم الخامس فدق الجرس وأطل الحراس بسرعة فرأوا أن حية هي التي تدق الجرس.. فأخبروا السلطان بذلك.. فأمر بأن ينظر إلى الحية فإن كان لحقها نوع من الظلم فليزل عنها ولتنصف.!!

وزحفت الحية إلى جحرها وتبعها الحراس فلما وصلت إلى جحرها دخلته ثم أخرجت منه ولداً لها كان قد رمي بعود يشبه الحربة فأخترق فكيه وأقفلهما حتى لا يستطيع أن يأكل.!! وبقي هكذا حتى أشرف على الموت.!!

وكان من حسن حظ الحية أن نودي في الناس بأن يتقدم إلى السلطان كل من له مظلمة... وعندما أخرجت الحية ولدها.. ورأى الحراس ذلك السهم وذلك الظلم الذي ألحقه بالحية بعض بني الإنسان.. وعلموا قصد الحية ... تقدم أحدهم وانتزع ذلك السهم من فكي الحية حتى انطلق فكاها فصارت تفتحهما وتقفلهما في بهجة وسرور وحيوية.!!

وعاد الحراس إلى السلطان ليزفوا إليه هذا الخبر العجيب الغريب. وعندما وصلوا إلى السلطان كان في انتظارهم.. وفي انتظار ما سوف يخبرونه به من أخبار الحية.!!

وعندما جاء الحراس إلى السلطان أخبره بما رأوه وما فعلوه بشأن الحية ففرح السلطان فرحاً شديداً حيث فرج عن

مكروب.. في ذلك اليوم وجلب الفرحة والبهجة لأسرة من الأسر الصغيرة.!!

وعندما جاء اليوم التالي وإذا بالجرس يقرع وأطل الحراس فرأوا أن الحية هي التي تقرعه.. فأخبروا السلطان فقال لهم اتبعوها.. فتبعوها حتى دخلت في جحرها.. وانتظر الحراس عند باب الجحر ليروا ماذا تفاجئهم به الحية.!!

وبعد أن انتظروا قليلاً لم يشعروا إلا بالحية تدحرج عليهم لؤلؤتين كبيرتين نادرتين.!! بل إن الراوي خشي من أن يتهم بالمبالغة.. وإلا لقال إنه لا يوجد في العالم مثلهما كبراً وصفاءاً ورونقاً!!

وجاء الحراس باللؤلؤتين إلى السلطان وعندما رآهما بهره جمالها وكبر حجمهما الذي لم يسبق أن رأى مثله على كثرة ما رأى.!!

وقال السلطان لقد أنصفنا الحية وأزلنا عنها الظلم الذي لحق بولدها فأرادت أن تكافئنا بهاتين اللؤلؤتين .. وهذه هي أولى ثمرات العدل والإنصاف .!!

وكان السلطان مهتماً بهاتين اللؤلؤتين إلى أبعد الحدود.. ولهذا فقد أمر بأن يؤتي إليه بكبار تجار اللؤلؤ .. والخبراء الذين يعرفون درجاته من الجودة أو الرداءة.!!

وجاء تجار اللؤلؤ وخبراؤه إلى السلطان فأخرج إليهم تلك اللؤلؤتين.. وسألهم عن رأيهم فيهما هل سمعوا أو علموا أنهما كانتا عند أحد فباعهما.!!

وفحص تجار اللؤلؤ تلك اللؤلؤتين... فدهشوا جميعاً لكبر حجمهما وصفاء لونهما.. كما بهرتهم تلك التموجات المضيئة

التي تتراءى لناظرهما.!!

وقرروا جميعاً أن هاتين اللؤلؤتين لا يوجد لهما نظير في العالم حسب ما يعرفون ... كما قرروا أنهم لا يعرفون لهما مالكاً لا في قديم الزمان ولا في حديثه.!!

وتعجب السلطان من هاتين اللؤلؤتين.!! وقال لتجار اللؤلؤ لا بد أن أعرف تاريخهما.. ففكروا في الطريق الذي ينبغي أن أسلكه لأصل إلى معلومات صحيحة عن هاتين اللؤلؤتين.!!

وسكت التجار والخبراء.. والكل منهم يفكر في الطريقة التي يراها موصلة لما يريده السلطان.!! وقال رئيس تجار اللؤلؤ بعد صمت طويل:-

يا مولاي إن هناك طريقاً ولا غيره.. فقال السلطان وما هو.؟!

فقال هو أن يأمر السلطان بإحضار الشخص الفلاني ليسأله عن هاتين اللؤلؤتين فإن لم يجد عنده خبراً عنهما فإن تاريخ هاتين اللؤلؤتين سوف يبقى مجهولاً إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين .!!

وكان هذا الرجل الذي ذكره شيخ تجار اللؤلؤ.. من أرباب هذه الصنعة المعمرين الذي قيل إنه يبلغ من العمر مائة وخمسين سنة.!! وقيل إنه يبلغ مئتي سنة.!!

وطلب السلطان إحضار هذا الخبير المعمر فأحضر .. وعرض عليه السلطان تلك اللؤلؤتين ففحصهما.. فأخذ بجمالها وكبرهما وصفاء لونهما وقال السلطان لهذا الشيخ الخبير لقد جئت بك لأسألك عن تاريخ هاتين اللؤلؤتين.؟! وهل يوجد في العالم لهما نظير.؟!

فقال الشيخ الخبير.. إنني على كثرة ما رأيت من اللؤلؤ لم أرَ

مثل هاتين اللؤلؤتين... ولهذا فإنني أقرر أنهما لا نظير لهما في العالم.. أما تاريخهما.. فليس لدي معلومات أكيدة عن هاتين اللؤلؤتين بالذات ولكنني سمعت من قديم الزمان حادثة قد يكون في تضاعيفها ما يعرف منه تاريخ هاتين اللؤلؤتين.!!

فقال السلطان وما هي هذه الحادثة.؟!

فقال الشيخ الخبير لقد أخبرني والدي عن جدي أنه في حكم سلطان من آبائك العظماء باعت أسرة من الأسر أرضاً زراعية على أسرة أخرى بثمن معلوم دفع عند عقد البيع.!!

وعندما حرثت الأرض لزراعتها وجد فيها مشتروها كنزاً ثميناً فذهب المشترون إلى البائعين وقالوا لهم إننا وجدنا في الأرض المشتراه منكم كنزاً ونحن قد اشترينا الأرض ولم نشتر الكنز ولهذا فنحن نعيد إليكم الكنز الذي لم يدخل في المبايعة.!!

وقال أهل الأرض لقد بعناكم الأرض بما فيها من الطبقة الأولى إلى الطبقة السابعة.. ولهذا فإن الكنز تابع للأرض والأرض تابعة لكم وعلى هذا فالكنز لكم.!!

وتشبثت كل أسرة من الأسر بوجهة نظرها فلا المشترون يأخذون الكنز ولا البائعون يقبلون إعادته.!!

وعلمت الحكومة التى على رأسها سلطان من أسرتكم الكريمة العريقة في المجد والسؤدد فلم تتدخل بين الأسرتين ولم تطلب أن تكون طرفاً ثالثاً في النزاع على هذا الكنز .. بل تركت الأمر للبائعين والمشترين.. فما تراضوا عليه نفذ.!!

وبقيت كل أسرة عند موقفها لا تريم عنه.. وأخيراً اختاروا رجلاً عالماً تثق كل أسرة من الأسرتين بحنكته وصواب رأيه... فحكّمت الأسرتان هذا العالم ليفض النزاع وليحكم في هذا الكنز

لمن هو .. واتفقت الأسرتان على قبول ما يحكم به الرجل العالم وإنهاء الخلاف القائم بينهما.!!

وفكر الرجل العالم في الأمر وبحث شؤون الأسرتين فعلم أن لإحدى الأسرتين فتاة في سن الزواج كما أن للأسرة الأخرى شاباً هو الآخر في سن الزواج.!!

فاقترح هذا المحكم الحكيم أن تزوج الفتاة بالفتى .. وأن يكون الكنز هو الصداق في هذا الزواج .. وأن تمنح الأرض الزراعية للشابين العروسين... لتكون مورداً لهما يعيشان منه.!!

وقبلت الأسرتان هذا الحكم برضى وسرور بالغ.!!

وزفت الفتاة إلى الفتى ودفع الكنز للعروسين... وحرثت الأرض ثم زرعت لحسابهما... ذرة وقد بلغني يا عظمة السلطان أن تلك الذرة عندما أينعت وحان قطافها وجدوا أن ثمرتها لؤلؤاً.! إلا أن هذا اللؤلؤ ليس بحجم واحد بل فيه الكبير وفيه الصغير وفيه المتوسط.. كما أن فيه بعض الحبات الكبيرة النادرة الوجود.!!

وقد تكون هاتان اللؤلؤتان يا عظمة السلطان من ثمرة تلك الذرة أخذتهما الحية واحتفظت بهما في جحرها.. ثم دفعتهما مكافأة لمن أنقذ ولدها من ذلك السهم الذي كاد أن يقضي على حياته.!!

وسمع السلطان هذه الحادثة فعجب منها أشد العجب.! وقال إننا لن نكون أقل من آبائنا وأجدادنا عدالة وأمانة.!! وأمر السلطان في التو والساعة بالسؤال عن الأسرة مالكة الأرض... وبعد البحث الطويل وجد أن هذه الأسرة قد انقرضت ولم يبق منهم أحد يمكن أن تدفع إليه اللؤلؤتان اللتان يظن أنهما أخذتا من مرزعة الذرة.!!

وقال السلطان لجلسائه ومستشاريه إن هاتين اللؤلؤتين دفعت لنا مقابل إنصاف وعدالة بذلناهما.. والعدل والإنصاف حق واجب علينا أن نبذله لكل فرد من أفراد رعيتنا .. لا نستحق عليه أجراً ولا مكافأة ولهذا فإنني أرى أن توضع هاتان اللؤلؤتان في صندوق الدولة ولمصالح الأمة.؟!

وسمعت الحاشية هذا الرأي من السلطان فحبذوه وأثنوا على عظمة السلطان .. وأطروا عدالته.. ونزاهته .. وبعد نظره.!!

وعلق الحكيم الذي يعرف لغة الطير قائلاً: - ولقد عاشت الرعية يا مولاي السلطان في ظل جدكم العظيم في أمن ورخاء وعدالة وإنصاف .. كما عاش جدكم بين رعيته محبوباً مشكوراً مطاعاً.!! وأردف هذا الشيخ الحكيم كلامه بهذه التمنيات قائلاً:-

إنني أرجو يا عظمة السلطان أن يوفقكم الله لسلوك تلك المناهج لتسعد بكم الرعية.. وتسعدوا بها.. ولتعيشوا في حب متبادل.!! يسعد في ظله الصغير والكبير.. والرئيس والمرءوس.!!

وسمع السلطان هذا الكلام .. فكأنما قيل له «اصحا يا نيم» ونفى عن نفسه تلك الحاشية الفاسدة.! المفسدة.!! وقرب المخلصين الصادقين الأقوياء فكانوا هم مستشاروه وأمناؤه وولاته.!!

وعاد الرخاء والرضا يظلل جميع أفراد الرعية.. وعاش الجميع في طمأنينة وأمن وسلام.! وجاء الراوي من عندهم.. لم يعطوه لؤلؤة كبيرة ولا صغيرة.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سالفـــــة:

٢٩- الأمير الهارب والفارس الملثم

«رويت هذه السالفة عن الابن محمد بن إبراهيم
الجهيمان وكتبتها بأسلوبي الخاص»

اجتمع الأطفال عند جدتهم كالمعتاد وبادر أحد الأطفال قائلاً إنني سوف أقص عليكم هذ الليلة - إذا قبلتم - سالفة قصها علي جدي وهي سالفة عجيبة غريبة.!!

فقال الأطفال بصوت واحد نعم قصها علينا ووافقت الجدة أخيراً على أن تكون مستمعة.!!

وشرع الطفل في سالفته قائلاً:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي هو أمير قبيلته وصاحب الأمر والنهي فيها لا ينازعه منازع.. ولا يرقى إلى مكانته في النفوس أي شخص حتى من أسرته.. وكان يسود قومه بالخلال الكريمة من كرم وشجاعة وإيثار.. ولطف وإيناس.! حتى أحبه الكبير والصغير.. والقريب والبعيد.!!

وكان لهذا الأمير زوجة من أبناء عمه إلا أنه لم يرزق منها أولاداً .. وطال صبر الأمير.. وطال الانتظار.. لكن الله فرج الكربة وحملت زوجة الأمير وأنجبت ولداً ذكراً .. فرح به والده وفرحت به والدته وفرح به كل فرد من أفراد القبيلة الذين يكنون لوالده أكرم الحب وأنقى العواطف.!!

وكبر الوليد بين رعاية والده.. وعطف والدته.. وتطلع جميع أفراد القبيلة إلى نموه وشبابه.. أملا في أن يكون أميراً لهم بعد والده.! فيكون خير خلف لخير سلف.!!

وكبر الوليد وأحاطه والده بالمدربين والمجربين .. فتدرب على الفروسية وسمع قصص الشجعان .. وأساطير الكرم والإيثار.!! وشيم العرب الكريمة .. ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره عرض عليه والده أن يزوجه من إحدى بنات عمه فوافق الشاب على ذلك... وذهب هو ووالده إلى ابن عمه الذي لديه فتاة جميلة يعرفها الشاب تمام المعرفة ولا يرى مانعاً من زواجه بها.!!

وعندما حل الأمير وابنه في منزل ذلك الرجل استقبلهم استقبالاً حاراً.. ورحب بهم أكرم ترحيب.. وقدم لهم الضيافة اللائقة وقال الأمير لضيفة لقد جئناك خاطبين ابنتك لابني.. ففرح والد الفتاة.. وقال لابن عمه الخاطب.. إنك أنت والدنا ووالدها.!! بل أنت والد الجميع .. والذي تريده لا بد أن يكون.. وأنا أوافق على تزويج ابنتي لابنك هباس.!!

وفرح الشاب.. وفرح والده بتلك الكلمات التي فاه بها والد العروس.. وشكروه على الموافقة على هذه الخطبة وعندما انتهت تلك الجلسة ودع الأمير وابنه مضيفهم وكرروا له شكرهم.!!



الأمير الشاب الهارب يلتقي بالفارس الملثم في الصحراء
ويسيران معاً في طريقهما المجهول.!!

وعادوا إلى والدة الشاب فأخبروها بموافقة والد الفتاة على الخطبة.. ففرحت الوالدة .. لأنها تعرف الخطيبة تمام المعرفة.!! تعرف أصالتها... وتعرف عقلها ورزانتها وتعرف جمالها وأناقتها.!!

وبدأت الاستعدادات للزواج .. وعقد عقد النكاح بين الشاب والفتاة.. وقدم المهر.. وجاءت ليلة دخول الشاب على عروسه.. فاجتمع فتيان الحي وفتياته.. فأحيوا تلك الليلة طرباً ولعباً.. وملأوا الجو بأهازيجهم ونغماتهم الحلوة.!!

وعاش الشاب مع زوجته الشابة في وئام تام وحب متبادل وسعادة لا حدود لها.!!

وبعد بضعة شهور من زواج ابن الأمير قدر الله على والده فتوفي.. ولكنه توفي وهو قرير العين فقد خلف من يحيى ذكره ويخلد اسمه.. ويحتل محله في زعامة القبيلة.. فقد رباه تربية حسنة.. وزوجه بفتاة من كرائم فتيات الحي ودربه على الحياة.. وغرس في نفسه كرائم الشيم.. ونفائس الأخلاق.!

مات والد الفتى وهو قرير العين.. هادىء البال... واجتمع كبار رجال العشيرة فنادوا بابن الأمير أميراً عليهم واحتل الشاب مكان والده.. ولكنه لم يملأ ذلك الفراغ الذي تركه الشيخ الراحل.! وبدأ بعض كبار القبيلة يشعر بالذل والمهانة في تولي هذا الشاب الغرير عليهم وبدأ اللغط والكلام.. في إمارة هذا الشاب.!!

واجتمع كبار رجال القبيلة مرة ثانية وتداولوا الرأي .. وقرروا أن يقترحوا على للشاب أن يتنازل عن الإمارة مؤقتاً لعمه ووالد زوجته.. فإذا كبر عادت إليه الإمارة.. وأرسل القوم رسولاً

يبلغ الأمير الشاب بهذا الكلام.. فلم يسعه إلا الموافقة.. فهو لا يريد الخلاف.. ولا يرى أن يثير فتناً وقلاقل في صفوف قومه.. وإلا فإنه يعرف أن له أنصاراً وله مؤيدين.. يمكنه أن يعتمد عليهم وأن يحطم بهم تلك الرؤوس التي تسعى ضده.!!

وتخلى الشاب عن الإمارة لعمه.. ووالد زوجته مؤقتاً حتى يكبر وتتكامل قواه الجسمية والعقلية.!!

وكان الشاب يكن لوالد زوجته.. وخلفه على الامارة كل تقدير واحترام.. ولهذا فقد تخلى عن الامارة وهو مرتاح الضمير إلى أن الإمارة أمانة في يد أمينة سوف تعيدها إلى صاحبها الشرعي في الوقت المناسب.!!

وذاق الأمير الجديد طعم الإمارة وطعم العز.. واستمرأ ذلك الطعم وسحره ذلك الرونق والبهاء الذي يحيط به أينما حل ورحل.!! وفكر في أنه يوماً من الأيام سوف يتخلى عن هذه الأمور كلها لذلك الشاب الغرير .. وقالت له نفسه:-

ولماذا تتخلى عن هذا المركز وأنت من أسرة الأمير... وقد اختارك كبار القوم.. وأنت أهل لما حملت من مسئولية ولما أسند إليك من أمانة.؟!

وقرر الرجل في نفسه أن لا يعيد الإمارة لذلك الشاب الغرير ورسم لنفسه خطة خطيرة يمكّن بها مقام نفسه ويحطم بها شخصية الشاب.. ويقطع أمله من العودة للإمارة.!!

وبدأ الرجل في خطته فصار يعطف على الكبير والصغير من قومه ولا تمر مناسبة من المناسبات إلا قدم دليلاً جديداً على أنه هو الأحق بالإمارة والزعامة.. كما أنه من جانب آخر بدأ يحطم شخصية الشاب وابن الأمير السابق.. فإذا دخل عليه في مجلس

أجلسه في طرفه.. وإذا دعى إلى وليمة كان هو آخر المدعوين.. وكان الأمير الجديد يذل الشاب إذلالاً متواصلاً.. حتى قال له ذات يوم إذا دخلت علي.. ولدي كبار القوم فاجلس في طرف المجلس فأنت شاب صغير وكبار قومك أولى منك بالتقديم.!!

وكان الشاب لا يستطيع إلا تنفيذ ما يؤمر به.. وتحمل تلك الإهانات.. التي يرجو أن يأتي يوم قريب تنجلي عنه غمتها.. وتزول عقابيلها.!!

ولكن الشدائد والإهانات والتحطيم بدأت تتوالى على الشاب فلا يمر واحدة.. حتى يتبعها ما هو أدهى منها وأمر.!!

وأخيراً وليس آخراً هرب راعي الغنم الخاص بالأمير .. فأمر الأمير بأن يسرح الشاب هباس بالغنم.. ولم يسع الشاب إلا تنفيذ الأمر.. ولكنه أحس بطعنة نجلاء أصابت موضع العزة والكرامة من نفسه.!!

وفكر الشاب جدياً في التخلص مما هو فيه من ذل وإهانة وتحطيم.!! ولم يكن لديه من يفضي إليه بذات نفسه.. ويبث إليه سره.. ويستشيره في أمره إلا زوجته العزيزة وشريكة حياته.!!

وقد رأت الزوجة ما يجري على زوجها الشاب .. وشاركته في الألم.. واتفقت معه في المشاعر.. ولهذا فإنه عندما جاء يستشيرها في أمره.. ويبثها أحزانه .. كانت تشاركه في مشاعره وتتألم لآلامه.. وتبدي استعدادها لعونه على أي أمر يريده.!!

وقال الشاب لزوجته لقد قررت الهرب من بين أفراد القبيلة فإما أن أعود إليها عزيزاً موفور الكرامة.. وأما أن أموت في أي صقع من أصقاع الأرض.!!

وحزنت الزوجة على فراق زوجها.. وكان أحب الأمور إليها أن يبقى بجانبها.. ولكنها لم تستطع أن تشير عليه بالبقاء وهي ترى ما يلقى من الإهانات المتوالية.. والذل المتواصل من والدها...° فوافقت على سفره مرغمة.!!

وطلب الشاب من زوجته أن تكون زوجة وفية وأن لا تتزوج غيره مهما طال غيابه.. وأن لا تصدق بما يقال عن حياته أو موته حتى ترى جثته بعينيها.!!

فوعدته زوجته بذلك.. وأعطته عهداً مؤكداً بأن لا يفرق بينها وبينه إلا الموت.!!

فطابت نفس الشاب.. ووثق بزوجته كل الثقة.. فهو يعرفها تمام المعرفة.. وأنها إذا قالت كلمة أو وعدت وعداً وفت بكلمتها وصدقت في وعدها..

وأعدت الزوجة لزوجها سراً بعض ما يحتاجه المسافر في سفره.. فأعدت له قربة فيها قليل من الماء.. وأعدت له كيسين واحداً منهما فيه طحين.. والآخر فيه قليل من التمر وأضافت إلى هذا عكة فيها قليل من السمن.!!

وفي ليلة من الليالي المظلمة.. تسلل الشاب من بين أفراد قبيلته.. منطلقاً على وجهه يهيم في الصحراء .. متجهاً إلى جهة لا يعرف أين تؤدي به.!!

وعندما أخذ منه التعب كل مأخذ آوى إلى ظل شجرة فأكل مما معه من طعام.. وأخذ غفوة من منام.. ثم استيقظ وواصل سيره.. في تلك الصحاري القاحلة.. والشعاب الموحشة وقد ترك أمره للمقادير. متجاهلاً ما يمكن أن يقع أو يصير.!!

وبينما كان ذات يوم يسير وحيداً شريداً.. وإذا به يرى

مسافراً على راحلة.. وهو يسير في نفس الطريق الذي يسير عليه الشاب... وتريث الشاب في السير حتى لحق به صاحب الراحلة.. ومر المسافر الجديد بالقرب من الشاب فلم يسلم عليه ولم يكلمه.. ولكن الضرورةً دفعت الشاب إلى أن يتعلق بهذا المسافر.. وأن يرافقه مهما كانت الأحوال.!!

فهذا المسافر وحيد والشاب وحيد وفي اجتماعهما أنس لهما جميعاً .. وقوة أمام الأخطار التي لا يأمن السائر في الصحراء أن تفاجئه في أي لحظة من لحظات مسيرة.!!

ولحق الشاب بصاحب الراحلة فإذا هو فارس شاكي السلاح. وملثم لا يستطيع الناظر إليه أن يرى شيئاً من ملامح وجهه.. وسلم هباس على الفارس ولكن الفارس لم يرد عليه .. بل استمر في طريقه دون أن يلتفت .. أو يبدي أية إشارة .!!

فلم يكن من الشاب إلا أن يقفز على مؤخرة الناقة وأن يكون رديفاً لهذا المسافر الذي لا يعرفه.!! ولم يظهر المسافر أي ممانعة في ركوب هباس على مؤخرة الراحلة وسارت الراحلة بالمسافرين ولا كلام..!!

وكان كل واحد من المسافرين يشعر بالأنس بعد الوحشة. وبالقوة بعد الضعف.. وبالهدوء بعد الخوف والقلق والهواجس التي تسيطر على نفس الوحيد في الصحراء وتهيمن على مشاعره.!!

واستمر السير ولا كلام. وإنما كان من عادة هذا الفارس أن ينيخ راحلته في أوقات الصلوات فيصلي.. وفي أوقات الطعام.. فيأكل وحده.. وفي أوقات النوم.. فينام وحده أيضاً.!!

وبقي هذا الفارس الملثم بالنسبة لرفيقه هباس كتلة من

الأسرار الغامضة التي تحير العقل .. والتفكير.!!

ولكن هباساً قال في نفسه أنه لا يضيره شيء من ذلك وما خفي اليوم فسوف يظهر غداً.. وما على المرء إلا أن يترك الأمور تسير على طبيعتها.. وكل شيء مرهون بوقته.!! وبقي الوضع على حاله بين الرفيقين عدة أيام فلا الفارس الملثم يتكلم أو يبدي شيئاً مما يدل عليه... ولا هباس يحاول أن يسأله.. أو يعرف شيئاً عن أخباره لأنه حتى لو سأله فإنه لا يجيبه.!!

وفي ذات ليلة خطرت لهباس فكرة شريرة وهي أن يترصد غفلة من غفلات هذا الفارس فيغدر به ويقتله ويأخذ سلاحه وراحلته ومتاعه.!!

وصمم هباس على تنفيذ فكرته هذه... وبدأ يترقب الفرصة السانحة لعمل جريمته هذه .. ولكن الفرصة لم تواته... بل الذي واتاه تفكيره السليم فقد أنبه ضميره وقال له كيف تغدر بمن يحملك بعد جهد.! ويطعمك بعد جوع.! ويؤنسك بعد وحشه.؟! وعدل هباس عن فكرته الشريرة وعاد إلى كريم أصله وطيب أرومته.!!

وفي ذات أمسية نزل الملثم من فوق راحلته وأخذ معه منظاراً مكبراً وصعد على ربوة كانت قريبة منه وجعل يتطلع منها إلى مكان لا يعرفه هباس ولا يدري بما فيه.!!

وبعد ترديد للنظر دام عدة مرات.. نزل من فوق الهضبة.. وعاد إلى الراحلة فأنزل من فوق ظهرها طعاماً أكل منه ما تيسر ثم دفع بالباقي إلى رفيقه هباس.. فأكله وحانت صلاة المغرب... فصلى الفارس الملثم وحده .. وصلى هباس وحده.. كما هي عادتهما منذ أن اجتمعا...

ثم واصل الفارس الملثم سيره على خلاف عادته... وبعد سير حثيث دام قريباً من الساعة أشرف المسافران على بستان كبير.. فأناخ الفارس الراحلة.. ولبس عتاده الحربي.. وبدا وكأنه يستعد لمعركة عنيفة.. لا هوادة فيها ولا رحمة.!!

ثم سار متجهاً إلى البستان .. دون أن يقول لهباس أي كلمة أو يشير إليه بأية إشارة.!!

ولكن هباساً أدرك أن رفيقه مقبل على معركة عنيفة.. قد يتعرض فيها للهزيمة لظروف واحتمالات لم يحسب حسابها .!!

ولهذا فإن هباساً.. أخذ ما وجده من بقايا السلاح ثم تبع رفيقه في خفية وحذر.. وسار في الطريق الذي سار فيه الفارس الملثم... بحيث أن هباساً يرى رفيقه .. ورفيقه لا يراه.!!

وتسلق الفارس الملثم سور البستان... واتجه نحو قصر في وسطه.. وتسلق هباس في أثره وتبع خطاه .. ودخل الفارس الملثم في ذلك القصر... ودخل معه هباس.. واختفى في مكان منزو بحيث يرى ما يحدث... ولا يعرف أحد بمكانه.!!

وبعد لحظات من دخول الفارس الملثم سمع قعقعة السيوف وعلا الصياح والصراخ وأنصت هباس أكثر فأكثر .. وخشي على رفيقه بأن تدور عليه الدائرة فيهزمه أعداءه...

وسمع هباس صوت رفيقه المذعور وهو يقول يا حلالات يا صاحبي هباس.!!

ولم يكد هباس يسمع هذه الكلمة حتى قفز من مكانه.!! وسار في اتجاه الصوت.. وقد جرد حسامه من غمده واستعد للنزول.! ومقارعة الأبطال .. انتصاراً لرفيقه.. وعندما أشرف هباس على ميدان المعركة وجد الفارس الملثم وقد انكسر سيفه

بعد أن تحطم رمحه في أجساد الضحايا.. وبقي في الميدان بلا سلاح ولا أعوان.!!

وبينما كان يقف تجاه عبد أسود هامه.! يهدركما يهدر الجمل ويتقدم إلى الفارس الملثم بخطوات ثابتة.. السيف مسلول في يده.. وقال هباس لرفيقه لقد سمعت نداءك فجئت إليك مسرعاً.. فقال عليك بالعبد اقتله فإنه لم يبق في يدي سلاح أقاتله به...

وتقدم هباس إلى ميدان المعركة .. ونظر إلى العبد فإذا هو يتقدم والسيف مسلول في يده.. وهو في غاية الثبات والثقة بالنفس.!

وكان هباس رامياً لا يخطيء .. فسهمه لا يقع إلا في لحم ولهذا فقد رأى أن لا يبارزه بالسيف فقد يتغلب عليه العبد ورأى أن خير طريقة ينتصر بها على العبد هي مبارزته بالسهام.!!

وأخذ هباس سهماً من كنانته.. وأوتر قوسه ثم وجه السهم إلى مكان القلب من جسد ذلك العبد.. ثم أطلق السهم الأول.!! فأصاب المكان الذي سدده إليه.!!

وخر العبد صريعاً على الوجه واليدين ... وانطلق هباس إلى العبد مسرعاً ليجهز عليه.. إذا كان فيه بقية من روح وانتهت المعركة وهباس لا يعرف شيئاً من أخبارها.. ولا أسرارها.!!

وجعل هباس يتجول في القصر ليرى ماذا جرى من الأحداث التي لا يعرفها.. وجعل يعد القتلى فإذا هم يبلغون عشرة أشخاص.. ويبلغون بالقتيل الأخير إحدى عشر.. وبدافع من الفضول جعل هباس ينظر إلى القتلى في ميدان المعركة ويعمل إحصائية مفصلة لحصيلتها فإذا القتلى ثلاثة عبيد وأربعة

أطفال.. وأربع نساء من بينهن أنثى كبيرة في السن قد تجاوزت عهد الكهولة.!!

وبعد أن جرى ما جرى غادر الفارس الملثم القصر .. بعد أن قطع رأس العجوز وحمله معه ووضعه مع حاجاته الخاصة.. وجعل ينظر إليه بعطف وحنان.. ويرسل الدموع مدراراً حتى بللت دموعه ذلك الرأس المطروح بين يديه .!!

ونام الرفيقان في تلك الليلة في طرف من أطراف البستان وفي الصباح استيقظ الرفيقان وتناولا طعام الإفطار ثم ذهب الفارس الملثم فدخل إلى القصر.. وأخذ منه كل ما يريد أخذه.. ثم جاءإلى رفيقه.. ومعه راحلة ثانية محملة بما لا يعرفه هباس..

ورحل الرفيقان.. وقال الفارس الملثم لرفيقه إنني سوف أسافر إلى إحدى مدن الخليج العربي لأشتري بعض البضائع فإن كنت تريد مرافقتي فأهلاً وسهلاً.. وإن كان لك وجهة أخرى.. فأنت وما تريد..

فقال هباس إنه ليس لي وجهة معروفة ولهذا فإنني سوف أرافقك في طريقك إلى إحدى مدن الخليج .. وكان من أعظم الدوافع التي دفعت هباساً لمرافقة الفارس الملثم هو معرفة الأسرار الغامضة التي وقعت أمامه.. واستكشاف البواعث الحقيقية لتلك الأحداث الدامية التي جرت تجاه عينيه.!!

كما أن هباساً يأمل أن ينفتح له باب من أبواب الرزق.. التي يحفظ بها كرامته. ويرفع بها نفسه عن الحاجة والعوز .. والافتقار إلى ما في أيدي الناس.!!

سار الرفيقان.. في طريقهما سيراً لا هو بالسريع ولا

بالبطيء وكان المسافران إذا أجنهما الليل نزلا .. فإذا ظهرت بوادر الصباح قاما وواصلا السير.. وكان الفارس الملثم كلما نزل الرفيقان أخرج رأس تلك العجوز ثم جعل ينظر إليه بعطف وحنان ويرسل الدمع مدراراً على ذلك الرأس حتى يغمره بتلك الدموع.!!

واستمر الفارس على هذه الحالة بالنسبة إلى الرأس حتى تعفن وصارت رائحته لا تطاق.. وعندئذ حفر له حفرة في مكان مرتفع.. ودفنه فيها...

وسار الرفيقان.. وتركا الرأس .. وواصلا سفرهما حتى وصلا المدينة المقصودة..

وكان هباس طيلة أيام الرحلة يحاول أن يعرف شيئاً عن رأس العجوز.. أو شيئاً عن أخبار تلك المعركة.. أو أخبار من قتل فيها.! ولكن الفارس الملثم لا يبوح بشيء من تلك الأسرار.. وإنما كان إذا سأله رفيقه عن شيء من هذه الأمور قال له الفارس إنك سوف تعرف كل شيء فيما بعد.!!

وكان هذا الجواب هوالجواب الروتيني الذي يجيب به الفارس الملثم رفيقه كلما جاءت مناسبة .. أو وجه سؤال يبحث عن شيء من أسرار ما جرى.!!

ولما وصل الرفيقان إلى تلك المدينة المدينة المقصودة من مدن الخليج أناخا راحلتها في ضاحية من ضواحي المدينة.. وضربا خيمتهما فيها.. وانشغل هباس يطبخ الطعام.. بينما ذهب الفارس الملثم إلى سوق المدينة فاشترى خمسة وثلاثين عبداً .. وسبعين ناقة.. وخمسة وثلاثين فرساً.. وعشر خيام.!! ثم جاء بالجميع إلى تلك الضاحية التي ينتظره فيها رفيقه هباس..!

ودهش هباس مما رأى من المشتريات .. كما دهش سابقاً من غرائب التصرفات التي لم يعرف أسبابها .. ولم يهتد إلى معرفة فوائدها.. وسأل هباس رفيقة عن هذه الاستعدادت.. وما المقصود بها.؟!

وكان جواب الفارس الملثم واحداً لا يتغير وهو قوله:- «ستعرف كل شيء فيما بعد».

ولا يزيده على هذا الجواب شيئاً.!

واستمر الفارس الملثم في روحاته وغدواته على سوق المدينة يشتري منه أسلحة ويشتري فرشاً .. ويشتري أنواعاً كثيرة من المأكولات .. وتحفاً ثمينة من الأواني.. وأدوات الزينة..

وعندما تكامل ما يريد الفارس الملثم شراءه.. أزمع العودة إلى وطنه .. وقال لرفيقه هباس.. إننا عائدون إلى بلادنا.! فإن أردت العودة معنا فعلى الرحب والسعة.. وإن أردت البقاء في هذه المدينة أعطيناك ما يقوم بحاجتك.؟!

وقال هباس.. إنني سوف أعود معكم فقد اشتقت لبلادي وأهلي.!!

وسارت القافلة بما تحمله من أموال عظيمة ..متجهة إلى الوطن.. وكانت مضارب عشيرة هباس في طريق الرفيقين.. وهما يمران بها.. قبل أن يصلا إلى بلاد الفارس الملثم.!!

وأخبر هباس رفيقه بقرب منازل عشيرته. فأمرت القافلة بالنزول .. وضربت الخيام.. وصنع الشراب والطعام.. كما أمر بأن يبني خيمة من الخيام بعيدة عن مضارب القافلة قليلاً.!!

ولما تم كل ما أمر به الفارس الملثم ذهب إلى تلك الخيمة المتفردة ودعا رفيقه هباس.. إلى تلك الخيمة فلما خلا المكان إلا

من الرفيقين أماط الفارس الملثم غطاء وجهه فإذا هو فتاة شابة في العشرين من عمرها آية في الروعة والجمال .. والحسن والكمال.!!

ودهش هباس بما رأى .. وكاد أن لا يصدق عينيْه ومرت به لحظات..وهو في ذهوله.. ولما هدأ باله من روعة المفاجأة..!!

قالت الفتاة لهباس لقد سألتني عن قصتي مع أولئك الأشرار الذين قتلتهم ووعدتك بأن أخبرك .. وبما أن فراقنا قد أزف.. فقد دعوتك لأقص عليك قصتي من أولها إلى آخرها..

وشرعت الفتاة في سرد قصتها قائلة:-

لقد كان والدي رحمه الله ثرياً ذا سلطان وجاه وعبيد وخدم وحشم.. وكان القصر الذي دارت فيه المعركة ملكاً لنا.. بما فيه من كنوز.. وبما حوله مساحات واسعة.. وأراد الله على والدي فتوفي.. دون أن يكون له أولاد ذكور يحلون محله.. ويضطلعون بواجباته.!!

وكنت أنا صغيرة وكان لي أخوات يكبرنني بسنوات وبدأ العبيد ينصبون الحبائل والشراك.. فإذا بأخواتي يقعن في تلك الشراك واحدة بعد أخرى.!! ووالدتي ترى ما يحدث فلا تحرك ساكناً.! ولا تسكن متحركاً ... فصار العبيد يسرحون ويمرحون.. ويعيثون في بيت والدي عبثاً وفساداً ومجوناً.!!

وترعرعت في هذا الجو المشحون بالإثم والعبث.. رأت عيناي ما ملأ صدري غضباً ونقمة .. ولكني كنت صغيرة لا يؤخذ لي رأيى ولا تسمع لي كلمة.. وليس لدي قوة أستطيع بها تغيير ذلك الوضع.! أو تحطيمه على رؤوس أولئك الآثمين.!!

وصبرت .. وقلت في نفسي إنه سوف يأتي اليوم الذي يحل

به العقاب بهؤلاء الأوباش.. وأخذت عهداً على نفسي بأن أغادر هذا القصر في أول فرصة ممكنة.!! وأن لا أعود إليه حتى أملك السلاح الذي أستطيع به سحق هؤلاء الفاسقين.!!

وصبرت.. وصبرت.! حتى كبرت..وغادرت ذلك القصر وذهبت إلى إحدى المدن وأنا متنكرة فعملت عند أحد التجار حتى جمعت قيمة السلاح.. ثم كررت راجعة إليهم لأحطم ذلك الوضع الذي تألمت منه كثيراً .. وصبرت عليه طويلا.!!

أما الرأس الذي قطعته وأخذته معي فهو رأس أمي التي أحبها كثيراً غير أن صدري كان مملوءاً عليها بالغيظ والغضب.. فقد كانت ضعيفة. أمام تلك الأمور التي تجري أمامها.. وقد تساهلت حتى انفلت الزمام من يدها فتركت الأمور تجري على غير هدى.. وتسير إلى غير هدف.!!

وقد ندمت على قتل أمي ندماً شديداً.. ولهذا فقد قطعت رأسها وأخذته معي كما رأيت..وبكيت أمامه طويلاً وبللته بالدموع مرات إثر مرات.!! ثم واريته في التراب عندما أمسى في وضع من العفونة لا يطاق.!!

والذي جعلني أغادر قصر والدي بعد القضاء على تلك الشرذمة الفاسدة هو أنني أعلم أن هناك أوباشاً يعطفون على أولئك الذين قتلتهم.. ولهذا فقد صممت على أن أستعد لأمثال هذه الاحتمالات فاشتريت هؤلاء العبيد واشتريت هذه الأسلحة واشتريت تلك الأفراس.!!

هذه قصتي كاملة..أكشف لك أسرارها... وأنير لك أغوارها. فأبدى هباس إعجابه بالشرف والشجاعة اللتين تتحلى بهما الفتاة.!!

وقال هباس بينه وبين نفسه يا سبحان الله.! كيف تعمل هذه الفتاة تلك الظروب من الشجاعة التي هي أشبه بالمعجزات.. وأنا شاب مفتول الساعدين قوي الجنان أنتمي إلى أكرم الحسب والنسب!! ثم لا أصنع شيئاً.!!

وتكلم بعد ذلك هباس.. فقال للفتاة قصته مع والد زوجته. وهربه من عشيرته.. بعد أن سلبت منه الإمارة.. وأذيق ألوان الذل والإهانة والصغار..

قالت الفتاة: وما أنت صانع الآن.؟!.

قال الفتى: إنني سوف أنهج نهجك.. فأتحين الفرصة ثم أهجم على أعدائي فأحطمهم..ثم أستعيد مكاني الذي أخذ مني غدراً وخيانة .. بالقوة والعنف.!!

قالت الفتاة: إن الرأي عندي هو أن تذهب إلى قومك وتلقى زوجتك الوفية وترى هل هي لا تزال على العهد الذي بينك وبينها أم تغيرت.! فإذا كانت على العهد.. فاذهب إلى والدها بعد ذلك وسلم عليه فلعله ندم على ما فعل معك.. فيعيد إليك مكانك الذي سلبه منك.. وكرامتك التي ديست بالأقدام .! فإن فعل كان بها ونعمت.. وتكون كفيت إراقة الدماء.. وخلق الأعداء.. وإن كان الأمر على خلاف ذلك.. ووجدت عمك لا يزال في عنجهيته وعدوانه.. فارجع إليّ لنتخذ إجراء مناسباً على ضوء ما رأيت وما سمعت.!!

ورأى هباس أن هذا الرأي الذي أشارت به الفتاة هو عين الصواب.. فلبس ملابسه .. وسار إلى مضارب قبيلته... وذهب إلى بيته قاصداً.. ووجد زوجته الوفية على العهد باقية.. وأخبرته أن والدها قد ألح عليها بأن تترك هباساً.. وأن تتزوج

بغيره.. كما أنه تقدم العديد من شباب الحي لخطبتها.. ولكنها رفضت جميع الطلبات... وتجاهلت كثيراً من الاغراءات.. التي عرضت عليها.؟!

فشكرها هباس على وفائها ..ٌ وأثنى على حفظها للوداد.. وفي الصباح ذهب إلى عمه ووالد زوجته للسلام عليه ولجس النبض منه.! فلعله ندم على ما فعل.. وتغير رأيه نحو هباس.!!

لكن هباس عندما سلم على الأمير رد عليه سلاماً جافاً وقابله مقابلة فاترة.. وقال له «وش جايبك الله لا يجيبك» ثم أشار إليه بأن يجلس في طرف المجلس على عادته السابقة فجلس هباس مغيضاً مغضباً.. وتناول فنجال قهوة ثم قام من مجلس الأمير دون أن يودعه.! وسار إلى رفيقته التي تنتظره.. وتتنظر ما يأتي به من أخبار.!!

ووصل هباس.. وأخبر رفيقته بما جرى.. فطيبت رفيقته خاطره وقالت له إنه ليس أمامنا إلا رأي واحد هو الهجوم على عمك.!! وإزاحته عن الإمارة طوعاً أو كرهاً.!!

فشكر هباس رفيقته ووافق على رأيها.. فأسرجت الخيول وسلح العبيد.. وتسلح هباس واختار فرساً من أصائل الخيل فركبها.! ثم هجم على عمه ليلاً والعبيد يحيطون به من كل جانب ولم يشعر عم هباس إلا بالخيل والعبيد يحيطون ببيته .. فتقلد سيفه وتنكب رمحه.. وخرج ليقاتل القوم .. وليشعل نار الحرب.. وصاح في قومه ليحاربوا في صفه.!!

ولكن هباساً عندما رأى أن عمه لا يزال يهيم في طغيانه.. وأنه لن يتخلى عن الإمارة إلا مكرهاً.. هجم عليه هجوم الموتور وصب على رأسه أنواع الشرور.. وأزهق روحه في ثوان

معدودات.!! فصار في عداد الأموات.!!

ونادى هباس في قومه بالأمان.. وقال لهم إنه عمي وقد سلب الإمارة مني فاستعدت حقي المشروع بالطريقة التي لم أجد لها بديلاً.. فليلزم كل واحد منكم الهدوء فهو عمي وابن عمي وأنا أولى الناس به.. وأقربهم إليه..ولم أفعل ما فعلت عدواناً .. وإنما فعلت ما فعلت لرد كرامتي...ودفع عدوان من اعتدى علي... وسلب حقوقي.!!

واقتنع القوم بهذا الكلام المنطقي المقبول.. واقتنعوا أكثر وأكثر بالقوة التي وراء هذا القول المعقول... فالتفوا على هباس.. ونادوا به أميراً عليهم.. وأظهر الود والإخلاص له.. من كان بالأمس ضداً له وعوناً عليه.!!

وعاد هباس إلى رفيقته بعد أن نال هذا النصر السريع بتلك الضربة الخاطفة.. وأخبرها بما وقع.. فهنأته بالفوز.. فشكرها هباس.. وقال لها أن الفضل في هذا النصر يرجع إليك.. فالتخطيط من فكرك والقوة التي انتصرت بها من مالك وسلاحك.!! فأنت صاحبة الفضل أولاً وأخيراً.!!

ثم عرض هباس على رفيقته أن تقبله زوجاً لها.. فترددت بعض الشيء.. ولكنه ألح عليها.. وقال لها لقد عرفتك وعرفتني... فأعجبت بك.. من جانبي ولا سيما بعد تلك الرفقة الطويلة في السفر.. ولا شيء كالأسفار يميز الأشرار من الأخيار.. والعبيد من الأحرار.!!

وكانت تلك الفتاة معجبة حقاً بهباس كثير الاعجاب.!! لا من حيث شجاعته .. الفائقة.. ولكن من حيث طيب عنصره وكريم أخلاقه.. وسمو مشاعره.. ولهذا فقد وافقت الفتاة على

الزواج به.. وأردفت هذه الموافقة بشرط واحد.!!

فظن هباس بأنها سوف تشترط عليه أن يطلق ابنة عمه كشرط أساسي لقبولها الزواج منه.. وذهب به الخيال إلى أنها سوف تعيب هذه الزوجة وسوف تلصق فيها عيوباً لو لم يكن منها إلا أنها ابنة ذلك الأمير الذي أذل هباساً .. وسلب حقه وأهدر كرامته.!!

وقال هباس لرفيقته بعد أن خطرت هذه الأمور كلها على باله.. إنني أقبل الشرط وأتعهد بتنفيذ ما تطلبين.!!

فقالت الفتاة إن شرطي هو أن تبقي ابنة عمك زوجة لك.. فهي وفية معك إلى أبعد الحدود..ولا ينكر الفضل أو يتنكر لأهل الفضل إلا أراذل الخلق.!!

وتعجب هباس من هذا الشرط.. الذي ما كان يخطر على باله.! ووافق على قبوله.. وهو فرح مسرور وأي شيء أدعى إلى السرور من أن يعيش هباس بين زوجتين وفيتين.. أثبتت الأيام والتجارب صدق طويتهما وطهارة أخلاقهما.. وعظيم وفائهما.!!

وعاد هباس برفيقته إلى مضارب قبيلته.. وضرب لها بيتاً في وسط الحي.. وأرسل إلى المطوع فعقد عقد النكاح بينهما.. وأقيمت حفلة بسيطة .. لا تلفت الأنظار.. وذلك مراعاة لشعور زوجته السابقة.. وعلمت زوجة هباس وابنة عمه بهذا الزواج الجديدة.. فساءها ذلك.. إلا أنها علمت فيما بعد بما قامت به زوجة هباس الجديدة من عونه ومساعدته بالسلاح والمال والرجال لإعادة حقه المسلوب.. كما علمت بالشرط الذي اشترطته على هباس بأنها تقبل الزواج به ولكن على شرط أن لا يطلق زوجته القديمة.!!

كل هذه الأمور والملابسات جعلت من هذا الزواج الجديد عنصراً قوياً لتوثيق العلاقة بين هباس وزوجته.. وبين زوجتيه بعضهن ببعض .. وبينه وبين أفراد قبيلته الذي تظاهروا له بالمحبة والولاء.. فالناس مع القوي المنتصر وهم كما قال الشاعر:-

والناس من يلق خيراً قائلون له
ما يشتهي ولام المخطئ الهبل

وعاش هباس أميراً مهاباً محبوباً من أبناء عشيرته وسعيداً بالعيش بين زوجتيه الوفيتين.!!

كما أنه صار ينفق من ثروة زوجته الجديدة - بإذن منها بسخاء وكرم منقطع النظير.. الأمر الذي جعل كل فرد من أفراد القبيلة يحب هباساً لكرمه وتواضعه .. ويهابه لقوته وصلابته.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت .!!



سالفـــة:

٣٠- صالح مع زوجته والترنجه

كان أحد الأطفال قد سمع منذ مدة طويلة بسالفة غريبة عجيبة لم يبق في ذهنه منها إلا اسمها ولهذا فقد أحب أن يسمعها وأن يعرفها وأن يقصها على بعض رفاقه في بعض اجتماعات الأطفال..!!

فقال للجدة قصي علينا قصة صالح مع زوجته والترنجه.. فقالت الجدة حباً وكرامة...

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي اسمه صالح.. وإلاه متزوج هاك الحرمة وبقيت معه عدة سنوات لم تنجب أطفالاً.. فقلقت من هذه الحالة كما قلق زوجها.! والزوجة تظن أن العقم منها.!!

لهذا فقد سكت الزوج .. ولم يقل شيئاً .. ولم يتظاهر بالقلق من هذه الحالة.. إلا أنه كان يبطنه .. أما الزوجة فقد كانت أكثر قلقاً وأكثر شوقاً إلى الأطفال من زوجها.. الأمر الذي جعلها تذهب خفية على زوجها للأطباء وتصف لهم ما تشكو



صالح تشق فخذه فيخرج منها فتاة جميلة .. ولكنه يتبرأ
منها .!! ويشمئز من أن تعرف قصتها.!!

منه.. وقد كانوا يعطونها أدوية لم ترَ منها فائدة .. إلا أنها لم تيأس بل استمرت في الذهاب إلى الأطباء، واحداً اثر واحد فكلما يئست من طبيب ذهبتِ إلى طبيب آخر.!!

وذهبت ذات يوم إلى طبيب وطني يعتمد في طبه على التجارب أكثر مما يعتمد على النظريات المسجلة في الكتب.. وقد وصفت له حالتها.. فقال لها اذهبي إلى السوق.. واشتري منه ترنجة.. وأتي بها إلي لأرويها بدواء خاص لدي ثم أعطيك إياها لتأكلينها.. قبل النوم بثلاث ساعات .. وسوف تجدين نفسك بعد فترة وجيزة حبلى.! فإن هذا دواء مجرب قد نجح فيه عدة سيدات.. أنا الذي وصفت ذلك لهن.!!

وذهبت المرأة إلى السوق.. وهي لا تكاد تصدق . ولكن الغريق يتعلق بالقشة .. وما عليها إلا أن تشتري تلك الاترجة بعدة قريشات.! فإن نجحت التجربة فذلك المطلوب.. وإن لم تنجح فلتتركها.!! ولتبحث عن تجربة أخرى غيرها..

واشترت المرأة الاترجة وجاءت بها إلى الدكتور الوطني فأسقاها ببعض المواد التي لا تعرف المرأة ما هي.. ثم اعطاها إياها.. وذهبت بها إلى منزلها.. الذي وصلت إليه متأخرة.. فوضعت الاترجة في جانب من جوانب البيت.. ثم ذهبت مسرعة إلى المطبخ لتعد طعام الغداء لزوجها ولنفسها.!!

وانهمكت في أعمال المطبخ.. حتى يكون الغداء جاهزاً في موعده المحدد.. إلا أن الوقت كان متأخراً .. وإذاً فلا بد من بذل أقصى جهد لإنجاز الغداء في أسرع وقت ممكن حتى .. ولو تأخر قليلاً من الوقت.!!

وعاد الزوج إلى بيته في موعده المعتاد... ورأى زوجته في

المطبخ لا تزال تعد الغداء.. وهي منهمكة في العمل.. غارقة فيه إلى أذنيها .. وكان جائعاً فقد قام بعدة أعمال فيها حركة وسير على الاقدام .!!

وبحث في البيت عن شيء يأكله دون أن يكلم زوجته فهو لا يريد أن يشغلها عما هي فيه.. وتنقل في البيت من غرفة إلى غرفة ورأى في ركن من أركان المنزل تلك الاترجة.. فأخذها .. وقشرها ثم أكل الحامض.. وأتبعه بالقشور التي عصرها وأخرج ما فيها من الغازات.. ثم أتبعها بالحامض..

وجهز الغداء وأكل الزوجان.. وبعد الغداء بحثت الزوجة عن الارتجة فلم تجدها.. وسألت زوجها .. فأخبرها أنه جاء جائعاً وقد تأخر الغداء عن موعده .. فأكلها .. وضربت المرأة بإحدى يديها على الأخرى.. وقالت لزوجها لقد أكلت أترجة طبية جئت بها من الطبيب من أجل الحمال.!!

وندم الرجل على تسرعه في أكله تلك الاترجة بدون أن يستشير زوجته.. وتخوف من العواقب الوخيمة التي سوف تترتب على فعلته.! ومضى الشهر الأول والثاني والثالث بعد أكل الأترجة.. دون أن يحس بشيء .!!

وبعد ذلك شعر الرجل بآلام غير عادية في فخذه وحاول ان يتجاهلها.. وصار يذهب إلى عمله وهو يمشي كالأعرج.. وتزايدت عليه الآلام حتى صار لا يقوى على المشي إلا إذا استعان بالعصا.. ودخل الحمام ذات مرة..وكشف عن فخذه ليرى مصدر تلك الآلام.!!

وعندما نظر إلى فخذه .. رأى فيه ورماً .. وتحسسه ليعرف هل هو مصدر الآلام أم لا .. فوجده أنه هو مصدر

الآلام .. وذهب إلى أحد الأطباء وفحصه.. فلم يعرف له أسباباً واضحة.. كما أنه لم يعرف ماهية المرض ولذلك فإنه لم يستطع أن يعالجه علاجاً أساسياً وإنما أعطاه مرهماً .. كعلاج مؤقت .. يخفف من آلام ذلك الخراج ولكنه لا يزيله.. ولا يقضي على آلامه.!!

وحاول الرجل الذي هو صالح أن يصبر على تلك الآلام ولكنها تزداد.. ونظر إلى الورم فإذا هو يكبر يوماً بعد يوم..وعجز أخيراً عن الذهاب إلى عمله.. ولازم البيت لا يخرج منه إلا في أوقات الصلاة.. حيث يذهب إلى المسجد والعصا ثالث قدميه.!!

ورآه أحد أبناء عمه.. واستغرب من هذه العصا التي ترافق ابن عمه الشاب.. وعندما انتهت الصلاة .. سلم ابن عم صالح عليه وهو فزع .. وسأله عن حاله وهو مضطرب .. ولم يقل صالح لابن عمه شيئاً وإنما أخذه بيده وسار هو وإياه إلى البيت.!!

وعندما خلا بابن عمه أخبره بالتطورات التي مرت بها رجله حتى وصلت إلى ما وصلت إليه كما أخبره بالسبب المباشر لهذا المرض.! فلم يكن من ابن عم صالح إلا أن يأخذه إلى المستشفى حالاً.!! ودخل صالح في المستشفى.

وأجريت لصالح عدة فحوص عرفت بعدها ماهية المرض وتأكد الأطباء بأن داخل هذا الورم جنين لا بد من اجراء عملية جراحية لإخراجه.. وخجل صالح من هذا النبأ وتمنى أن يكون مات قبل أن تحصل له هذه الحادثة ولكن الأمور لا تسير حسب الأماني والرغبات .!!

ووافق صالح على أن تجرى له عملية جراحية لإخراج ما بداخل الورم الذي أخبر الأطباء عنه بأنه جنين... وأجريت العملية بنجاح.. وأخرج الأطباء من داخل ذلك الورم طفلة صغيرة متكاملة التكوين ثم خاطوا الجرح.. وصاروا يغذون الطفلة بالحليب ... فشبت ونمت نمواً سريعاً.. فلما تماثل صالح للشفاء من تلك العملية الجراحية.. كانت المولودة قد نمت نمواً طبيعياً متزايداً.!!

وعندما أراد صالح أن يخرج من المستشفى أعطاه المسئولون الطفلة وطلبوا منه أن يأخذها معه فهي ابنته ولكنه رفض أن يأخذها بل أنه طلب من المستشفى فوق ذلك أن لا تنسب هذه الطفلة إليه.! ويجب أن يعتبروها لقيطة مجهولة الأم والأب.. لأن الخبر إذا ظهر فإن حديثه وحديث الطفلة سوف يكون موضع تندر الناس وتفكهاتهم.!!

إلا أن المستشفى ألح على الرجل في أخذ ابنته لأنه لا مكان لها في المستشفى .. ولا معنى لتركها فيه وهي صحيحة تتغذي طيباً.!! وتنام طيباً وتعيش عيشة هادئة كلها صحة ونمو.. وحيوية وبهجة.!! وكان ابن عم صالح موجوداً فأخذ الطفلة وذهب بها إلى زوجة ابن عمه وأخبرها بخبر هذه المولودة .. وأنها خرجت من الورم الذي كان في فخذ زوجها.. وطلب من الزوجة أن تأخذ المولودة وأن تهتم بها وأن تقوم بما يلزمها.!!

لكن الزوجة رفضت رفضاً باتاً أن تبقى هذه الطفلة عندها.! وهددت بترك البيت إذا وضعت فيه.. وأراد أن يقنعها إن لم يكن من أجل زوجها فمن أجل الجوانب الإنسانية.. واحتساب الأجر لدى رب البرية.

إلا أن الزوجة أقسمت إيماناً غليظة بأن لا تبقى عندها مهما كلف الأمر.. وعندئذ لم ير ابن عم صالح بداً من الخروج بهذه المولودة إلى الصحراء.. وتركها فيها فإن أراد الله لها حياة سخر لها وحوش البر وحيتان البحر.!! وإن لم يرد لها حياة فهو خالقها وربها ومدبر شؤونها وهو العليم بما فيه مصلحتها.!!

وسار ابن عم صالح بالمولودة الصغيرة حتى وصل إلى واد ملتف الأشجار كثير الأطيار.. ندي النسمات كثير النباتات.! وبحث عن أكبر شجرة وأعلاها... فصعد إلى قمتها فوجد فيها أعشاشاً للطيور فاختار منها عشاً قد بني بين غصنين قويين وفرشت أرضه بريش النعام.. فوضع المولودة فيه.. وتركها تحت رحمة الله.. وفي تدبيره... وعاد إلى المدينة وكأن شيئاً لم يكن..

وعادت الطيور إلى أوكارها.. فوجدت هذه المولودة في أحد الأعشاش وسمعتها تصيح وتتقلب .. وتتضور جوعاً فرحمتها الطيور وأشفقت عليها.. فأطعمتها وسقتها ثم بنت لها عشاً كبيراً له سقف وحيطان وذلك ليقيها شر سموم الصيف وعواصف الشتاء.!!

كما أنه يخفي جسمها الغض الطري عن جوارح الطير التي تملأ الجو.. ولا تخفي عليها شاردة ولا واردة.!! واستمرت الطيور في رعاية تلك المولودة وحمايتها من الأخطار حتى كبرت وصار عمرها سبع سنوات.!!

فصارت الفتاة تنزل من أعلا الشجرة وتتجول في الوادي وتأكل من بعض أعشابه وتصطاد ما تقوىٰ على صيده فتأكله مضافاً إليه ما تأتي به الطيور إليها... من طعام قليل كان يكفيها عندما كانت صغيرة.

ولم تزل الفتاة في شباب ونمو مستمر حتى بلغت سن الخامسة عشرة.. وهي لا تعرف من الحياة إلا ذلك الوادي وتلك الطيور اللاتي تعتبرهن أهلها ومربوها...

ونزلت ذات يوم من أعلا الشجرة وصارت تتجول في الوادي باحثه عن صيد أو ثمرة شجرة تطفيء بهما جوعها.. وبينما كانت تتجول.. وإذا بأمير يتجول في ذلك الوادي بحثاً عن الصيد.!! وعندما رأى الفتاة ورأته الفتاة انطلقت بأقصى سرعتها هاربه من ذلك الأمير الذي لم تر مثله طيلة أيام حياتها الماضية.!!

وعندما وصلت إلى شجرتها التي فيها عشها صعدت إليها واختبأت في عشها الخاص.. وتتبع الأمير الفتاة فلم يعثر لها على أثر.. وأنصت فلم يسمع لها أي صوت.. وبحث عنها يميناً وشمالاً فلم يجدها.!!

وعاد الأمير إلى قصره .. وهو مصمم على أن يعود إلى ذلك الوادي بحثاً عن تلك الفتاة التي سحره جمالها الطبيعي ولفتاتها التي تشبه لفتات الغزلان.!!

وعاد الأمير إلى ذلك الوادي بحثا عن الصيد... ولكن الحقيقة أنه يبحث عن الفتاة .. فهي الصيد السمين أو الثمين الذي يريد أن يصطاده... ورأى الأمير الفتاة عن بعد.. وحاول أن يقرب منها من حيث لا تشعر.. ولكن الفتاة رأته.. وهربت منه فتبعها وصار يراقبها في مسيرها عن بعد حتى رآها تصعد تلك الشجرة السامقة .. ورآها تختبيء في عش من أعشاش الطيور.!!

وارتاح بال الأمير بالوصول إلى هذه النتيجة .. وإن كانت ليست هي كل ما يريده ويهواه .. وأراد أن يصعد إلى الشجرة

لاستنزال تلك الفتاة .. وكان في مقدوره ذلك .. إلا أنه خشي أن يزعجها.! وأن يثير الرعب والخوف في قلبها الصغير الغرير.!!

لهذا فقد عرف الشجرة التي هي فيها.. وكر راجعاً إلى المدينة ليدبر أمره.. وليبحث عن حل.. أو عن طريقة لطيفة يصطاد بها هذه الفتاة دون أن يخيفها.. أو يسيء إلى مشاعرها الرقيقة..

وفكر الأمير طويلاً في الوسيلة التي يصل بها إلى مقصوده هذا وكان كلما عرض له رأي لم يرضه واستمر في استعراض الآراء حتى وجد الرأي الذي تتحقق به أمانيه.!!

وهو أن يذهب إلى عجوز يعرفها بالحكمة والرصانة وسعة الحيلة فيخبرها بما يريد.. وسوف تجد هذه العجوز ألف حيلة وحيلة لاستنزال هذه الفتاة من عشها بطريقة عادية بسيطة.. ثم إيناسها واستئناسها.. حتى تألف البشر فيصل بذلك إلى مبتغاه.

وذهب الأمير إلى تلك العجوز وأخبرها بخبر الفتاة وطلب منها أن تحتال لانزالها من تلك الشجرة وإقناعها بأن تأتي معها إلى البلد.! وأغراها الأمير بالمال.. وعرض عليها مكافآت جمة إذا هي نجحت في اصطياد هذه الفتاة بطريقة لطيفة لا إزعاج فيها .!!

وتعهدت العجوز باصطياد الفتاة بطريقة لطيفة.. ونقد لها الأمير ما تيسر من المال ووعدها بالباقي عند إتمام المهمة واشترت العجوز تيساً وأخذت قدراً وبعض الأواني الأخرى التي تلزم لصنع الطعام وأكله ..

وقالت للأمير احملني إلى هناك ثم انزلني بالقرب من تلك الشجرة التي تسكنها الفتاة .. ثم اذهب واتركني إلى المساء.!!

وحمل الأمير تلك العجوز حتى وصل إلى الشجرة فأنزلها

بالقرب منها.. وأشار بيده إلى الشجرة التي تسكنها الفتاة فقالت العجوز الآن اذهب وعد إليّ في المساء.!!

وعاد الأمير أدراجه ... وبقيت العجوز بالقرب من الشجرة ثم جمعْت حطباً وأشعلت النار.. وجاءت بالتيس لتذبحه وعلقته من رجليه وهو حي.. ثم جعلت السكين في ظهره محاولة أن تذبحه من وسطه.. وصار التيس يثغو ويطلق صوتاً مرعباً من شدة الألم.. فأطلت الفتاة من عشها إلى مصدر ذلك الصوت.. ورأت العجوز ورأت صنيعها بالتيس .. فرحمت التيس .. ونادت العجوز قائلة لها:

إن هذه ليست هي الطريقة للذبح.. ورفعت إليها العجوز نظرها.. وكأنها كانت لا تدري بوجودها وسلمت عليها ورحبت بها.. وقالت لها يا بنتي العزيزة إنه لم يسبق لي أن ذبحت حيواناً في حياتي كلها ولهذا ترينني أجهل أين يذبح هذا التيس.!! فأنزلي مشكورة وأذبحيه لي.!!

وترددت الفتاة في مبدأ الأمر في النزول خوفاً من أن يكون الأمير يختفي بالقرب من المكان فيصطادها... ولكن العجوز ألحت عليها.. وأقنعتها بأنها وحيدة ليس بالقرب منها أي خطر يتهددها.!!

وبعد إلحاح وأخذ ورد نزلت الفتاة من أعلا الشجرة وأخذت السكين وذبحت التيس.. وتعاونت مع العجوز في سلخه وتقطيع لحمه.!!

وعندما انتهت من ذلك أرادت أن تصعد إلى عشها.. ولكن العجوز طلبت منها أن تساعدها على طبخ الطعام.. وتشاركها في أكله.. وأرادت الفتاة أن تعتذر ولكن العجوز ألحت

عليها حتى قبلت.!

وبقيت الفتاة بالقرب من العجوز تساعدها وتؤاكلها وتحادثها.!!

وأنست الفتاة بتلك العجوز وألفتها بسرعة.. ووجدت لديها أنواعاً من الأطعمة لم تألفها في حياتها السابقة وفي لحظة من لحظات غفلة الفتاة كان الأمير قد جعل عبداً من عبيده يراقب هذه الفتاة.!! ويترصد غفلتها... فإذا حانت الفرصة ينقض العبد ويقبض عليها بأقصى ما يستطيع من سرعة ولطف.!!

وهكذا جرى فقد انقض العبد وقبض على الفتاة من يدها على حين غفلة منها.. وأرادت الفتاة أن تتخلص من قبضة العبد ولكنها لم تستطع.. فاستسلمت لتلك القوة القاهرة.. وتركت أمرها للأقدار تسيرها كما تشاء.!!

والتقت بالأمير وجهاً لوجه... فعرفت فيه ذلك الرجل الذي كان يطاردها في الوادي.. والذي حاول اصطيادها عدة مرات ولكنه لم يستطع.. واستقبلها الأمير بوجه هاش باش.. هدأ من ثائرتها.. وقال لها لا تخافي فإنك آمنة على نفسك وعرضك.. ولن يمسك أحد بسوء.. وستبقين معززه مكرمة مأخوذة الخاطر... مجابة الطلبات.!!

واطمأن خاطر الفتاة بعض الشيء وزالت عن نفسها تلك المخاوف التي كانت تسيطر عليها عندما قبض عليها العبد وسار بها قسراً إلى مصير مجهول.!!

وسألها الأمير عن قصتها وسبب مجيئها إلى ذلك الوادي ومعيشتها مع الطيور.. فأخبرته الفتاة بكل ما تعرفه عن قصة مجيئها إلى ذلك الوادي ومعيشتها مع الطيور... فتعجب الأمير

من هذه الفتاة ومن قصتها.. وعرض عليها الزواج فوافقت على ذلك.!!

وعقد للأمير على الفتاة بولاية القاضي الشرعي الذي هو ولي من لا ولي له وزفت الفتاة على الأمير في حفل بهيج وأفراح غامرة.!!

وعاشت الفتاة حياة كلها سعادة ورخاء.. وحب ورضا... هذا ما كان من الفتاة أما ما كان من الطيور فإنها عندما فقدت الفتاة حزنت عليها.. واجتمعت وقررت البحث عنها في كل مكان لانقاذها إن كانت في خطر أو معرفة الموضع الذي تعيش فيه.. إذا كانت لا تزال على قيد الحياة.!!

وانتدب كل واحد من الطيور القوية إلى جهة من الجهات للبحث عن الفتاة.. وتفرقت الطيور باحثه عن ابنتهم الفتاة على أن يجتمعوا مساء فيقص كل منهم على رفاقه نتائج بحثه ومساعيه...

وتفرقت الطيور باحثة عن ابنتهم الفتاة... وبينما كان أحدها يحلق فوق المدينة التي يسكنها الأمير.. رأى فتاته في ذلك القصر العظيم. فلم يكن منه إلا أن يحلق فوق القصر.. وأن يدور عليه عدة دورات للتحقق من الفتاة.. وكان في كل دورة تزداد معرفته لها وتحققه من إثبات شخصيتها على الرغم مما طرأ عليها من تبدل وتغير شمل جسمها كله من أخمص قدمها إلى هامتها.

ولم يزل ذلك الطائر يهبط قليلاً قليلاً في دورات سريعة على قصر الأمير.. حتى هبط على شرفة من شرفات القصر.. ورأى الفتاة فعرفها.. ورأته الفتاة فعرفته.!!

وتذكرت أهلها الطيور.. وعلمت أنهم أرسلوا هذا الطائر

للبحث عنها.. واشتاقت إليهم .. وتذكرت برهم بها وعطفهم عليها.. ومن الوفاء والمروءة أن لا تنسى جميلهم... فقد كانت لا تعرف أحداً ولا يعرفها أحد غير هذه الطيور التي تعتبر كبيرهم أبا وصغيرهم أخاً.!!

وجاء الأمير إلى زوجته كالمعتاد فوجدها حزينة كئيبة.. وسألها عن سبب حزنها.. فقالت لقد تذكرت أهلي الطيور وتصورت حالتهم بعد فقدي.. إنهم سوف يحزنون على فراقي.. وسوف يبحثون عني في كل مكان.. والدليل على ذلك مجيء ذلك الطائر منهم ووقوعه على الشرفة ونظراته الحرىٰ التي يعبر بها عن شوقه.!! وعن حبه.. وعن وفائه.!!

إنه لو كان ينطق لتكلم باسمى عبارات البهجة والسرور بمرآي ووجودي.. ولو كان ينطق لشرح لي حالة الهلع والرعب والخوف التي اجتاحت أهلي الطيور عندما فقدوني.!!

وهدأ الأمير خاطر الفتاة.. وقال لها إن من حقك أن تحني إلى مهد طفولتك.. وأن تتذكري من قام على تربيتك ورعايك في أوقات الشباب...

والآن استعدي لأذهب أنا وإياك إلى ذلك الوادي الذي يعيش فيه أهلك لترينهم ويرونك ..وتطمئني عليهم ويطمئنوا عليك.!! ففرحت الفتاة بما قاله الأمير وشكرته على مشاعره الكريمة.. وقامت مسرعة فلبست ملابسها وتزينت بحليها .. وجاءت إلى الأمير.! فركب جواداً.. وأركبها جواداً آخر.. وسار هو إياها متجهين إلى ذلك الوادي.!!

ووصلت الفتاة إلى شجرتها المعهودة .. وأرادت أن تصعد إلى عشها السابق . ولكنها لم تقدر على ذلك فقد كثر لحمها ونعم

جلدها وارتخت أعصابها من آثار الترف والنعيم الذي تعيش فيه.!! لهذا فإنها لم تقو على الصعود إلى عشها الذي لها فيه ذكريات عذاب.! هي ذكريات الشباب.!!

وبقيت الفتاة تتطلع إلى أعلا الشجرة بشوق ولهفة... وكانت الطيور متفرقة في نواحي الوادي باحثة عن الرزق وهي لا تأتي إلا في المساء.!!

فاقترحت الفتاة على الأمير أن يبقوا بالقرب من الشجرة إلى المساء لتعود الطيور.. وتراهن ويرينها.. فوافق الأمير.. وأمر أحد خدمه بأن يذهب إلى المدينة ويأتي بخيمة.. ويأتي بطعام وشراب.

وبقيت الفتاة والأمير بجانبها حتى جاء المساء وعادت الطيور وعندما رأت الفتاة فرحت بها وصارت ترفرف على رأسها وتلامسها بأجنحتها وهي تطير.. ومنها ما نزل على الأرض وصار يدور حول الفتاة.. ويلامس بريشه الناعم ثوبها وأطرافها.. وبكى أحد الطيور من شدة الفرح فبكت الطيور كلها.. وصارت تنتحب .. وتذري الدموع تلو الدموع.!!

وشاهد الأمير هذا المنظر فتأثر كثيراً وكاد أن يشارك الطيور في بكائها.!!

وعندما انتهى اللقاء عادت الطيور إلى أعشاشها... واقترحت الفتاة على الأمير نقل هذه الطيور إلى شجرة كبيرة من أشجار حديقة قصرهما.. ليعشن بالقرب منها.. وتعيش بالقرب منهن لتستطيع أن ترد إليهن بعض جميلهن فوافق الأمير على ذلك.!!

وعاد الأمير بالفتاة إلى القصر وأمر بأن تهيأ للطيور أعشاش

في إحدى الشجرات التي تراها زوجته مناسبة لهن... وصنعت الأعشاش. وذهبت الفتاة إلى الطيور ومعها أقفاص.. وضعت الطيور فيها.! ووضعت أفراخها معها وجاءت بها إلى القصر.. ووضعتها في تلك الأعشاش ووضعت بجانبها بعض الأطعمة التي تحبها.. وتتغذى بها في حياتها السابقة.!!

وصارت الفتاة في غاية الرضا والسعادة والبهجة حيث قسمت وقتها قسمين.. قسم تقضيه بجانب الأمير الذي أحبها.. وهيأ لها كل أسباب الراحة.. وقسم تقضيه بالقرب من أهلها الطيور.. وحيث تهتم براحتهن وطعامهن وشرابهن.. وحمايتهن من كل ما يؤذيهن.!!

وعاشت تلك الطيور وأفراخها في سعادة وغبطة وأمن ورخاء لم يألفنه.. ولم يألفه آباءهن.!! وأجدادهن واستمرت هذه الألفة بين الطيور وبين سكان القصر حتى عدت عوادي الزمن على الأمير.! وبعده لحقت به زوجته.!!

وخلا القصر من سكانه.. وتفرقت الطيور شذر مذر.. خوفاً من أخطار البشر.. بعد أن غاب من كان يحميهن ويطعمهن ويسقيهن.! وتلك حالة الدنيا ما جمعت إلا فرقت.. ولا أسعدت إلا أشقت.! ولا أضحكت إلا أبكت.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

★ ★ ★

سالفـــــة:

٣١- الخادم مع زوجة مخدومة

«رويت هذه السالفة عن التاجر المحترم الأخ سليمان الملاحي وكتبتها بأسلوبي الخاص»:

جاء الأطفال إلى جدتهم كعادتهم وقالت الجدة لهم إنني سوف أقص عليكم في هذه الليلة سالفة واقعية مع أنها أشبه بالخيال وفيها من سمو الأخلاق ما يتوق إليه الرجال.!

واشتاق الأطفال إلى سماع هذه القصة أو السالفة وقالوا قصيها علينا:-

فقالت الجدة حباً وكرامة..

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال في بلده وبين أهله وعشيرته.. ولكن المعيشة ضاقت به.. ومل الفقر.! وكان من حسن حظه أنه ليس له أولاد ولا زوجة تربطه إلى نفسها.!!

ولهذا فقد سافر في طلب المعيشة.. وقال في نفسه أنه لا

ينبغي أن أعود إلى أهلي إلا بثروة تقوم بشؤني.. وترفع من مقامي وإذا لم يكن ذلك فإن الغربة أولى بالفقير من وطنه.!!

وسافر الشاب حتى وصل إلى بلدة يحكمها أمير شهم كريم وصار ضيفاً عنده... ثم أخبر الأمير بأنه قدم من بلده لطلب الرزق والمعيشة.. فرحب به هذا الأمير واتفق معه على أجر سنوي معين ليعمل لديه في استقبال الضيوف وتقديم الطعام والشراب إليهم.!! والقيام بجميع ما يحتاجون إليه.!! ما داموا في ضيافة الأمير.!!

وتعهد الشاب بهذا العمل وفرح بهذا الأجر.. وباشر عمله بجد ونشاط وإخلاص ومثابرة.. وكان عمله هذا يقتضيه أن يكون على صلة دائمة بالأمير وزوجته.!!

وكانت زوجة الأمير مؤدبة مهذبة رقيقة المشاعر ساحرة الألفاظ ممشوقة القوام.!! عذبة الابتسام.!! وكان كل من خاطبته أعجبته وظن أنها قد أحبته.. وبحكم كثرة احتكاك هذا الشاب الخادم بسيدته أعجب بها.. كما أن لطفها ولين حديثها جعل الخادم يتصور أنها تحبه.. فأحبها الخادم بدوره بناء على ذلك التصور.!!

وأسر هذا الحب في نفسه مترقباً الفرصة المناسبة لإظهار هذا الحب..ولجني ثماره.!!

وانتظر الشاب حتى خلا بزوجة مخدومة ورأى أن الفرصة مواتية لبث ما يشعر به... وطلب ما يريد.. وتردد قليلاً.. ولكن الرغبة دفعته إلى قول ما يريد قوله.. وطلب ما يريد طلبه.. وقال لعمته يا سيدتي إنني معجب بك. وقد قادني هذا

الإعجاب إلى أن أحبك.. وأرجو أن تسمحي لي بقبلة وخلوطها.!!

ونظرت إليه المرأة معجبة من جرأته.!! ومندهشة من طلبه.!! وقالت له أن الوقت الآن غير مناسب فدع هذه الأمور إلى وقت آخر.!!

وأصبح الصباح وذهب الشاب لعمل القهوة على عادته وجلس سيده بجواره في انتظار إنجاز القهوة.! وجاءت السيدة إلى زوجها فخاف الشاب أن تخبر الزوجة بمحاولاته ومراوداته لسيدته.!!

وتكلمت الزوجة مع زوجها .. وقالت إن فلاناً تعني الخادم قال لي البارحة.!! وعندما ذكرت الزوجة القول والبارحة أيقن بأن هذه الزوجة سوف تفضحه وسوف تكشف ستره.!! فخجل وتضاءل في نفسه وأيقن بالشر .!!

وواصلت الزوجة حديثها بأن الخادم قال لها إن ركباً مروا بالأمس يعرفون آباه وقبيلته وقد أخبروه بأن والده مريض بمرض عضال.. وأنه يريد أن يرى والده قبل أن يغادر هذه الحياة.!!

وقد استحى منك أن يكلمك في هذا الموضوع، وترك لي هذه المهمة.!! فقال الأمير إن هذا عذر مشروع ونحن نسمح له بالسفر.!!

وفرح الشاب بهذه النتيجة على مرارتها.! وبعض الشر أهون من بعض وحمد الله أن أمره لم ينكشف لسيده.. وجهز السيد

راحلة بجميع معداتها وكسوة ونقوداً فأعطاها الشاب.!! كما أن الزوجة كذلك أعطته نقوداً وهدايا لأهله.!!

وسافر الشاب لا إلى أهله.. بل إلى مدينة بعيدة عن أهله.! وعندما وصلها استأجر بيتاً صغيراً... ثم باع راحلته وجميع الأشياء التي كانت معه وجعلها نواة للتجارة.!! افتتح حانوتاً صغيراً.!! وصار يبيع ويشتري .. وثروته تزداد يوماً بعد يوم.!! ثم رأى أن التجار الكبار يستوردون بضائعهم من الهند فجمع جميع ما لديه.. وسافر إلى الهند فاشترى فيها بضاعة ثم جاء بها وباعها.. وكسب فيها ربحاً عظيماً شجعه على العودة إلى الهند مرة ثانية واشترى بضاعة أكثر... وباعها وكسب منها أرباحاً طائلة.!!

وما زال هذا ديدنه.. حتى أثرى وصار من تجار تلك البلدة الذي يشار إليهم بالبنان.!!

وأراد أن يستقر فتزوج ورزق أولاداً.. وركز تجارته في أصناف معينة ارتبط بتجارها في الهند فصار يراسلهم بما يريد منهم.! وهم يبعثون إليه ما يريده.!!

ورسخت تجارته.. وقامت على قواعد متينة من الأمانة والاستقامة والجد والمثابرة.!!

وخلى الرجل بنفسه ذات يوم وتذكر أيام شبابه.. وتذكر فيما تذكر سيده الذي استخدمه.. وزوجته التي راودها عن نفسها.. ثم شهامة الزوج.! وشهامة الزوجة.!! وما أعطوه من أموال كانت هي الأساس. والبذرة الزكية لهذه التجارة الكبيرة

التي يتمتع بثمارها... الكثيرة المتعددة الجوانب.!!

وقال في نفسه إن لهذا السيد الكريم والزوجة العفيفة علي حقاً كبيراً لا بد من الوفاء به.!!

واشترى الشاب سيفاً مغطى بالذهب وبندقية من أحدث الأسلحة.. وكسوة فاخرة لسيده.. أما السيدة فقد اشترى لها حلية من الذهب الخالص.! واشترى لها كسوة من أفخر ملابس النساء..

ثم حمّل عدة رواحل أنواعاً من الأرزاق من رز وحنطة وتمر وسمن وقهوة وشاي وسكر وهيل.. ثم رحل متوجهاً إلى سيده.! في قافلة كبيرة يحوطها الخدم والحشم وواصل سيره إلى البلدة التي يسكنها سيده سابقاً...

وعندما وصل إلى البلدة.. قصد بيت الأمير الذي كان عاش فيه فترة من الزمن ولما حل بفنائه وأناخ رواحله.. وأحس الأمير بتلك الحركة غير العادية.. فخرج وإذا هو يرى هذا الركب الحافل بكل ما يروق ويعجب فرحب بهم..

ثم خصص الأمير لضيوفه جناحاً من قصره.. وأدخل رواحلهم.. وقدم لها العلف.. وأدخل ضيوفه وأوقد النار وعملت القهوة والشاي.! وذبحت الذبائح .. وعندما حان وقت الطعام قدمت للضيوف الكرام تلك المائدة العامرة بما لذ وطاب من أطايب الطعام.!!

وأقام الضيف عند مضيفة مدة ثلاثة أيام والمضيف لا يسأل

ضيفه عن شيء.!! كما أن الضيف لم يبح بشيء من خبره..وعندما انتهت مدة الضيافة ثلاثة أيام.. قدم الضيف إلى مضيفه تلك الهدايا والتحف والأطعمة والأرزاق.. كما قدم باسم زوجة الأمير تلك الجواهر والحلي الذي يبهر العقول ويدهش الناظرين.!!

وتعجب الأمير من هذه الهدايا الثمينة التي لا يعرف لها سبباً معقولاً.. لأنه لم يعرف الشاب.! فقد كان يعهده فقيراً ضئيلاً.. أما الآن فقد ظهرت عليه آثار النعمة.. وحفت به أبهة الثراء.!!

وسأل الأمير ضيفه عن هذه الهدايا الكثيرة وعن أسبابها فقال الشاب إنني أنا الذي كنت عملت لديكم منذ عدة سنوات.. وقد أعطيتموني وأكرمتموني بما لا أستحق.!! وقد صار ما أعطيتموني إياه نواة لثروة كبيرة أملكها الآن وأتمتع بمنافعها.. وقد رأيت أن من واجب الوفاء.. مقابلة الجميل بالجميل.. مع أن الفضل للمتقدم.! ولي كلمة أحب أن اقولها بيني وبين سعادة الأمير.!!

وأخلى الأمير المجلس فلم يبق فيه إلا الأمير وضيفه!! وقص عليه الشاب قصته مع زوجة الأمير.. ثم أثنى على عفافها وشهامتها وكرمها.!!

فقال الأمير إنها بنت كحيلان.! فلانة بنت فلان.!! عليها رحمة الله فقد توفيت منذ وقت قريب وهديتك لها مقبولة وإذا وافقت أن نقسمها على بناتها فعلنا.!!

فحزن الشاب على وفاة تلك السيدة الكريمة المحترمة.!! وقال إنني أوافق على تفريق تلك الهدية على بناتها.!!

حفظ الله الأحياء وبارك فيهم وتغمد الله الأموات بواسع رحمته وكريم إحسانه.!!

ثم كر الشاب راجعاً إلى مقر تجارته.. وبقي ذلك الأمير يذكر وفاء هذا الشاب في كل مناسبة.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



جدول بإيضاح الكلمات الشعبية

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
	حرف الألف		
أدرى	يعني أحاذر وأخاف	٤٤	١٢
أجم	أي ثور بلا قرون	٢٧٠	٢١
أشوف	بمعنى أرى وأجد	٢٧١	٨
	حرف الباء		
بالك	يعني أحذرك	٦٨	٥
بلود	يعني بليد	١٣٦	٨
بالهم	أي أحذرهم	٢٥٨	١١
البربوره	آلة للتدخين	٢٧٠	١٠
البليهي	الجمل القوي الأصيل الصبور	٢٨٤	٨
بقعا	الدنيا بأحداثها وتقلباتها	٣٢٠	١٠
	حرف التاء		
تمدرى	تمايل ومشى بسهولة وقوة	٢٨٤	١١
تكترب	أي لا تيأس من الفرج بعد الشدة	١٠٨	١٩
تنسدح	أي لا تتمدد على الأرض وتتكاسل	٢٩٦	١٥
تبدي	تظهر وتتجلى	٣٦	١١
التنهات	التهدات والزفرات	١٧٤	١٩
تشادي	يعني تشبه	٢٧٠	١٥
تدله	أي تسلو وتنسى	٢١٢	١٠
توايق	يعني أطل ونظر	٢٧٠	٩

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
تعيزل وتبيزل	يعني تتصرف كما تشاء	٢٧٠	١٨
تبج الكحله	أي تكحل عيونها مبكرة	٢٧٠	٢٠
تقابسه	أي أصوات سقوطه	٢٧٤	٦
توزيه	يعني تدخله وتولجه	٣٢٠	١٧

حرف الجيم

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
جذت به يديه	يعني عثرت به	١٣٦	٨
الجد وصليب	قبائل عربية غير أصيلة	١٢٢	١٦
الجوخه	معطف أحمر جميل	٢٧٠	١١
جريس	يعني قريص أو ملدوغ	٢٧٤	١١
جضعية	يعني كسولة كثيرة النوم	٦٨	١٣

حرف الحاء

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
حده	بمعنى ألجأه واضطره	١٠٨	٩
حذراك	يعني أحذرك	١٠٨	١٣
الحساسات	الأصوات المتداخلة الضعيفة	١٣٦	١١
الحلامي	يعني الأحلام	١٢٢	٩
حدوك	يعني اضطروك وساقوك	١٩٨	١٤
الحنتورة	كناية عن فرج المرأة	٢٧٠	٢٠
الحنشل	اللصوص	١٩٨	١٥
لحالة	يعن خال بنفسه	٢٥٢	١١
الحمانه	نوع من القراد الكبير	٢٧٠	١٧
حقبي	أي وسط ظهري	٢٧١	٨
حسه	أي صوته	٢٨٤	١٥

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
حلاقين	يعني حلقات الدرع	٣٢٠	٢

حرف الخاء

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
خوي	يعني رفيقي وصاحبي	١٥٢	٥
خطات الربادي	أي الماكر المحتال المتربص	١٧٤	١٠
خراص وهفوات	أي بتقديرات خاطئة	١٧٤	١١
خذت	يعني فتزوجت	٢١٢	١١
ختاله	أخذ بحذر وخفة وسرعة	٢٥٢	١٧
خطوى الولد	يعني بعض الأولاد	٢٨٤	٨
خمسة دواوين	أي خمس قطع من أصغر النقود	٢٩٦	١٤
خلوطها	أي ما يتبعها بالضرورة	٣٨٥	١

حرف الدال

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
الدكة	صالون الجلوس	٢٧٠	٨
دريك	مشرف على الهلاك من الظمأ	٢٧٤	٧
دبشك	أي مواشيك من ابل وغنم وخلافها	٢٩٦	١١

حرف الراء

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
ربية	قطعة نقدية هندية تساوي ريال	٢٣	٢
ربعي	أصحابي ورفاقي	١٢٢	٨
ردة لقمة	أي لقمة من الطعام واحدة	٢٧١	٢
الرقعي	بئر في مجاهل صحراء العرب	٢٧٤	٨
رفيفه	أي سيره السهل السريع	٢٧٤	١١

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر

حرف الزاي

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
الزوم	الغرور الكبر	١٠٨	٩
الزراجات	جمع زراج وهي الصحراء	١٩٨	١٨
زابن	أي ملتحيء وطالب للأمان	٢٧٤	٧
زعلت	يعني حتى ولو غضبت	٢٩٦	١٨

حرف السين

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
السندا	الارتفاع بتدرج	٤٤	١١
سلوبها	جلد الحية عندما تخلعه	٦٨	٦
سده	يعني أسراره وخفاياه	٦٨	٩
السكره	القفل الصغير للباب	١٣٦	٩
السنورة	القطة	٢٧٠	١١

حرف الشين

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
شوفتها	يعني رؤيتها	٢٣	٢
شذرة السيف	يعني حده القاطع	٣٦	١٠
شاذوبها	يعني عوامل استغلالها	٦٨	١٠
الشوم	يعني الشؤم	١٠٨	٥
شاخه	كناية عن فرج المرأة	٢٧٠	١٦
بشلف	هي الرمح القصير	٣٢٠	١

حرف الصاد

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
الصفر	من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس	١٦٤	٦
صعاله	كبرياء وغرور	٢٥٢	٧

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
قوم	يعني أعداء وخصوم	١٠٨	١٣
قصاف الأعمار	يعني الموت المفاجيء	٢٨٤	١٨
المقفي ْ	المدبر الذي انصرف عنك	٢٩٦	٢٣

حرف الكاف

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
كود	يعني لعل وعسى	٢١٢	١٠

حرف اللام

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
لهّس	بمعنى عوده وأغراه	٢٥٨	١٧
لهود	يعني الدبر والجروح بسبب الأحمال	٣٢٠	١٥

حرف الميم

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
المهتوى	الراغب أوالساعي لما يهوى	٤٤	٨
الميسر	يعني الغنى	٩٨	٤
منجوم	الذي اختل تفكيره وأضاع الطريق	١٠٨	١١
مستارثينه	أي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا	١٢٢	١٣
محفين	يعني ملحفين وملحين	١٦٤	٧
مستكنين	يعني مختبئين ومختفين	١٦٤	٩
مانيب مثلك	أي لست مثلك	١٧٤	١٨
ملابيد	مختفين لا صوت لهم ولا حركة	١٩٨	١٥
المعلف	كناية عن طيب الطعام	٢٧٠	١٧
مزكوره	مكتضة ملآنة لآخر حد	٢٧٠	١٧
ممخوره	أي مأخوذ منها بعنف وبلا حساب	٢٧٠	١٨
المثلوث	طعام مكون من ثلاث مواد غذائية	٢٧٠	١٩
مخلي	دعوة للخلاص من الشخص إلى الأبد	٢٧١	٢

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
منتاب	أي لست	٢٧٤	١
متساند	أي متماسك لكمة يوشك على السقوط	٢٧٤	٥

حرف النون

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
نقومي	يعني تنتقم ممن أسعدته	٣٦	١٥
نجدعه	أي نرميه	١٢٢	١٤
ندبيي	أي رسولي ومن انتدبته	٢٥٨	٨
نقعه	الماء المحبس غير الجاري	٢٧٤	١
النداوي	الصقر الأصيل الصيود	٢٨٤	١٢
نايد المال	أطراف المواشي	٣١٩	١١
النحا	الانحدار	٤٤	١٠

حرف الواو

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
ويش	أي ماذا أو ما هو.؟!	١٢٢	١٠
الوراد	الرشاء	١٧٤	٢٠
الورع	يعني الطفل الصغير	٢٥٨	٢١
وشاها الصلبي	أي ما هذا المنحط الدنيء	٢٧١	٢
وش تبي	أي ماذا تريد وهي كلمة جافة	٢٧١	٤
وحيفة	الصوت السريع المخيف	٢٨٤	١٥
وكيد	يعني أكيد	٣١٩	١٤

حرف الهاء

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
الهيب	هو العتلة الكبيرة	٩	٢
الهناديس	مصائب لا تعرف مصادرها	٣٦	١٦
هراج النمايم	أي المتكلم بالنمامة للافساد	٢١٢	١٧

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
هرهوره	براز الذي أصيب باسهال	٢٧٠	١٣
هديب الشام	الجمل الذي يحمل هودج الحج	٢٨٤	١٠
الهديفة	الراحلة الهزيلة التي لا نفع فيها	٢٨٤	١٦

حرف الياء

الكلمة	إيضاحها	الصفحة	السطر
يدوس الراي	يعني يقلبه على كل وجوهه	٣٦	٨
يكود	يعني يصعب أو يستحيل	٤٤	١١
يشفك	بمعنى يحرمك	١٨٩	٧
يم	بمعنى إلى جهة	١٩٨	١٤
يرهين	يتكلم بدعوات غير مفهومة	٢٧٠	١٢
يثاثي	يكرر الثاء في كلمات لا معنى لها	٢٧٠	١٤
يعقبني	أي يخلفني ويسعى في طريقي	٢٧٠	١٤
يبي	بمعنى يريد	٢٧١	١١
ينادسه	يغمزه ويلفت نظره	٢٧٣	١٩
يشدي	يشبه	٢٨٤	١٠
ياما ل	أي لعله وعساه	٢٨٤	١٨
يرهاك	يتمرد عليك ويخرج من ربقة الطاعة	٢٩٦	١٨
يعدّي	يتفوق ويزيد	٣١٩	٢٠
يا حلالات	اي أتمنى أن يكون هباس بجانبي	٣٥٤	١٩



فهـــرس